من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

محمد بن عبد الوهاب

مصلح مظلوم ومفترى عليه

تأليف
الأستاذ مسعود الندوي
رحمه الله

ترجمة وتعليق
عبد العليم عبد العظيم البستوي

مراجعة وتقديم
الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

أشرفت وكالة شؤون المطبوعات والنشر بالوزارة على إصداره
عام ١٤٢٠

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

النووي ، مسعود .
محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم.- الرياض.
٢٥٦ص ، ١٧×٢٤ سم
ردمك : ٢-٢٢٨-٢٩-٩٩٦٠
١-الدعوة السلفية- السعودية ٢- محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ، ت ١٢٠٦هـ أ- العنوان
ديوي ٢١٧,٢ ١٩/٠٤٦٧

رقم الإيداع : ١٩/٠٤٦٧
ردمك : ٢-٢٢٨-٢٩-٩٩٦٠

مقدمـــة

بقلم العلامة الأديب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

الحمد لله الذي نصر نبيه وخليله محمدًا ﷺ بالرعب مسيرة شهر وجعل النصر حليف من اتبعه إلى آخر الدهر. وصلّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم صلاة وسلامًا بلا حصر.

أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه المتعالي: محمد تقي الدين الهلالي: لا يخفى أن الإمام الرباني الأواب محمد بن عبدالوهاب قام بدعوة حنيفية جددت عهد الرسول الكريم والأصحاب، وأسس دولة ذكّرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين وقهرت الشياطين، وأحيت ما اندثر من علوم كتاب الله وسنة النبي الكريم. ولا شك أن معرفة أخبار هذه الدعوة وصاحبها تهم كل طالب علم من الموافقين والمخالفين بل من المسلمين والكافرين وكذلك وقع، فإن المؤلفين في تاريخ هذه الدعوة المباركة لا يُحصَون كثرة من جميع أجناس بني آدم على اختلاف لغاتهم وميولهم وأذواقهم، ما بين قادح ومادح ومتوقف محايد. ومع كثرة التآليف التي صُنّفت في هذا الباب منها المطول الذي يستغرق مجلدات ومنها المتوسط ومنها المختصر، لا تكاد تجد من بينها كتابًا جامعًا لأشتات المباحث مع المقابلة والنقد والتحقيق والتمحيص. ويصعب على طالب العلم أن يقرأ كل ما أُلّف في ذلك وأن يحيط بما هنالك، ولو فرضنا أنه استطاع قراءة ذلك لشقت عليه المقابلة واستخراج الحقيقة من بين تلك الآراء المتضاربة. فبقي طلاب الحقيقة والتلخيص في حاجة إلى من يستخلص لهم زبدة أخبار هذه الدعوة وخلاصتها بدون تحيز ولا تعصب. وهذا نادر ولا نقول إنه معدوم.

وقد وفق الله تلميذي البر الأستاذ الأديب مسعود عالم الندوي إلى القيام بهذا العمل الشاق، فبلغ فيه ذروة النجاح، وأفلح فيه غاية الفلاح، بعدما طالع بإمعان وتحقيق أكثر من سبعين كتابًا مختلفة واستخرج منها المسائل المهمة في العقيدة والتاريخ؛ تاريخ الدعوة وتاريخ ملوك آل سعود من أولهم إلى يومنا هذا وما جرى بينهم وبين خصومهم من حروب ومهادنات باختصار غير مخل وأسلوب غير ممل. فوضع بين أيدينا تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وما نتج عنها من فتوح دينية ودنيوية، ووضع المسائل التي اختلف فيها المؤرخون في ميزان الذهب حتى حققها غاية التحقيق ونفى افتراء الأعداء وأكاذيبهم بالبراهين القاطعة وبشهادات شهود العيان من المسلمين وغير المسلمين.

ومليحة شهدت لها ضراتها
والفضل ما شهدت به الأعداء

وكنت عالمًا أن تلميذي الأستاذ مسعود عالم الندوي ألف هذا الكتاب وسماه: (محمد بن عبدالوهاب، المصلح المفترى عليه) ولكن لما كان بلغة أردو لم أقرأه. وما كنت أظن أنه بلغ في العلم والتحقيق وسعة الاطلاع إلى هذا الحد الذي رأيته فبهرني «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء».

وقد أتحف مسعود عالم بهذه التحفة قراء لغة «أردو» منذ زمان، وحرم منها غيرهم، مع أن جميع طلاب الحقيقة في أشد الحاجة إلى هذا الكتاب. إذ يصعب بل يستحيل أن يجدوا هذه المسائل محققة كما هي، مجتمعة في كتاب واحد لا تزيد صفحاته على مائتين. فالفضل لله سبحانه وتعالى في إخراج هذا الكتاب ثم لمسعود عالم الندوى، وقد كان أفضل تلامذتي في كلية ندوة العلماء التي دعاني إلى التدريس فيها بل إلى رئاسة أساتذة

الأدب العربي فيها الأستاذان الجليلان السيد سليمان الندوي والدكتور عبدالعلي - رحمة الله عليهما - فأقمت فيها من أول سنة ١٣٤٩هـ إلى شعبان من سنة ١٣٥٢هـ وما رأيت في الاجتهاد والتحصيل مثل مسعود عالم. وكان كذلك مخلصًا أيضًا في دينه وذا أخلاق كريمة وشجاعة لا يخاف في الحق لومة لائم. ولم يقتصر على ما حصّله على يدي في تلك المدة بل سافر من الهند إلى بغداد وأقام عندي سنة وبصحبة الأستاذ عاصم الحداد، فلازم دروسي في المسجد والبيت ولم أر فيه نقصا إلا التعصب للمذهب الحنفي؛ فقد كان يخالفني في هذا الباب مع شدة احترامه لي. ولما ورد بغداد قال له أحد كبار علماء الحنفية: كيف تصاحب هذا الرجل وهو يطعن في مذهب أبي حنيفة رحمه الله وقد انتقده أستاذنا الكوثري؟ فقال له مسعود عالم رحمه الله: إليك عني، أنا أعلم به منك ومن الكوثري.

ولكن هذا النقص أبى الله إلا أن يرفعه عنه قبل وفاته فإنه كان رحمه الله أحد رؤساء الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ الزعيم المودودي. فلما قبضت الحكومة الباكستانية على المودودي قبضت عليه وبقي سنين في السجن فلم يجد سبيلاً إلى التأليف، فعكف على نيل الأوطار للشوكاني، فتبين له أن التعصب للمذهب لا يرضاه الله تعالى ولا يرضاه السلف الصالح ومنهم الإمام أبو حنيفة نفسه، فرجع عن التعصب واتبع الكتاب والسنة ومات على ذلك - رحمة الله عليه.

وأما قول ذلك العالم الحنفي إنني أطعن في مذهب أبي حنيفة فهو فرية بلا مرية. فإنني لا أختلف مع أبي حنيفة رحمه الله حتى أطعن فيه، لأن الاختلاف الذي يوجب العداوة إنما يكون في العقائد لا في الفروع،

وأبو حنيفة – رحمه الله – لا يخالف عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأئمة المجتهدين. فأنا لا أطعن في مذهبه أبدًا. أما مخالفته في الفروع فإن كانت تُعد طعنًا فأول طاعن في مذهبه محمد وأبو يوسف، فقد خالفاه في ثلث المذهب وقيل في ثلثي المذهب.

وإذا كان الفضل في إخراج هذه الدرة الثمينة يرجع إلى تلميذي مسعود عالم الندوي فإن الفضل في إخراجها من عالم العجمية إلى عالم العربية يرجع إلى تلميذي عبدالعليم بن عبدالعظيم المتخرج في الجامعة الإسلامية في السنة الماضية وهو الأول من بين تلامذة الجامعة كلهم وهو الآن من طلاب الدراسات العليا في جامعة الملك عبدالعزيز بمكة. فقد ترجم ترجمة فصيحة طيبة وأطلعني عليها وقرأها من أولها إلى آخرها فأشرت عليه بتحسين بعض الألفاظ، فجاء هذا الكتاب جوهرة نفيسة وتحفة لا تقدر بثمن، خصوصًا وقد زيّنه المترجم بحواشٍ عديدة تكملة لبحث ناقص وإيضاحًا لشيء غامض. وأنا أقترح على سماحة رئيسنا الجليل الأستاذ عبدالعزيز ابن باز – أطال الله بقاءه وأدام في سماء المعالي ارتقاءه – أن يقرأ هذا الكتاب، وأن يأمر بطبعه ونشره لتعم فائدته جميع طلاب العلم من المسلمين وغيرهم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أملاه ضحوة يوم الجمعة الحادي والعشرين من صفر سنة ١٣٩٤هـ.

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله المرتضى ونبيه المجتبى محمد وآله وأصحابه الطاهرين وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فإن من نعم الله على الناس أنه لم يتركهم بعد ما خلقهم حيارى يتيهون في ظلمات البر والبحر بدون هدى ولا كتاب منير، بل أرسل إليهم من أنفسهم رسلاً ليرشدوهم إلى الحق، وينقذوهم من الضلال. وكان آخرهم رسولنا المصطفى محمد ﷺ وقد أكمل الله به الدين ورضي الإسلام دينًا إلى يوم القيامة وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى بعدما تركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وضمن الله تعالى حفظ الإسلام ورعايته إلى يوم القيامة فخلق علماء جهابذة في كل عصر يتبعون سنة النبي الكريم ويحيون ما اندرس منها ويبينون للناس معالم الهدى والرشد ويردونهم إلى السنة النبوية بعدما غفلوا وجهلوا فقد قال الله تعالى: **﴿إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾** [الحجر: ٩]. وقال رسول الله ﷺ: **«إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»**[1].

وما زال علماء الحق ودعاة الرشد يبذلون جهودهم لحماية عقيدة الإسلام وشريعته إلى يومنا هذا فيردون كيد الكائدين وانحراف الزائغين ويذكرون الغافلين. وكان من هؤلاء المجددين المجاهدين الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي - رحمه الله - فقد ولد في عصر

---

(١) سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود ١١/ ٣٨٥.

انتشرت فيه الضلالات ونسيت العقيدة الإسلامية الصحيحة. ولما رأى محمد بن عبدالوهاب أن الشر قد اشتدت شوكته وضعف أهل الحق وجبنوا، قام بتوفيق من الله سبحانه وتعالى يرد على الضلالات وينير مصابيح الهدى في دياجير الظلمات. ولكن الأمة الإسلامية التي كانت قد خرجت ترفع لواء التوحيد في يوم من الأيام قد نسيت رسالته الخالدة فحاربته وقاومته عن جهل وضلال.

ولقد أوذي محمد بن عبدالوهاب أشد الإيذاء وعانى أشد المصائب والمحن ولكن ما زال يستمر قدمًا في طريقه غير مبال بمخالفة ذوي الأهواء واستفزازات أهل المطامع حتى تبين الحق وتجلى. ورجع عدد كبير من الناس إلى تلك المحجة البيضاء التي تركهم عليها الرسول العظيم ﷺ وعمَّ في العالم الإسلامي نور الهدى والرشد، واستيقظ المسلمون من سباتهم حتى بدت تباشير النهضة الإسلامية الشاملة التي نشاهدها في العالم الإسلامي، وحتى قامت تلك الدولة الإسلامية التي طبقت الشريعة الإسلامية في هذا العصر وأصبحت نموذجًا للآخرين وردت عمليًا على كثير من الأوهام والشبهات التي كانت تثار الفينة بعد الفينة من أعداء الإسلام.

ولما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب هكذا. ولما كانت نتائج هذه الحركة الإسلامية تبلغ هذا المدى، كان حقًا على المسلمين عامة وعلى طلبة العلم خاصة أن يعرفوها ويقدروها حق قدرها ويقدموها لسائر الناس ويدفعوا عنها التهم والافتراءات التي ما زالت تثار من جهة بعض الطامعين في الجاه والمال من العلماء والجهال.

وكانت هذه العوامل التي حفّزتني إلى دراسة سيرة هذا الداعية المجاهد وحركتني إلى معرفة رسالته وطريقته في الدعوة والإصلاح. ولقد

درست الكثير من الكتب التي ألفت للبحث في سيرته ودعوته فرأيت أن كتاب الأستاذ مسعود عالم الندوى - رحمه الله - يمتاز من بين هذه الكتب بعدة مزايا :

١ - أن المؤلف لا تربطه بالدعوة وأصحابها أي رابطة أو نسب، فقد ألفه نصرًا للحق وأداء للواجب بعيدًا عن مركز الدعوة ونائيًا عن أصحابها، ملتزمًا التجرد والإنصاف في كل القضايا التي ناقشها وبحثها.

٢ - أنه اطلع على كثير من الكتب التي ألفت في الرد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب والطعن في سيرته ودعوته وكذلك درس الكثير مما كتب في الرد على الكتب المذكورة وفي الدفاع عن الدعوة وصاحبها. وهكذا تمكن من تكوين آراء صائبة وسديدة وقلما يتسنى ذلك لغيره.

٣ - أنه اطلع على كثير مما كتبه السائحون والمؤرخون الأوروبيون في هذه الدعوة وصاحبها وعرف موقفهم منها حسب مصالحهم المادية والسياسية ففتح بابًا جديدًا للبحث والتحقيق ودخل فيه فأتى بمعلومات لا تكاد توجد لدى غيره.

وكانت هذه هي المميزات - وكثير غيرها - التي دعتني إلى أن أقدم هذا السفر القيم إلى القارىء العربي. فاستعنت بالله العلي العظيم وبدأت أترجم الكتاب بالعربية رويدًا حتى أكملته بفضل الله وكرمه.

وسيجد القارىء الكريم في هذا الكتاب سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته وأنها سيرة إسلامية مثالية ودعوة إسلامية خالصة. إنها دعوة تحاول أن تعود بالمسلمين إلى الرقي والمجد والازدهار كما كانوا في القرون الأولى. إنها دعوة دعا إليها جميع الأنبياء والمرسلين. وإن محمد بن عبدالوهاب لم يبتدع شيئًا من عنده ولا خرج عن عقيدة المسلمين التي اتفق عليها أئمة الإسلام كلهم.

نعم - قد كانت هناك شبهات أُثيرت حول الدعوة والداعية في أيامها الأولى من قبل ذوي الأهواء والمضلين. وكانت هذه الشبهات والافتراءات قد أضلت كثيرًا من المسلمين في البلدان الإسلامية فوقعوا في شك وارتياب من هذه الدعوة الكريمة.

لكن - والحمد لله - سُحب الافتراءات قد تقشَّعت والظلمات قد تبدّدت. وقد وضحت الدعوة جلية نقية لكل ذي عينين، وانتشرت رسائلها وكتبها في جميع أنحاء العالم. فما بال بعض الناس لا يزالون يرددون ما ورثوا عن آبائهم ومشائخهم وقد تبين زيفه وخطؤه؟!.

وأنا أدعو كل من يحمل في قلبه غيرة على الإسلام والمسلمين أن يدرس هذه الدعوة الكريمة التي أيقظت المسلمين وأن يدفع كل الشوائب العالقة بأفكاره عن هذه الحركة الإسلامية الخالصة. فإن الجهل والضلال لا زالا فاشيين في كثير من طوائف المسلمين. ولا يخفى أن الأمة الإسلامية تمر الآن بمرحلة خطيرة جدًا في تاريخها، ونحن بجهلنا وانحرافنا واختلاف كلمتنا نساعد الأعداء أكثر من مكايدهم ومكرهم عرفنا أم لم نعرف.

فلنستيقظ من سباتنا ولنراجع أفكارنا ونصححها مستنيرين بنور الكتاب الكريم والسنة النبوية ثم ندعو إليها سائر الناس. ولا نجاة للمسلمين إلا بهذا. ولا وحدة للمسلمين إلا بهذا.

فلنتمسك بكتاب الله ولنَسر على السنة النبوية ونسأل الله التوفيق والسداد.

تنبيهات:

١ - إن المؤلف - رحمه الله - نقل كثيرًا من النصوص والاقتباسات

من المراجع العربية والإنجليزية. أما النصوص العربية فقد رجعت إلى مصادرها في الغالب وأثبتُّها بحروفها في الترجمة. ولكن النصوص الإنجليزية لم أظفر بمصادها إلا قليلاً ولذلك اضطررت إلى أن أترجم المعاني التي أوردها المؤلف في الأصل.

٢ - للمؤلف تعليقات كثيرة وقد ترجمتها كما كانت وقد أضفت بعض التعليقات من عندي حينما اقتضى الأمر. وكتبت كلمة «المترجم» في نهايتها وبهذا يمكن التفريق بين تعليقاتي وتعليقات المؤلف - رحمه الله.

٣ - لقد أثبت أرقام الصفحات والسنين كما وجدتها مكتوبة في الأصل إلا ما تبين لي أنه تصحيف في الطبع - وهو نادر جدًا - وذلك لأنه من المستحيل تقريبًا أن يعود المترجم إلى كل المصادر التي ذكرها المؤلف وفي الطبعات نفسها ويقابل عدد الصفحات والسنين ولكن أرجو من القارىء الكريم أن ينبهني إذا عثر على خطأ من هذا القبيل وله جزيل الشكر.

وختامًا - أشكر جميع أساتذتي ورفقائي الذين ساعدوني في إنجاز هذا العمل المتواضع، وأخص بالذكر منهم أستاذي العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي الذي قد أنفق كثيرًا من أوقاته الثمينة واستمع إلى الترجمة من أولها إلى آخرها وأفادني بكثير من الفوائد المهمة التي لا تكاد توجد عند غيره. فجزاه الله عني وعن المسلمين كل خير.

قسم الدراسات العليا الشرعية
جامعة الملك عبدالعزيز بمكة

عبدالعليم البستوي
٢٥ صفر ١٣٩٤هـ

محمد بن عبدالوهاب
مصلح مظلوم ومفترى عليه

بين يدي الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

ما أعجب صنع الله في هذا الكون. لقد أراد الكاتب أن يكتب في حركة التجديد والإمامة التي قام بها السيد أحمد الشهيد - رحمه الله - وأحوال المتبعين لخطواته، ولكن ظهرت سيرة شيخ الإسلام محمد ابن عبدالوهاب.

وبيان هذا الحادث العجيب أن طالبين من دار العلوم لندوة العلماء أرادا (سنة ١٩٣٥م) أن يرتّبا تاريخ حركة التجديد والإمامة التي قام بها الشهيدان أحمد البريلوي وإسماعيل الدهلوي - رحمهما الله تعالى - رحمة الأبرار الصالحين المجاهدين من عباده - فتصدى أحدهما لسيرة السيد أحمد وأراد الآخر أن يبدأ في عمله من مشهد بالاكوت.

لقد بدأ كل منهما عمله. فأما المجتهد الجريء والمخلص المجاهد فقد ألف سيرة الشهيد البريلوي (سنة ١٩٣٩م) وأعني بهذا صديقي المخلص الأستاذ السيد أبا الحسن علي الحسني الندوي - أستاذ التفسير والأدب في دار العلوم ندوة العلماء، وقد وصل كتابه إلى أيدي أولي الفضل وصدرت له طبعتان في مدة قصيرة[٢].

وأما الثاني (المؤلف) فقد وجد عقبات في كل خطوة، فقد كانت المعالم قد اختفت، والذين رأوا أو عرفوا كانوا قد ناموا نومة سرمدية، والذين سمعوا ما زالوا يهابون حتى الآن. لكن القلم المسافر لم ينس منزله فقد ظهرت نماذج البحث الأولية في مجلة «الضياء» (شعبان سنة ٥٤هـ)

---

(٢) وهو في لغة أردو (المترجم).

بعنوان «الحركة الوهابية السياسية»[٣] وفي مجلة «الهلال» الصادرة في بتنة بعنوان «الوهابية: حركة دينية وسياسية» وحظيت بالقبول والرضا في المحافل المختصة.

وفي خلال البحث مرّ ذكر الحركة الوهابية - كما يقال في الغالب - في نجد أكثر من مرة. وعثرت على افتراءات واتهامات لم أستطع أن أصبر عليها. وأكبر خطأ وقع فيه الصديق والعدو هو الزعم بأن حركة التجديد والإمامة للشهيد أحمد إنما هي فرع للحركة الوهابية في نجد. لا شك أن مأخذ الحركتين واحد، وهدفهما واحد، والذين قاموا بهما كانوا من رافعي لواء الكتاب والسنة. وكل منهما كان مجاهدًا متحمسًا ولكن هذه حقيقة لا تجحد أن أحدهما ليست له أي علاقة - بعيدة أو قريبة - بالآخر، أعني أن أحدهما لم يستفد من آراء الآخر. فقد كانت تلكما الدعوتان كل منهما بعيدة عن الأخرى وفي أحوال خاصة نشأت وترعرعت. ومع اتحادهما في الأصل - أي دعوة الرجوع إلى الكتاب والسنة - تظهر انطباعات محلية خاصة في كل من الدعوتين. وتختلف كل منهما عن الأخرى في كثير من الأمور الفرعية.

وقد قلت آنفًا أني قد مررت على افتراءات حول دعوة التجديد النجدية فلم أستطع أن أصبر. وهكذا اضطر هذا العاجز أن يرتب الكتاب على قسمين. وأن هذه الصفحات في سيرة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب

---

(٣) يقصد السياسة الشرعية الإسلامية كما كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، والحمد لله فإن الدولة السعودية منذ عصر الشيخ رحمه الله وحتى يومنا هذا ما زالت تحكم بشريعة الله، دستورها هو كتاب الله وسنة رسوله، وستظل على هذا المنهج بإذن الله تعالى ونسأل الله أن يمدها بالتوفيق والتأييد (المترجم).

النجدي ودعوته هي المجلد الأول لذلك الكتاب المقترح . والمجلد الثاني سيكون في حركة التجديد والإمامة في الهند من استشهاد السيد أحمد (١٨٣١م - ١٢٤٦هـ) إلى سنة ١٨٧١م وأستعرض فيه الأعمال والجهود والخدمات استعراضًا دقيقًا .

(٢)

وهنا أريد أن أوضح أمرًا وهو أنني لا أقصد حينما أدون تاريخ الوهابية النجدية أو الوهابية الهندية أن أشعر الناس أن الحق قد انحصر في اتباع إحدى هاتين الجماعتين أو أني أرى هاتين الجماعتين مدرسة خاصة أو مذهبًا خاصًا كالمدارس الفكرية الأخرى دينية كانت أو أدبية - يمكن أن يزعم هذا بعض الدعاة الخاملين أو الأتباع المتشددين ولكنني أرى أن التحزّب يلحق بالإسلام والمسلمين أشد الضرر ، والحق عندي هو اتباع الكتاب والسنة فقط . فلا أرى الرشد والهداية ملكا لجماعة فقهية أو مدرسية أو وطنية . إن الحق ليس ملك يمين نجد ولا الهند اشترته . فإن تعاليم الله ورسوله ﷺ واضحة جلية والذي يتبعها اتباعًا صحيحًا يفوز بالرشد والفلاح[٤] .

وإني حينما أرتب تاريخ هذه الجماعات في نجد أو في الهند وأبرز معالمهما الدراسية أقصد فقط أن أقدم سيرة مصلحين شهيرين في القرن الثاني عشر والثالث عشر وأتباعهما ، ولا أرى أيضًا أن هناك مصلحين فقط في هذه القرون . ففي الهند الشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤ - ١١٧٦هـ) وفي طرابلس محمد بن علي السنوسي (١٢٠٢هـ - ١٧٨٧م) لهما شأن

(٤) أي أنني لا أرى الحق محصورًا في تقليد الأئمة الأربعة ولا في اتباع شيوخ ديوبند أو الأزهر أو الندوة ، ولا أرى القيادة وراثة لبيت أو بلد .

عظيم في التجديد والإصلاح. قد يقول قائل إن حركة السيد أحمد كانت صدى لدعوة الشاه ولي الله ولكن حتى بعد تسليم هذه الفكرة فإن الطابع الخاص والتفردات الخاصة للسيد أحمد لا تزال باقية.

وكذلك لا أرى أن هاتين الجماعتين في نجد أو في الهند معصومتان عن كل خطأ أو زلل. أما الغلو والتشدد في أهل نجد فحتى الأصدقاء يشكون منهما[٥] وكل ما أقول إنهما كانتا جماعتين مخلصتين قامتا لله ولم تألوا جهدا في سبيل إعلاء كلمة الله في حدود المساعي البشرية. فعلينا أن ندرس أعمالهما. أما مجرد الاقتناع بما يُسمع أو بدعاية الأعداء والمشايخ الجهال والمتصوفة فإنه ليس من شيمة طلاب الحق.

وإني قد اجتنبت - قدر الإمكان - إبداء رأيي في الكتاب. وقد حاولت أن أرتب الأحوال والأفكار على أساس من المراجع المعتمدة بما يمكن من البحث والتحقيق. فإن نجحت فبتوفيق من الله وإلا فلا يُستبعد من طالب حقير أن يقع في بعض الأخطاء والأوهام. وفي الأخير أبتهل إلى الله أن يرزقني الإخلاص في النية والعمل ويشرفني بقبول هذا العمل المتواضع[٦].

---

(٥) قصده بالتشدد والغلو تشددهم في التوحيد وهم في ذلك على حق لأن الإسلام الذي بعث الله به نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم هو أشد الأديان في العقيدة وأسهلها وأيسرها في الشرائع. ولا يحسن أن يسمى ذلك غلواً وتشدداً. (المترجم).

(٦) انتهت هنا مقدمة المؤلف. وما بعده كان في صورة تنبيهات زائدة على المقدمة ولكنني جعلته مع المقدمة لعلاقته بها (المترجم).

(٣)

لقد بدأت في ترتيب الكتاب الذي بين يديك في شوال سنة ١٣٥٩هـ (نوفمبر سنة ١٩٤٠م) إلا أن الأشغال لم تسمح لي أن أخصص له وقتًا كثيرًا. ولكن العمل ما زال مستمرًا رويدًا، وتم مخطط الكتاب في نوفمبر سنة ١٩٤١م. ولكن لم أجترىء على أن أكمل المسودة بسبب القلة في المراجع، وكلما كتبت شيئًا ثم اطلعت على مصادر أخرى اضطررت إلى كثير من الإصلاح والتغيير. ولكن مع ذلك ومع كثير من البحث والتحقيق لم أعثر على بعض الكتب المهمة واللازمة من المراجع وسأذكرها في باب المصادر.

وأقدم جزيل الشكر من أعماق قلبي إلى أولئك الأصدقاء والأكابر الذين ساعدوني بالإخبار عن المراجع أو تهيئتها، وأخص بالذكر منهم الدكتور عظيم الدين ببتنة. والبروفسور حسن عسكري ببتنة، والأستاذ عبدالرحمن الكاشغري بكلكتا، والأستاذ محمد داؤد الغزنوي بلاهور، والدكتور الشيخ محمد عناية الله بلاهور، والدكتور محمد حميد الله بحيدر آباد، والأستاذ شرف الدين وأولاده ببومبائي، والأستاذ عبدالمجيد الجريري ببنارس، والبروفسور محمد أكبر الندوي بجامعة كلكتا. والحكيم الحافظ يوسف حسن خان ببتنة. أشكرهم جزيل الشكر وأراه واجبًا عليّ؛ فلولا مساعدة هؤلاء الأكابر كان من الصعب عليّ الحصول على كثير من الكتب النادرة أو المفقودة.

ومن الضروري أن أذكر هنا عالمًا نجديًا قد أرسل إلي سلام المحبة حينما سمع عن هذا الكتاب في بومبائي. ثم تجشّم السفر إلى بتنة بطريق بنارس وشرف بيتي بنزوله مدة يومين. وهو الشيخ محمد عمران بن محمد عمران من سكان الرياض بنجد، وكان رجلاً متعلمًا من المتوسطين إلا أنه من الذين تربوا بتعاليم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن نجد فنفس الاتباع

للسنة والتقوى والحماس والعمل الذي كنا نسمع أنه من مميزات هذه الجماعة. وعلى أقل تقدير ففي الهند نادراً ما رأيت مثله.. وقد استفدت منه كثيراً وخاصة في تعيين سني وفاة علماء نجد المتأخرين عن ذاكرته وبجزم تام. إلا أنني قد بينت ما اعتمدت فيه على روايته في مواضعه.

وأرجو من القارىء الكريم أن تكون الأمور التالية على بال منه أثناء مطالعة الكتاب وسأكون شاكراً:

١ - قد اكتفيت بذكر اسم المصنف أحياناً وذلك بذكر المصادر ويمكن تعين الكتب في باب المراجع.

٢ - قد حاولت قدر الإمكان التوفيق بين التواريخ الهجرية والميلادية. ولكن اكتفيت بذكر السنة الميلادية مع السنة الهجرية حينما رأيت صعوبة في تعيين اليوم والشهر.

٣ - حينما أذكر كلمة «شيخ الإسلام» أو «الشيخ» بدون اسم خاص فالمراد منه هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وكذلك من آل الشيخ أولاده وأحفاده مع أن كتب الجماعة تستعمل لقب شيخ الإسلام للإمام ابن تيمية رحمه الله.

٤ - لم ألتزم الحرفية في الترجمة من العربية أو الإنجليزية إلا أنني حاولت أن أعبّر عن المفهوم صحيحًا كاملاً عن الأصل.

٥ - من الممكن الوهم أو الخطأ في نطق الأعلام الإنجليزية فإن وُجد خطأ من هذا القبيل فأرجو التنبيه. وإن أي تصحيح من أي نوع كان أقبله بشكر.

مسعود عالم الندوي

بتنة: ٨ جمادى الأولى ١٣٦١هـ

الباب الأول

الداعية: حياته وخدماته

الجزيرة العربية أيام ازدهار المسلمين

«لقد شاهدت الصحراء العربية آلافًا من تقلبات الليل والنهار ولكن لم تكن هناك حادثة أهم من هذه الحادثة حيث بهرت هذه الرمال المظلمة عيون العالم بأجمعه بعدما استنارت بنور شمس ساطعة (أي البعثة النبوية)، وأقامت معالم النور في جميع أنحاء الدنيا. ولكن بمجرد ما فرغت من تنوير الجبال والصحارى وإضاءة البر والبحر، اختفت من عيون الناس وذهب رواؤها، لماذا؟

لأن الأمم التي اقتبست من هذه الأنوار زعمت أن بريقها ولألاءها لا يمكن أن يبهر عيون العالم أمام لمع هذه الرمال الصحراوية. فخير لها أن تبقى مظلمة خامدة»[7].

كان الحجاز قد فقد مكانته القيادية في عصر بني أمية. فقد جعله ساسة دمشق زاوية للسدنة وأبناء المشايخ، وعلى أثر ذلك قضى سيف أبي مسلم الخراساني على نصيب العرب السياسي (١٣٢هـ) والحكومة العباسية التي قامت على هذا الأساس تحولت إلى ملكية عجمية درجة بعد درجة.

ظهرت قوة الأتراك في عصر المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٨٢م) حتى اعتلوا على العرش وامتلكوا الدولة.

سادت عشرات من الدويلات بعيدًا وقريبًا ثم بادت.

ولكن الرجل العربي المسكين لم يكن له أي نصيب في هذه التقلبات.

---

(٧) السيد سليمان الندوي، مجلة معارف عدد نوفمبر سنة ١٩٢٤م.

وفي عصر ازدهار المسلمين هذا أسّست مدارس العلم في بغداد وقرطبة. نبعت ينابيع الرشد والهدى في جوامع الأزهر والزيتونة والقرويين. فتح الأتراك قسطنطينية وزلزل سليمان الأعظم (٩٢٦ - ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦م) أسوار فينا. دوخ المغول أرض الهند. ولكن الجمّال العربي ما زال يتنعّم بنوم لذيذ في صحرائه.

حكم الأتراك العثمانيون قرونًا على الحجاز وقدّموا قرابين تبلغ الآلاف والملايين وخُصّص القسم الأكبر من محاصيل مصر لخدمة الحرمين. عينت رواتب كبيرة للسدنة ولكن لم يفض أي نبع للعلم في وادي العرب الذي هو غير ذي زرع. وراجت اللغة التركية في المكاتب.

الله أكبر! حكومة خليفة المسلمين وتسيطر في مهبط الوحي لغة لا تمتّ إلى لغة القرآن بصلة، إن في ذلك لعبرة.

وما أكثر أعاجيب هذه الدنيا وما أكثر ألاعيب الملك والسيادة. نعم! بقيت اللغة التركية هي اللغة الرسمية والضباط هم أتراك. أما العرب فلم يبق لهم شغل إلا سدانة القبور والاستجداء أو قطع الطرق على غرار أيام الجاهلية الأولى.

محمد بن عبدالوهاب:

وأخيرًا لما غشي الظلام العالم مرة أخرى، ترك المسلمون كتاب الله وسنة رسوله واتخذوا مئات من الآلهة دون الله الواحد وصاروا ينادون ويدعون البدوي والرفاعي في مصر، وعبدالقادر الجيلاني في العراق والهند، وابن عباس في مكة والطائف، وابن علوان في اليمن[8]. وأصبحوا

---

(٨) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني ص ٢-٥.

يخضعون ويتذلّلون أمام الأشجار والأحجار.

عندما وصل الأمر إلى هذا الحد طلعت شمس الهدى والرشد من واد غير ذي زرع ورمال الأرض العربية التي كانت قد اشتهرت بطيب العرار والخزامى[٩] قد فاح فيها طيب التوحيد وكلمة الحق حتى عطرت العالم بأسره. وأريد بهذا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله ونوّر ضريحه - الذي أعاد إلى الأذهان دروس التوحيد - التي كانت قد نسيت - بجهده المتواصل وعمله الدائم وبلغ رسالة الحق والصدق إلى حيث وصل صوت هذا الرجل المجاهد.

العالم الإسلامي عند ولادة ابن عبدالوهاب:

بلغ العالم الإسلامي إلى دركه الأخير في الانحطاط الفكري عند نهاية القرن الثامن الهجري فقد كانت أبواب الاجتهاد والفكر قد أغلقت منذ زمان وكان العلماء يتدارسون متون المتأخرين وحواشيهم وكانت الحالة في الناحية العملية أسوأ وأسوأ ولكن بلغ هذا الانحطاط في بداية القرن الثاني عشر الهجري إلى حد يتأسف منه الكفار ويتحيرون حينما يقارنون بين حالتهم وحالة المسلمين في عصر الصحابة. قال الكاتب الأمريكي استودارد (Lothrop Stoddard):

«أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء. فألبست الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفًا من الخرافات وقشورًا من الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين

(٩) ورد ذكر العرار والخزامى، بكثرة في الكلام العربي. وقد ذكر محمود شكري الألوسي (م ١٣٤٢هـ) عدة أبيات من هذا القبيل في تاريخ نجد ص ٨-٩.

يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور. وغابت عن الناس فضائل القرآن. فصار يُشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتك ستر المحرمات على غير خشية ولا استحياء.

ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرهما من سائر مدن الإسلام. فصار الحج المقدس الذي فرضه الله على من استطاعه ضربًا من المستهزءات.

وعلى الجملة فقد بُدّل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطًا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان»[١٠].

هذه صورة صورها معلق كافر ولكن الخطوط والآثار التي تظهر في هذه الصورة للمسلمين أليست صحيحة اليوم إلى حد كبير؟ وكما يرى الأمير شكيب أرسلان «لو أن فيلسوفًا نقريسيًا من فلاسفة الإسلام أو مؤرخًا عبقريًا بصيرًا بجميع أمراضه الاجتماعية أراد تشخيص حالته في هذه القرون الأخيرة ما أمكنه أن يصيب المحز وأن يطبق المفصل تطبيق هذا الكاتب الأمريكي استودارد»[١١].

وإن لم يثقل عليك طول الكلام فاسمع حكاية أخرى لشقائك بلسان معلق غربي آخر:

---

(١٠) حاضر العالم الإسلامي (ترجمة عجاج نويهض) ص ٣٤.

(١١) أيضاً.

«قد بردت عواطف المسلمين في القرن الثامن عشر وما يسمى بالخليفة كان قد فقد قوته. حتى أن أهل النواحي الجنوبية ما كانوا يعترفون بسيادته. وأهل اليمن كانوا قد خلعوا نيره منذ قرون. وأشراف مكة كانوا متحمسين لمخالفة رئيسهم أكثر من النصارى. أما وحدة الاتجاه التي تُرى الآن ما كانت يُشعر بها في تلك الأيام إلا قليلاً. المركز الروحي في مكة كان واقعًا في حبل التنعُّم والتلذذ المادي، وتستطيع أن تجد عطفًا وشفقة على كل شيء إلا على الزهد والورع، مع أنهم كانوا يشاهدون فتح النصارى للهند بأعينهم. وكانت الجيوش الكافرة تطوي فراش الأتراك. ولكن العرب قليلاً ما يشعرون بهذه الحوادث. أما الغضب والنقمة الموجودان اليوم على فرنسا وبريطانيا وروسيا فقد كانا مفقودين بتاتًا في تلك الأيام. وإذا عدم الغضب انعدم الحماس فكيف بالدعوة إلى الإسلام.

وخلاصة القول إن الإسلام كان متجهًا إلى الانحطاط. أما النهضة التي وصلت تياراتها إلى أفريقيا والصين في القرن التاسع عشر المسيحي فقد كان من المستحيل أن يتوقعها أحد في ذلك الوقت»[١٢].

نجد قبل ابن عبدالوهاب:

لقد رأيت لمحة قصيرة لحالة العالم الإسلامي والديار المقدسة بالحكايات التي سبقت، ولكن حالة نجد - قلب الجزيرة العربية - كانت أسوأ وأسوأ.

---

(١٢) هو غارث Penetration of Arabia وقد ألف الكتاب في سنة ١٩٠٤م.

وفي الجبيلة (وادي حنيفة) كان يعبد قبر زيد بن الخطاب . وفي الدرعية كانت توجد بعض القبور والقباب وتنسب إلى بعض الصحابة وكانت مراكز للتعبد الجاهلي من الدهماء . وفي وادي غبيرة كانت قبة ضرار بن الأزور سوقًا للبدع والأوهام . والقلم قاصر عن بيان ما كان يعمل الشباب والفتيات مع شجرة قديمة في بليدة الفداء ، فقد كانت النساء العاقرات يباشرن هذه الشجرة لطلب الأولاد . وكان غار على مقربة من الدرعية تُرتكب عنده أكبر الفواحش المخزية وهلم جرا[١٣] .

كل هذا كان باسم الدين . والأشخاص المعدودون الذين كانوا يملكون بعض النصيب من الفقه والحديث ما كانوا يجدون في أنفسهم قوة تحدوهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهل كانت أغلبية علماء نجد خارجة عن عداد علماء العالم الآخرين ! ! .

أما الحالة السياسية فقد كانت أفسد وأسوأ . كانت نار الحرب الأهلية

---

(١٣) ورد ذكر البدع السائدة في نجد في جميع الكتب التي ألفت في تاريخه ، ومن أراد التوسع فليراجع الكتب التالية :

١- روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعدد غزوات ذوي الإسلام ، تأليف الشيخ حسين بن غنام (م ١٢٢٥هـ) ص ٧-١٦ .

٢- عنوان المجد في تاريخ نجد ، تأليف عثمان بن بشر النجدي (م ١٢٨٨هـ) ص ٦ وهذان الكتابان هما الأم والأصل في تاريخ نجد .

٣- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ، لسليمان بن سحمان ص ٩-٤٧ ، وأيضاً تبرئة الشيخين الإمامين ، له ص ١٦١-١٦٣ .

٤- Arabia لفلبي ص ٤-٥ .

ومرجع فلبي وابن سحمان هو كتاب ابن غنام .

متأججة في جميع أنحاء نجد. كان بنو خالد مسيطرين على شمالي نجد (جبل شمر) في قبيلة طي والحسا، والذي يظهر أن إمارة العيينة كانت تعترف بسلطان بني خالد. وفي الدرعية كانت قبيلة عنزة ترسخ أقدامها. وفي منفوحة على قرب من الدرعية قامت إمارة دواس. ونجد مع صغره وضيق أطرافه كان مفرقًا بين دويلات وإمارات صغيرة عديدة[١٤].

ولادة محمد بن عبدالوهاب:

في هذه الأيام المظلمة والأحوال السيئة فتح محمد بن عبدالوهاب عينيه. وولد في بيت معروف بالعلم في مدينة العيينة[١٥]. وذلك في سنة

---

(١٤) فلبي ص ٤-٦.

وليس من السهل فهم جغرافية العرب وخاصة نجد لأنه لا يوجد هناك تقسيم بالولايات والمديريات كما يوجد في بلادنا، وحتى قبل هذا العصر ما كانت توجد هناك وحدة سياسية تذكر وبالإجمال فإن بلاد نجد منقسمة إلى ثلاث نواح كبيرة:

١- الناحية الشمالية الغربية وتسمى شمر ومن مدنها الشهيرة حائل والقصر(*).

٢- الناحية الشمالية الشرقية وتسمى القصيم ومن مدنها الشهيرة عنيزة وبريدة.

٣- الناحية الجنوبية وتسمى العارض ومن أشهر بلادها الرياض. وهي الآن عاصمة المملكة العربية السعودية وتسمى ناحية العارض «بجبل اليمامة» أيضاً. وهذا في الأصل اسم الجبل والناحية التي تقع حولها تسمى «وادي حنيفة» أو «اليمامة» وتقع مدينة العيينة مسقط رأس شيخ الإسلام و«الدرعية» مركز دعوته في هذا الوادي. وهما كالقلب في نجد. وللتوسع يراجع دائرة المعارف الإسلامية كلمة Arabia (المجلد الأول ص ٣٧١) أو «نجد Nejd» (المجلد الثالث ص ٨٩٣-٨٩٦).

(*) لا تعرف مدينة تسمى «القصر» وأما القصيم فيقع في الناحية الشمالية الغربية (المترجم).

(١٥) العيينة بضم العين وهو تصغير للعين ويقال لها الآن أيضاً «بار الشيخ».

١١١٥هـ (١٧٠٣م)[١٦] فكان جده سليمان بن علي بن مشرف من أشهر العلماء في عصره، وكان مركزًا ومرجعًا للعلماء وله كتاب مشهور في المناسك، وذكر صاحب السحب الوابلة أن الحنابلة في الغالب يعتمدون على هذا الكتاب في باب المناسك[١٧].

وكان عمه إبراهيم بن سليمان عالمًا جليلاً أيضًا، وابنه عبدالرحمن (م١٢٠٦هـ) كان فقيهًا وأديبًا، ووالد الشيخ وهو عبدالوهاب بن سليمان (م١١٥٣هـ) كان ذا باع طويل في الفقه وبقي قاضيًا مدة طويلة في العيينة

---

(١٦) ابن غنام ١/ ٣٠ وابن بشر ١/ ١٣٨، ومن الكتاب المتأخرين ذكر أحمد زيني دحلان تاريخ الولادة سنة ١١١١هـ (الدرر السنية ص ١٣٨) خلاصة الكلام ص ٢٢٩) وذكر الأمير شكيب أرسلان (حاضر العالم الإسلامي ٤/ ١٦١) ١١١٦هـ، وكلاهما خطأ، وهكذا هيوجس (Huges) في كتابه Dictionary of Islam (ص ٦٥٩) وولفر ولفرد في A Piligrimage to Najd (ملحق ص ١٢٥) وزويمر في كتابه Thecradlo of Islam Arabia وغيرهم قد ذكروا ولادته في سنة ١٦٩١م وهو غلط فاحش. وقد أخطأ أيضاً إذ ذكرها في سنة ١٦٩٦م. واتباعاً لهذه المراجع قد يخطىء أصحابنا أيضاً.

(١٧) ونسبه الكامل هكذا:

محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد ابن مشرف... إلخ. وتوجد تراجم عدة أشخاص من هذا البيت في كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» ومخطوطة في المكتبة الشرقية ببتنة، وهم:

١- سليمان بن علي بن مشرف ص ١٠٣.

٢- إبراهيم بن سليمان بن علي ص ٨، ٩.

٣- عبدالوهاب بن سليمان بن علي وسليمان بن عبدالوهاب وعبدالعزيز بن سليمان (م ١٢٦٣هـ) ص ١٧١، ١٧٢.

٤- عبدالوهاب بن عبدالله بن عبدالوهاب بن مشرف (م ١١٢٥هـ) ص ١٧٢.

والعلماء، وسليمان بن عبدالوهاب (م١٢٠٨هـ) كان صاحب علم عظيم، وكذلك كان ولده عبدالعزيز (م١٢٦٣هـ) وكان موجودًا في حريملاء عند الغارة المصرية في سنة ١٢٣٦هـ وحبس وذاق أنواعًا من المصائب وأحرقت مكتبته ونهبت أمواله[١٨].

نشأته:

ولد، كان محمد بن عبدالوهاب منذ نعومة أظفاره متفوقًا في الذكاء وقوة الحفظ وقد حفظ القرآن الكريم وعمره أقل من عشر سنين. ثم درس كتب الفقه الحنبلي على والده وطالع كتب الحديث والتفسير بكثرة في صغره. وقد أعجب والده عبدالوهاب بذكاء هذا الولد الطامح ومواهبه ويقول إنه قد استفاد من ذكاء ابنه البارع وسعة اطلاعه أيام تدريسه. وكان الشيخ عبدالوهاب متأثرًا جدًا بولده حتى أنه كان يقدمه للإمامة مع صغره. تزوج وهو صغير السن ثم أدى فريضة الحج وأقام شهرين في المدينة المنورة ثم رجع إلى العيينة واشتغل في طلب العلم على والده ونسخ المذكرات والكتب العلمية حتى أنه كان يكتب عشرين صفحة في جلسة واحدة[١٩].

في سبيل العلم:

كان الله بقدرته قد وهب ابن عبدالوهاب قلبًا مرهف الحس شديد التأثر، وكان يتألم أشد الألم لما يرى حوله من الحالة البائسة للقرى والمدن في نجد، وكان العلماء في حالة سيئة فضلاً عن العوام. وقد أخذ

---

(١٨) عنوان المجد ١/ ٢٣٦.

(١٩) ابن غنام ١/ ٣٠.

محمد عن والده عبدالوهاب كل ما كان يستطيع. وكان والده من كبار علماء نجد ولم يألُ جهدًا في تعليم ولده ولكن كيف يمكن لمجدد المستقبل ومصلحه أن يرتوي غرفتين من الماء. وكان قد تشرف بحج بيت الله الحرام وكانت مركزية الحجاز قد أثرت في نفسه، وحينما فكر في طلب العلم قصد الحجاز. وحينما كان الشاب الطامح في العشرين من عمره خرج يجول ويصول في الفيافي طلبًا لليلى العلم وتوجه إلى الحجاز[٢٠].

حج بيت الله وزار المسجد النبوي مرة ثانية ثم حضر مجالس العلماء وانقطع لطلب العلم واستفاد بالخصوص بصحبة الشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن سيف أحد العلماء المشهورين من المجمعة في بلاد نجد وكان قد سكن في جوار الرسول عليه الصلاة والسلام[٢١].

وتستطيع أن تعرف جلالة قدر الشيخ عبدالله بن إبراهيم النجدي ثم المدني وإخلاصه من هذه الرواية التي رواها الشيخ محمد بن عبدالوهاب. قال:

«كنت عنده يومًا فقال لي: تريد أن أريك سلاحًا أعددته للمجمعة؟

قلت: نعم.

فأدخلني منزلا عنده فيه كتب كثيرة وقال: هذا الذي أعددنا لها»[٢٢].

---

(٢٠) هذه قصة سنة ١١٣٥هـ تقريباً.

(٢١) كان الشيخ عبدالله بن إبراهيم من الفقهاء المشهورين في زمانه. سافر إلى الشام واستفاد بعالمه الحنبلي الشهير الشيخ أبو المواهب الحنبلي (م ١١٢٦هـ) وكان ابنه إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم (م ١١٨٥هـ) من العلماء المعروفين أيضاً وكتابه «العذب الفائض في شرح ألفية الفرائض» من الكتب المشهورة (السحب الوابلة ص ١١، ١٢).

(٢٢) عنوان المجد ١/ ٧.

وتعرف بالشيخ محمد حياة السندي (م١١٦٥هـ) بوساطة الشيخ عبدالله بن إبراهيم نفسه وكان من أساتذة الحديث المعتمدين في المدينة وصار ابن عبدالوهاب من تلامذته الخواص ومكث عنده زمنًا طويلاً(٢٣).

ويذكر في هذا الصدد تتلمذ ابن عبدالوهاب على العالم الشامي الشهير الشيخ علي الداغستاني (م١١٩٩هـ) ولكن العقل يستبعده(٢٤) وكذلك ورد في بعض الكتب ذكر استفادته من المحدث الكبير محمد بن سليمان الكردي المدني (م١١٩٤هـ) إلا أن السنين والأحوال تشهد بعكس هذا بالإضافة إلى سكوت التواريخ المعتمدة المعاصرة(٢٥).

---

(٢٣) عنوان المجد ١/ ٢٥، وسلك الدرر ٤/ ٣٤.

(٢٤) كان الشيخ علي الداغستاني يحتل مكاناً عالياً في علماء دمشق. أقام مدة في المدينة وروى عن الشيخ محمد حياة السندي واستفاد منه عشرات من الناس. ولد في سنة ١١٢٥هـ ورحل إلى المدينة النبوية وطلب العلم ومكث مدة ثم رجع سنة ١١٥٠هـ (سلك الدرر ٣/ ٢١٥). وعلى هذا فيكون صغيراً جداً أثناء إقامة الشيخ في المدينة ولذلك استبعد استفادة الشيخ منه. وقد ذكر هذا من المعاصرين محب الدين الخطيب (الزهراء رجب ٤٥هـ) ومحمد حامد الفقي (أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني ص ٤٧).

(٢٥) لم يذكر ابن غنام ولا ابن بشر تتلمذه على الشيخ سليمان الكردي، وتفرد بذكره أحمد زيني دحلان فقط (الدرر السنية ص ٣٥-٤٢) وبكل قوة. ولكن كتابه هذا - وكذلك كتابه خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام - مليء بالأخطاء بل الافتراءات حتى أن القلب لا يرضى أن يقبل هذه الرواية التي لا تضر شيئاً. ثم إن السنين تشهد بخلافه. فمحمد بن سليمان الكردي توفي سنة ١١٩٤هـ عن عمر سبع وستين سنة (سلك الدرر ٤/ ١١١، ١١٢) وهكذا تكون ولادته في سنة ١١٢٧هـ تقريباً ويكون صغير السن أيام طلب الشيخ، وتتلمذه عليه بعيد.

وقد ذكر الأستاذ المحترم السيد سليمان الندوي أن الشاه ولي الله الدهلوي (م١١٧٦هـ) وشيخ الإسلام رحمهما الله قد استفادا من منبع واحد أي المسجد النبوي[٢٦].

ولا شك في وحدة المدرسة (المسجد النبوي) مع وحدة المصدر الحقيقي أي الكتاب والسنة إلا أننا لا نعلم وحدة الأساتذة.

ذكر لبيب البتنوني طلبه العلم في مكة المكرمة لكن لا تؤيده أي رواية صحيحة معتمدة. توجه الشيخ من المدينة النبوية إلى البصرة ودرس على الشيخ محمد المجموعي الحديث واللغة ولازم صحبته. ويروي ابن بشر عن أستاذه عثمان بن منصور الناصري أن أولاد الشيخ محمد المجموعي أيضًا كانوا ذوي باع طويل في العلم[٢٧].

وكان يريد الشام أيضًا[٢٨] لكن قلة الزاد حالت دون همه هذا فرجع إلى حريملاء (نجد) بطريق الأحساء حيث انتقل والده في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٦م من العيينة.

---

(٢٦) مذهب سلاطين نجد، معارف نوفمبر سنة ٢٤.

(٢٧) عنوان المجد ١/ ٨.

(٢٨) أما مرغليوث فقد تجاوز الحد (دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ١٠٨٦، ١٠٨٩) في الافتراءات والأكاذيب، حيث يقول: تزوج في بغداد وقد ماتت وتركت ألفين.. زار كردستان وهمذان، وقم، وأصفهان وأقام هناك. كذلك برائجس (Abrief History of Wahhaby P.7) وهيوجز (ص ٦٥٩) وزويمر (ص ١٩٢) وبالغريف (٤/ ٣٦٣) ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق وبعضهم جمع بينهما. ولكن الحقيقة أن شيخ الإسلام لم يجد فرصة التجاوز عن البصرة ولا نجد دليلاً على سفره إلى بغداد أو الشام أو مصر.

في ميدان الدعوة:

كان ابن عبدالوهاب مولعًا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ صغر سنه. وصارت البدع تقلق باله منذ دراسته الابتدائية في الفقه والحديث في العيينة. وكلما وجد عملاً يخالف أصول الدين حاول أداء فريضة النهي عن المنكر.

توجه إلى الحديث بعدما استفاد في المدينة النبوية من محمد حياة السندي وعبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي، ثم رفع بصره ونظر حواليه فرأى العالم مغطى في رداء أسود من الضلال، وحسبما عرفنا أن الشيخ أول ما رفع صوته بإنكار الاستغاثة كان في تلك الأيام وعيلَ صبره حينما رأى أعمال الجهلة عند قبر الرسول الكريم ﷺ. وذات مرة كان واقفًا عند الحجرة النبوية وكانت سوق البدع نافقة أمامه إذ مر عليه أستاذه الشيخ محمد حياة السندي فسأله الشيخ: ماذا تقول في هؤلاء؟

فأجاب الأستاذ: إن هؤلاء متبَّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون[٢٩].

وازداد هذا الشعور في البصرة فصار ينهى عن المنكر بلا خوف. ونتيجة لذلك عانى أنواعًا من المشقات، وفي الأخير اضطر إلى أن يترك البصرة. وزيادة على ذلك عُذّب الشيخ محمد المجموعي أيضًا لأجل صلته به وعطفه عليه.

طرده الأشقياء في وقت الظهيرة وكان يتقدم في هذه الحالة النكدة إلى الزبير[٣٠] حتى جف حلقه من شدة العطش إلى أن جاءه رجل صالح

---

(٢٩) عنوان المجد ١/ ٧.

(٣٠) الزبير: قرية كبيرة قرب البصرة عمرت باسم الزبير بن العوام رضي الله عنه. وأهل هذه القرية معروفون باتباع السنة حتى الآن.

(وكان يملك حميراً يكريها) يسمى أبا حميدان فساعده وسقاه وأركبه على حماره حتى أوصله إلى الزبير[٣١]. وكانت هذه مراحل أولية وأعمالاً تمهيدية للدعوة الأساسية.

فلما رجع إلى حريملاء صمم على استئصال البدع ونشر التوحيد والأخلاق، وأسس دعوته على تحقيق التوحيد وركز على إخلاص العبودية لله تعالى فقط أيّا كان نوعها. وكان شعاره إعلاء كلمة الله.

وليس من لعب الأطفال التصدي لإصلاح أخلاق فسدت من القرون الطويلة. وكان يريد أن يُوجد عواطف الصلاح والشفقة في البدو بدلاً من عادات السرقة وقطع الطرق والخداع والنهب.. كانت غايته إصلاح عقيدة الجهال وإقامتهم بباب الإله الحقّ بدلاً من الآلهة الباطلة والقبور والقباب. ولا يتجرأ على هذا كل من هب ودب. هذا عمل يقتضي الإيمان الخالص والعزيمة الصادقة. ويظهر من خلال تلك المصائب الشديدة التي عاناها الشيخ في هذا السبيل والمشقات التي استقبلها صابراً ضاحكًا مبتسمًا أنه كان متحليًا بهذه الأوصاف حق التحلي.

دعا إلى التوحيد وحاول النهي عن الخضوع لغير الله والاستغاثة بالقبور والأولياء واتخاذ عباد الله الصالحين آلهة يعبدون.

واتخذ خطوات عملية للقضاء على البدع التي دخلت في الطريقة المسنونة في زيارة القبور - ولا تسأل بعد هذا - فقد تدفّقت سيول المخالفات، وبدأ الأعزاء والأقرباء يؤذونه حتى أن الوالد نفسه ما أعجبه هذا الصنيع. وكان الشيخ يراعي كل المراعاة أدب الوالد واحترام الأستاذ ولكن الخطوات المتقدمة لم تتراجع. تجاوز الإيذاء كل الحدود ولكن جبل

---

(٣١) عنوان المجد ١/ ٨.

الصبر والعزيمة لم يتزحزح عن مكانه. ومع كل العقبات والموانع ما زال يستمر في دعوته، واشتهر أمره في جميع مدن العارض وحريملاء والعيينة والدرعية والرياض وغيرها وبدأت تعاليمه تنتشر.

كانت الدعوة مستمرة - ولكن سيرها كان بطيئًا بسبب برودة الوالد[٣٢] وتوفي الوالد في سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م فاشتدت الدعوة. وبدأ يدعو الناس إلى اتباع السنة ونبذ البدع جهراً على رؤوس الأشهاد، وتأثر به بعض أهل حريملاء فصاروا من أشد مناصريه ومساعديه، وبدأوا يحضرون دروس الشيخ ويستفيدون من مواعظه، وألف الشيخ «كتاب التوحيد» في هذه المدة[٣٣].

في العيينة سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م:

خطت الدعوة خطواتها الأولى وحينذاك أحس الشيخ أنه من الصعب نجاح الدعوة في حالة الفوضى هذه. ففي كل ناحية أمير[٣٤] حتى في حريملاء نفسها قبيلتان تتناحران للرئاسة[٣٥] وفي مثل هذه الأحوال كان من الصعب اتخاذ أي خطوة مؤثرة. فصمم العزم على توحيد بلاد نجد كلها تحت راية واحدة. وكان يعرف كل المعرفة أنه ليس من السهل نشر الدعوة في البلاد

(٣٢) ذكر محمد حامد الفقي (ص ٥١) أن الشيخ عبدالوهاب كان محايداً.

(٣٣) روضة الأفكار ١/ ٣٦.

(٣٤) نظراً للسهولة في الأمور الإدارية كانت البلاد تقسم إلى أربعة أقسام في العصر العثماني: ولاية ولواء وقضاء وناحية. وكانت العارض من النواحي ذكرها الألوسي باسم «ناحية العارض».

(٣٥) ذكرت في عنوان المجد (١/ ٩) فتنة بعض العبيد الذين كانوا يريدون قتل الشيخ. والكتب الأخرى التي ذكرت هذه القصة مأخذها في الغالب هو هذا.

القاصية والدانية في مدة قصيرة إلا بحماية أمير ذي قوى ونفوذ[٣٦] وهذه هي الأفكار التي دعته إلى مكاتبة أمير العيينة عثمان بن معمر. ولما وجد الأمير مستعدًا لقبول الحق انتقل بنفسه إلى العيينة فأكرمه الأمير كل الإكرام وعظّمه كل التعظيم. وتزوج الشيخ بجوهرة بنت عبدالله بن معمر فتوطّدت العلاقات أكثر في الظاهر. ولكن الشيخ كان يحمل غاية وهدفًا معينًا ومحددًا فالعلاقات الشخصية والقبلية قد تكون وسيلة للوصول إلى ذلك الهدف والغاية ولكنها ليست غاية. عرض الشيخ دعوته على أمير العيينة وفسر له معنى التوحيد وطلب منه العون والمساعدة في هذه المهمة الجليلة.

وكلمات الشيخ هذه جديرة بأن تُحفظ وتذكر.

---

(٣٦) ولا يخفى على العاقل البصير أن القوة المادية لها أهمية عظيمة في نشر الدعوات والأفكار مع القوة المعنوية والحجج والبراهين. فإن أي دعوة إذا لم تكن لديها من القوة ما يحميها ويذود عنها سرعان ما تتكالب عليها قوى الشر والطغيان حتى تستأصل خضراءها. وتظهر هذه الأهمية من قوله تعالى: **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾**. وكذلك قوله تعالى: **﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾** [الإسراء: ٨١] قال قتادة فيها: إن نبي الله ﷺ لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم، قال ابن كثير: وهو الأرجح لأنه لابد مع الحق من قهر من عاداه وناوأه.. وفي الحديث: **إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن**» (تفسير ابن كثير ٢: ٦٤) «مترجم».

«إني لأرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يُظهرك الله تعالى وتملك نجدًا وأعرابها»[٣٧]. قدم هذا العرض إلى عثمان بكل صدق وإخلاص ولكن مع الأسف لم يستطع أن يثبت على هذا فذاق عاقبته الوخيمة وأخيرًا انتقلت هذه النعمة من العيينة إلى الدرعية.

وعلى كل حال فقد وعد عثمان بن معمر بالمساعدة والنصر، واعتمادًا على نصرته بدأ الشيخ يصدع بدعوته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآن لأهل العيينة أن تخشع قلوبهم لقبول الحق رويدًا رويدًا.

وفي هذه المدة تصدى الشيخ للقضاء على بعض مراكز البدع ونجح في مهمته هذه. فقد كانت هناك بعض الأشجار تُعظّم في هذه الناحية فقلعها من أساسها[٣٨].

---

(٣٧) عنوان المجد ١/ ٩.

(٣٨) كانت في بلاد نجد عدة أشجار تعبد من دون الله. وذكر الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار نقلاً عن ابن غنام: كان في بليدة الفدا ذكر النخل المعروف بالفحال بقصده الرجال والنساء ويفعلون عنده من المنكر ما يأباه الدين والذوق والعقل ويعملون بين يديه من أعمال العبادة ما لا يصلح عمله إلا لله وحده.
فالرجل المضيّق عليه في الرزق والمكروب والمريض يطلبون إلى الفحال أن يوسع الرزق ويفرج الكرب ويشفي المرض.
والمرأة التي لم يتقدم إليها خاطب تتوسل إليه في خضوع وتقول له: «يا فحل الفحول ارزقني زوجاً قبل الحول» فإذا أتمت ابتهالها إليه انصرفت إلى الشبان تغريهم فإذا تزوجت أحدهم خُيّل إليها أن ذلك من عمل فحل الفحول.
وكذلك قدسوا «شجرة الطرفية» تقديساً كبيراً فإذا ولدت المرأة ذكراً علقت عليها حبلاً أو قطعة من نسيج رجاء أن تطيل الطرفية عمره، فكان الرائي إذا أبصرها لا يكاد يبصر الأغصان والأوراق والساق، بل يظن الرائي أول وهلة أن ما يرى ليس إلا كومة من الحبال وقطع النسيج لكثرتها (محمد بن عبدالوهاب، لأحمد عبدالغفور عطار ص ٢٠-٢١ الطبعة الثانية) (المترجم).

وكان يوجد قبر باسم زيد بن الخطاب رضي الله عنه[٣٩] كان استشهد يوم اليمامة، كان هذا القبر في الجبيلة وعليه قبة فهدمها ولم يكن هذا أمراً هيناً حينذاك. ويذكر ابن بشر قصة هدم القبة فيقول:

«فقال لعثمان: دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى.

فقال: دونكها فاهدمها.

فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بنا. ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي.

فساعده عثمان بنحو ستمائة رجل. فلما قربوا منها ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوهم. فلما رآهم عثمان علم ما همّوا به فتأهّب لحربهم وأمر جموعه أن تتعزل للحرب. فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخلوا بينهم وبينها.

ذكر لي أن عثمان لما أتاها قال للشيخ: نحن لا نتعرضها. فقال: أعطوني الفأس. فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها ثم رجعوا فانتظر تلك الليل جهال البدو وسفهاؤهم ما يحدث بسبب هدمها، فأصبح في أحسن حال»[٤٠].

هذا بيان حادثة واحدة ولكن كانت هناك عقبات علي كل خطوة فبعض الجهال والعلماء والمشائخ كانوا منغمسين في ظلمات البدع. كان صوت محمد بن عبدالوهاب وجهده هو الذي رفع لواء الحق بعد ظلمات

---

(٣٩) زيد بن الخطاب هذا هو أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان من جملة الشهداء الذين استشهدوا في معركة اليمامة في قتال مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ. وكانت هذه القبة إحدى مراكز البدع والوثنية تشد إليها الرحال للاستغاثة والنذر والذبح وغير ذلك (المترجم).

(٤٠) عنوان المجد ١/ ٩، ١٠.

وضلالات دامت قرونًا طويلة، وعرفت البشرية تعاليم الإسلام الصحيحة.

أمر الشيخ عثمان بن معمر بإحياء الصلوات مع الجماعة وعُينت عقوبات للمتخلفين. وكان الأمراء يأخذون أنواعًا من الضرائب والرسوم فرفعها الشيخ ونفذ الزكاة فقط. وكان هذان عملين جيدين عملهما عثمان ابن معمر وتسبب فيهما الشيخ. إلا أن الأعداء يطعنون فيهما أيضًا ويبغونهما عوجًا.

وفي العيينة بدأ الشيخ يؤلف رسائل الدعوة المتسلسلة التي استمرت إلى وفاته، وصار له بعض الأنصار في الدرعية فكان يرشدهم ويوجههم من العيينة[41].

الدعوة تُنفى من العيينـة:

كادت الدعوة أن تتكلل بالنجاح في العيينة وكادت مهمة الإصلاح أن تكتمل، ولكن ظهرت بادرة شر - وما قُدِّر كان - إلا أن آلافًا من الخيرات كانت مختفية وراءها.

«أتت امرأة إلى الشيخ واعترفت عنده بالزنا والإحصان وتكرر منها الإقرار فسأل عن عقلها فإذا هي صحيحة العقل، وقال: لعلك مغصوبة. فأقرت واعترفت بما يوجب الرجم فأمر بها فرُجمت - وأول من تقدمت يده إلى الحجر كان عثمان»[42].

أثارت هذه الحادثة المفاجئة بلبلة في الأطراف والنواحي وخاصة في محافل المتعوّدين بالجرائم فامتعضوا أشد الامتعاض وبلّغ الوشاة والنمامون

(٤١) روضة الأفكار ١/ ٢٠٠.

(٤٢) روضة الأفكار ٢/ ٢٣. عنوان المجد ١/ ١٠.

ذلك إلى سليمان بن عريعر الحميدي أمير الأحساء والقطيف وحرضوه على معاداة الشيخ، وكان هذا الرجل منحرف المزاج خليعًا متهتكًا وكان من المتوقع تمامًا عن أمثال هؤلاء أن يغضبوا ويثوروا على حادثة الرجم. وقال له القائلون: إن هذا الرجل ابن عبدالوهاب يريد أن يسلب عنك حريتك. وكان الكلام مؤثرًا في قلبه فكتب إلى أمير العيينة عثمان بن معمر مهددًا:

«إن هذا المطوّع[43] الذي عندك قد فعل وفعل. . . وقال اقتله، فإن لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الأحساء»[44].

وكان المبلغ كبيرًا أي ألفًا ومائتي دينار سنويا عدا الأمتعة والأموال. فوقع عثمان في حيرة وغلب طمع الدنيا على حماية دعوة التوحيد، ولعل الدعوة لم تكن قد رسخت في قلبه بعد ولعله ما كان يعرف تلك النعم التي تنزل على من يقوم بنصرة الحق.

وفي هذه الحيرة والاضطراب أخبر الشيخ برسالة أمير الأحساء. فأراد الشيخ أن يطمئنه وحاول تفهيمه بيقين الواثق. وإليك كلمات الشيخ هذه كما أوردها ابن بشر:

«إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كلمة لا إله إلا الله وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله سبحانه يظهرك على أعدائك فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك»[45].

بذل الشيخ كل جهوده في إقناعه ولكن إذا سيطر على القلوب خوف زوال الدنيا فلا تؤثر حينذاك أي موعظة ولا تنجح أي نصيحة. خجل عثمان

---

(٤٣) المطوع: طالب العلم والمعروف بالتقى وطاعة الله تعالى.

(٤٤) عنوان المجد ١/ ١٠.

(٤٥) عنوان المجد ١/ ١٠.

أول الأمر بنصيحة الشيخ الموقرة المبشرة فأحجم ولكنه لم يستطع أن يصبر فأرسل إلى الشيخ مرة أخرى قائلاً:

«إن سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم والمروءة أن نقتلك في بلادنا، فشأنك ونفسك وخلّ بلادنا»(٤٦).

أرسل إليه هذه الرسالة وأخرجه من العيينة مع جندي يسمى فريدا الظفيري. وقصة هذا النفي محزنة مليئة بالعبر: حر صحراء العرب والشيخ يمشي أمامه راجلاً ليس في يده إلا مروحة ووراءه فريد راكبًا على الفرس وحسبما يروي ابن بشر كان ابن معمر أوعز. إليه أن يقتله. الشيخ يمشي ويردد قول الله تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ ولم يخاطب الجندي طول الطريق، ولما بسط يده ليقتله أمسكته قوة غيبية كما حدَّث هو بنفسه وغلب عليه الفزع والهلع وفر راجعًا على أعقابه إلى العيينة. لقد أدهشته قوة الصدق ورأى حياته في خطر فعلاً(٤٧).

---

(٤٦) عنوان المجد ١/ ١٠.

(٤٧) يظهر من هذه الرواية أن عثمان بن معمر قد تنكر للشيخ ودعوته أو أنه لم يكن مخلصاً في نصرة الدعوة بل كان يرجو عرض الدنيا ولكن هذه الرواية تفرد بها ابن بشر وسكت عنها الآخرون ويقول الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار إن ابن بشر أيضاً قد رجع عن روايتها في المبيضة وأبطلها. ففي كتاب (عنوان المجد) لابن بشر ج ١/ ١٥ طبعة مطبعة الشيندر ببغداد سنة ١٣٢٨هـ التي أشرف على تصحيحها العلامة الشيخ محمد بن مانع ما نصه: «واعلم رحمك الله أني قد ذكرت في المبيضة الأولى أشياء نقلت لي عن عثمان بن معمر وفرسانه وأنه أمر بقتل الشيخ في الطريق وغير ذلك. ثم تحقق عندي أن ليس لها أصل بالكلية فطرحتها من المبيضة» (محمد بن عبدالوهاب، لأحمد عبدالغفور عطار - الطبعة الرابعة سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٥٨).

في الدرعية سنة ٥٨-١١٥٧هـ:

توجه الشيخ إلى الدرعية بعدما جاوز حدود ابن معمر ووصل هناك وقت العصر فنزل أولاً في بيت عبدالله بن عبدالرحمن بن سويلم العريني ثم انتقل إلى بيت أحد تلامذته أحمد بن سويلم. ولما بلغ الخبر إلى أمير الدرعية محمد بن سعود حضر إليه مع إخوته مشاري وثنيان، وكلهم عاهد الشيخ على الطاعة والنصر[٤٨].

هذه الرواية الموجزة مأخوذة من ابن غنام أما ابن بشر فقد فصّل هذه الحادثة التي لها أهمية خاصة في سيرة الشيخ التبليغية. وبعد رواية ابن غنام نذكر رواية ابن بشر أيضًا:

«وأما الشيخ فإنه سافر إلى الدرعية فوصل إلى أعلاها وقت العصر فقصد إلى بيت محمد بن سويلم العريني فلما دخل عليه ضاقت عليه داره وخاف على نفسه من محمد بن سعود فوعظه الشيخ وأسكن جأشه، وقال: سيجعل الله لنا ولك فرجًا ومخرجًا»[٤٩].

مساعدة الأمير محمد بن سعود:

نزل الشيخ في بيت ابن سويلم فصار مركزًا لدعوة التوحيد، وبدأ الناس يؤمّونه متستّرين واستفاد أهل العلم بالخصوص ولكن هذه الحالة ما

= وبعد ما ثبت أن ابن بشر رجع عن رواية هذه القصة فالظاهر أن ابن معمر لم ير في نفسه قدرة على الدفاع عن الشيخ ودعوته فأحب أن ينتقل الشيخ إلى بلد آمن، ولما كانت القدرة الإلهية قد سجلت هذه المناقب للأمير محمد بن سعود وأولاده اختار الشيخ الدرعية ونزل فيها. والله أعلم (المترجم).

(٤٨) روضة الأفكار ٢/ ٤.

(٤٩) عنوان المجد ١/ ١١.

كانت مرضية فأراد الشيخ أن يتصل بالأمير فكلم إخوته مشاري وثنيان فكلّما أولاً زوجة الأمير موضي بنت أبي وهطان وكانت امرأة ذكية متدينة فأثنوا على الشيخ وذكروا علمه وفضله وحثوها على الاتصال بالأمير. وشاء الله أن يتأثر قلب موضي بعلم الشيخ وفضله فقالت للأمير:

«إن هذا الرجل أتى إليك وهو غنيمة ساقها الله لك فأكرِمْه وعظّمه واغتنم نصرته»(٥٠).

كان الأمير محمد بن سعود معروفًا بأخلاقه النبيلة من قبل دعوة الشيخ فقد تأثر بكلام زوجته واستقر في قلبه حب الشيخ وسارع إلى لقائه بعدما ذكر له فاستقبله بكل محبة وتعظيم. فعرض عليه الشيخ أهم أصول دعوته (معنى لا إله إلا الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد) وألقى خطبة موجزة ذكر فيها المساوىء الموجودة في أهل نجد ولفت نظره إلى إصلاحها فتأثر الأمير ونطق قائلاً:

«يا شيخ! إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد ممن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنين:

١ - نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترتحل عنا وتستبدل بنا غيرنا.

٢ - إن لي على الدرعية قانونًا آخذه منهم في وقت الثمار أخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئًا.

قال الشيخ:

أما الأولى: فابسط يدك. الدم بالدم والهدم بالهدم.

وأما الثانية: فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوّضك الله من

---

(٥٠) عنوان المجد ١/ ١١.

الغنائم ما هو خير منها».

فبايع الأمير على يد الشيخ وعهد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأظهر الاستعداد للعمل بالكتاب والسنة، وجرى هذا في سنة ١١٥٧هـ أو سنة ١١٥٨هـ[٥١].

وما أن بايعه الأمير حتى بدأ الناس يأتون إليه زرافات ووحدانًا يستفيدون من علمه ويجدّدون إيمانهم. وانتقل من العيينة إلى الدرعية أصحابه وتلاميذه الأقدمون وكان منهم بعض أقرباء الأمير عثمان بن معمر نفسه.

الجيل الأول:

كان الناس ينجذبون إلى الشيخ من أيام قيامه في العيينة إلا أنهم كانوا قد قضوا مدة طويلة تحت ظلمات البدع فكانوا يتلكّأون في الإذعان للحق، ولكن إقامته في الدرعية وسمعة الأمير محمد بن سعود الطيبة قد هيأتا للدعوة أرضًا صالحة، وقد وصلت إلينا بفضل ابن غنام بعض أسماء أولئك السعداء الذين لبّوا هذه الدعوة بكل حماسة في بدايتها وابتلوا في سبيل ذلك بالمحن والبلايا. وأول من يذكر من الوجهاء والأعيان هم إخوة محمد ابن سعود الثلاثة: مشاري، وثنيان، وفرحان[٥٢].

---

(٥١) يذكر ابن غنام موجز هذه الأمور في حدود سنة ١١٥٧هـ حيث يقول: «كانت هذه الأمور في حدود سنة سبع وخمسين بعد المائة والألف من الهجرة (٢/ ٤) وأما ابن بشر فيذكر تاريخ انتقاله إلى الدرعية سنة ١١٥٨هـ (١/ ١٥) وبقية التفاصيل مأخوذة من عنوان المجد (١/ ١١، ١٢).

(٥٢) إن بيت الأمير محمد بن سعود وأهله كلهم قد أبلوا بلاء حسناً في سبيل الدعوة والجهاد فيما بعد ولكننا نتكلم الآن في الدعوة في حياة الشيخ. وقد امتاز في هذا الصدد ثنيان بن سعود (م سنة ١١٨٦هـ) ومشاري بن سعود (م سنة ١١٨٩هـ)=

وامتاز من أهل العلم أحمد بن سويلم وعيسى بن قاسم.

ومن ناحية الوجاهة والتأثير العام يذكر محمد الحزيمي وعبدالله بن دغيثر وسليمان الوشيقري ومحمد بن حسين. وكما يقول فلبي:

«هؤلاء هم فرسان الوهابية البواسل، وتُذكر أسماؤهم باحترام حتى الآن، وأولادهم يعتبرون جديرين بكل تكريم واحترام في القصر الملكي» (ص: ١٢، ١٣).

ابن معمر وندامته على صنيعه:

لقد اضطرب ابن معمر حينما بلغت إليه أخبار انتشار الدعوة وقبولها المتزايد يومًا بعد يوم فندم على فعلته الأولى وحضر إلى الشيخ واعتذر إليه وطلب منه العودة إلى العيينة فأجابه الشيخ بصراحة:

«ليس هذا إليَّ. إنما هو إلى محمد بن سعود فإن أراد أن أذهب معك ذهبت وإن أراد أن أقيم عنده أقمت. ولا أستبدل برجل تلقاني بالقبول غيره إلا أن يأذن لي»[٥٣].

ولما سمع منه هذا الجواب الصريح ذهب إلى مضيفه محمد بن سعود واستأذنه ولكنه لم يكن راضيًا بأن يُبعد عن بيته هذه النعمة بأي ثمن.

= أما مشاري فقد قدم مساعدات ضخمة لأخيه وقد أظهر ابنه حسن بن مشاري براعة سيفه في الحروب.

وأما ثنيان بن سعود فكان زاهداً عفيف النفس وهو وإن كان قد حرم من بصره ولكن بصيرته كانت نافذة. والحقيقة أن محمد بن سعود قد استعد لمساعدة الشيخ بإشارة منه. (روضة الأفكار ١/ ٩٤، ١٠٥، وعنوان المجد ٢/ ١٠).

(٥٣) عنوان المجد ١/ ١٣.

في ميدان العمل:

كانت الدرعية قرية صغيرة قبل أن يأتي إليها الشيخ وكانت سوق الجهل نافقة فيها، فأقام الشيخ حلقات للوعظ والدرس وبدأ يعلم القادمين إليه علم الكتاب والسنة من الصباح إلى المساء. وكان يجعل جل اهتمامه الأمور اللازمة المهمة في دعوته - دعوة التوحيد وإخلاص العبادة لله - ويرسخها في قرارة النفوس. وقد أظهر شخصه الجذاب ودعوته الصادقة أثرهما العاجل. وكان من فوائد مجالس الوعظ والتذكير أن تقشعت سحائب «ما ألفوا عليه آباءهم». وصار الناس ينظرون إلى خرافات التقاليد والعادات بمنظار الكتاب والسنة فقط.

وإن جاذبية هذه المجالس بدأت تجذب العطاش إلى العلم من البلدان النائية إلى الدرعية، وكانت الأرزاق قليلة ولذلك كان هؤلاء الطلبة يعملون أو يحترفون بحرفة في الليل لكي يحصلوا على قوتهم الذي يقيم أوْدَهم أما النهار فقد كانوا وقفوه لسماع آيات الله وأحاديث رسوله المصطفى ﷺ. وبسبب كثرة التلاميذ وضيافتهم كان الشيخ مدينًا دائمًا. ولكن الدعوة كانت تزداد توسعًا وانتشارًا يومًا بعد يوم وأن سلسلة القادمين ما كانت تكاد تنقطع[٥٤].

اتساع الدعوة:

كان أهل الدرعية من أنصار الدعوة منذ أن دخلها الشيخ ولكنهم ما كانوا ليكتفوا بهذا فقط بل كانوا يدعون أمراء نجد وأهل نواحيه إليها ويخبرونهم بدعوتهم ويرغبونهم فيها. وقد واجهوا مخالفات واتهموا

---

(٥٤) عنوان المجد ١/ ١٣، ١٥.

باتهامات وافتريت عليهم افتراءات ولكن الحق ما زال يرتفع ويدوي وبدأت ثمراته تظهر بعد حين، فقد بايع أمير العيينة في السنة الثانية من قيام الشيخ (سنة ١١٥٨هـ أو ١١٥٩هـ) وعاهد على إقامة الحدود الشرعية، وجاء أهل حريملاء أيضًا بعد أيام قلائل وبايعوا أيضًا.

ومن ناحية أخرى كانت مساعدات الأمير محمد بن سعود تنهال عليه انهيالاً؛ فقد كان يأتي بجميع أموال الزكاة والخمس ويلقيها بين يدي الشيخ يتصرف فيها كيفما يشاء، وكان الشيخ ينفقها في سبيل الله بلا تردد ولا إقتار. والأمير محمد بن سعود وكذلك ولي عهده عبدالعزيز بن محمد بن سعود (م١١٧٩هـ/ ١٨٦٥م الذي تولى الإمارة بعد وفاة والده في سنة ١١٧٩هـ) ما كانا يحركان ساكنًا إلا بعد استشارة من الشيخ وإذن منه. ولكن الشيخ كان ورعًا زاهدًا فلم يكن يدخر حبة واحدة من هذه الأموال بل كل ما يجيء إليه ينفقه في سبيل الله. قال ابن بشر:

«وكان الشيخ رحمه الله لما هاجر إليه المهاجرون تحمل الدين الكثير في ذمته لمؤنتهم وما يحتاجون إليه وفي حوائج الناس وجوائز الوفد إليه من أهل البلدان والبوادي وذكر له أنه حين فتح الرياض كان في ذمته أربعون ألف نجدية فقضاها من غنائمها»[٥٥].

واستمرت سلسلة الديون والإنفاق في سبيل الله إلى فتح الرياض.

وأما بعد فتح الرياض[٥٦] فقد اطمأن الشيخ بنجاح دعوته إلى حد ما ففوَّض الأمور كلها إلى الأمير عبدالعزيز وتخلى من أمور بيت المال ووجه كل عنايته وجهوده إلى التعليم والتدريس. ولكن عبدالعزيز ما كان يتصرف إلا بإذن من الشيخ وإشارة منه.

---

(٥٥) عنوان المجد ١/ ١٥.

(٥٦) فتح الرياض في ربيع الآخر سنة ١١٨٧هـ أو بعده (يونيو سنة ١٧٧٣م) عنوان المجد.

الدعوة خارج حدود نجد

كانت دعوة الشيخ محصورة في نواحي نجد حتى الآن ولكنها كانت دعوة عامة فما كان نجد وحده يحتاج إلى إصلاح، بل العالم الإسلامي كله كان في غاية الانحطاط ولكن بداية الإصلاح تكون من البيت فلذلك كان من الطبيعي أن تكون العيينة وحريملاء والدرعية والعارض المراكز الأولية لدعوة الشيخ. ولكن من حين أن ظهرت بوادر الحياة في هذه النواحي وسّع الشيخ نطاق دعوته وكتب رسائل تبليغية إلى علماء البلاد النائية وأمرائها وقضاتها وحرّضهم على قبول دعوته ولكن قليل من لبى هذه الدعوة في بدايتها وأما الأكثرون فقد استهزؤوا وسخروا، فمنهم من رماه بالجهل ومنهم من زعم أنه ساحر واتهموه باتهامات وافتروا عليه افتراءات كان الشيخ منزهًا عنها.

ومن أبرز الملبين للدعوة والمؤيدين لها عالم صنعاء المجتهد الأمير محمد بن إسماعيل (م سنة ١١٨٢م) ولما بلغته دعوة الشيخ أنشأ قصيدة بليغة تلقاها العلماء بالقبول ومطلعها:

سلامي على نجد ومن حلَّ في نجد وإن كان تسليمي من البُعد لا يجدي

وفي هذه القصيدة مدح للشيخ وثناء عليه وذم للبدع ورد شديد على عقيدة وحدة الوجود وأمور أخرى نافعة جدًا[٥٧].

---

(٥٧) لقد نالت هذه القصيدة رواجاً عظيماً بين دعاة التوحيد من العلماء والطلاب وضاق بها ذرعاً أعداء التوحيد في كل مكان وزمان حتى أن أحدهم تصدى للرد عليها فقال قصيدة مطلعها:

سلام بكسر السين لا فتحها نُهدى لمن حلَّ في صنعا ومن حل في نجد

ولما سمع بها أستاذنا العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي - ولم يسمع إلا مطلعها - رد عليها بقصيدة رائعة تحتوي على تسعة وأربعين بيتاً. وهذه بعض أبياتها:

سلام بكسر السين في قصفة الرعد إلى عابد الأوثان في السهل والنجد=

وكان من أعظم أسباب فرح الأمير محمد بن إسماعيل[٥٨] أنه كان يظن نفسه منفردًا في هذا الميدان. كما يظهر من شعره هذا:

لقد سرني ما جاءني من طريقه
وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد فرح الشيخ بقصيدة الأمير اليمني وتشجع بها وأشار إليها في

= تعمّهم طرًا وتختص مارقًا   تصدى بلا علم لهجو أولي المجد
وأعني بذا «البيتي» من حل طيبة   كما درج الشيطان في جنة الخلد

إلى أن وصل إلى ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقال:

وثانيهما الشيخ الإمام محمد   بدا في رُبى نجد ضياءً لمستهد
فجدَّد دين الله بعد دثوره   فزال ظلام الشرك والفتنة المردي
بدعوته عادت شريعة أحمد   إلى عهدها الماضي فيا لك من عهد
وحطم أوثانًا وأوجد دولة   من العرب بعد الضيم والأسر والجهد
فأكرم بها من دعوة أحمدية   فضائلُها جلَّت من الحصر والعد
قلاها عداة الحق من كل أمة   وكادوا لها كيدًا عظيمًا بلا حد
وحاربها منهم جيوش كثيرة   وأبدت من العدوان ما لم تكن تبدي
فأكرم رب الناس بالنصر حزبه   فولّت جيوش البغي بالخزي والطرد
وذي سنة الجبار في كل من بغوا   على حزبه يمنّون بالقصم والرد

(المترجم)

(٥٨) كان الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني مجتهداً مطلقاً إماماً في عصره، ولد في ليلة الجمعة ١٥ جمادى الآخرة سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م في كحلان وتوفي في ليلة الثلاثاء ٣ من شعبان سنة ١١٨٢هـ/ ١٧٦٩م. وقد تقدم ذكر رسالته الموجزة في التوحيد (تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد) وسنذكرها فيما بعد أيضاً. ولمؤلفاته يراجع بروكلمان، ملحق ٢/ ٥٥٦ ولترجمته يراجع البدر الطالع ٢/ ١٣٣-١٣٩ وعنوان المجد ١/ ٥٣-٥٦.

بعض رسائله[٥٩].

(٥٩) ابن غنام ٢ : ٤ ، ١ : ٥٦ ، ٥٨ .

هذا وقد أجاد الإمام الصنعاني في قصيدته وأحسن في عرض العقيدة الإسلامية الصحيحة والدفاع عنها ومدح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مدحاً عظيماً.

وما أجمل هذه الأبيات:

قفي واسألي عن عالم حلّ سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
محمد الهادي لسنة أحمد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي
لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا ورد
وما كل قول بالقبول مقابل ... ولا كل قولٍ واجب الطرد والرد
سوى ما أتى عن ربنا ورسوله ... فذلك قول جل يا ذا عن الرد
وأما أقاويل الرجال فإنها ... تدور على قدر الأدلة في النقد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه فوافق ما عندي
لقد سرني ما جاءني عن طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي

وقد افترى بعض أعداء التوحيد قصيدة على لسان الإمام الصنعاني وأدخلها في ديوانه وزعم أنه رجع عن هذه القصيدة. وقد احتوت هذه القصيدة المزورة وشرحها على أمور لا يتصور صدورها عن أي طالب علم فضلا عن إمام عظيم كالصنعاني. وذلك ككلامه عن أهل الردة مانعي الزكاة في عصر أبي بكر رضي الله عنه والمختار بن أبي عبيد الثقفي والجعد بن درهم وإنكاره للإجماع. وزعم هذا المفتري أنه أكثر النقل عن الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم مع أن كلامه في النظم وشرحه مناقض تماماً لما ذكره ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله. وأما كلامه عن الوثنيات المنتشرة في بعض طوائف المسلمين فهو مخالف تماماً لما ذكره الصنعاني نفسه في كتابه «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» وهو الذي يجعل الباحث المنصف يحكم بأن هذه القصيدة المزورة وشرحها لا تصح نسبتها إلى الإمام الصنعاني رحمه الله. فإن كان الصنعاني رجع عن القصيدة النجدية فهل=

وقد خالف الشيخ أخوه سليمان بن عبدالوهاب (م سنة ١٢٠٨هـ) وكان قاضيًا في حريملاء وخلفًا عن أبيه، فألف رسائل في الرد عليه مملوءة بالأكاذيب، وكما يقول ابن غنام إنما خالفه «حسدًا وغيرة» وألف الشيخ أيضًا رسائل في الرد على ما كتبه إلا أن الله تعالى قد هداه في آخر الأمر فرجع إلى أخيه تائبًا[٦٠].

رجع إلى أخيه بالدرعية تائبًا سنة ١١٩٠هـ فأحسن إليه الشيخ وأكرم مثواه وتوجد رسالة سليمان بن عبدالوهاب مطبوعة باسم «الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية» وأعداء التوحيد يتشدّقون بذكر هذه الرسالة ولكنهم يذوبون خجلا وحياء عند ذكر رجوع سليمان وتوبته.

= رجع عن دعوته ورسالته أيضاً وقد ناضل من أجلها طوال حياته؟
ولو سلمنا أن الصنعاني رجع عن القصيدة النجدية وتأثر بتلك الشائعات والافتراءات التي كانت تذاع وتشاع عن دعوة التوحيد تنفيراً للناس فهذا لا يضر شيئاً الشيخ محمد بن عبدالوهاب ولا دعوته وذلك لأن دعوته مدعمة بالكتاب والسنة وهي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين الذين بعثوا للناس، وإذا كانت الدعوة مستنبطة من الكتاب والسنة النبوية فهي ليست في حاجة إلى تأييد العلماء بل إن العلماء هم أنفسهم في حاجة إلى تأييدها ونصرتها وهذا واجب يحتمه عليهم الإسلام. وللتفصيل في هذا الموضوع يرجع إلى كتاب «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» سليمان بن سحمان رحمه الله.
هذا، وقد قام الأستاذ الفاضل أبو بكر زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي في بيروت بتحقيق القصيدة النجدية للإمام الصنعاني وطبعها في صورة رسالة طبعة أنيقة جذابة فجزاه الله خير الجزاء. ولو أضيفت إليها قصيدة الدكتور الهلالي لصار النفع أعم وأتم.

(٦٠) ابن غنام ٢/ ١٠٨.

لقد بلغت مخالفة سليمان بن عبدالوهاب أشدها وفي تلك السنة جمع الشيخ المسلمين من الأطراف والنواحي وألقى عليهم خطبة شرح فيها دعوته بصورة واضحة صريحة.

وسنذكر مبادىء الدعوة والموافقة عليها أو المخالفة مفصلة فيما بعد، والغرض هنا ذكر عموم الدعوة وشمولها. فالمتعطشون للعلم يرحلون إلى الدرعية أفواجًا. ورسائل الشيخ في الدعوة والتوجيهات كانت تنتشر في كل ناحية.

ابن دواس وأعداء آخرون:

لقد كان دهام بن دواس(٦١) أمير الرياض يبتلي الموحدين في الرياض ومنفوحة بأنواع المصائب والمحن وما كان لهم أي ذنب سوى أنهم انخرطوا في سلك دعوة التوحيد واتبعوا الشيخ في دعوته. ولفت أعتداءاته انتباه الشيخ والأمير محمد بن سعود منذ السنة الثالثة من إقامته في الدرعية (سنة ١١٥٩هـ) فاضطر الشيخ إلى أن يأذن لأتباعه في المقاومة والدفاع، حينذاك قام الأمير محمد بن سعود وإخوانه وأبناؤه ونكّلوا بالمعاندين واستمرت

---

(٦١) لقد كان دهام دنيء الطبع، قاسي القلب، متوحش الخلق، غضب مرة على امرأة فأمر أن يخاط فمها، وغضب على رجل ذات مرة فأحضر بين يديه فقطع قطعة من فخذه وأمره أن يزدردها نيئة ولما لم يستطع ضربه ضرباً مبرحاً حتى طلب أن تشوى له فشويت فابتلعها وهو يكاد يلفظ نفسه الأخير، وبينما كان يشرب قهوة الصباح في بيته إذ سمع رجلاً يدعو الله فأرسل زبانيته ليأتوا به فقطع لسانه بيده. وكان دهام هذا عبداً لأحد عبيد أمير الرياض الأسبق ولكنه تسلط على الإمارة بحيلة ومكر وخبث. وللتوسع في معرفة هذا يرجع إلى: روضة الأفكار ص ٨٩، ٩٠ تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد (المترجم).

الحروب مدة طويلة .

واستمرت المناوشات مع أمير الرياض دهام بن دواس إحدى وثلاثين سنة تقريبًا . وما زالت القوتان تتحاربان من سنة ١١٥٩هـ إلى ١١٨٧هـ . وفي أواخر سنة ١١٨٧هـ بلغ الخبر إلى ابن دواس أن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود قد هجم على المدينة فترك البلد وولى هاربًا واستولى الأمير عبدالعزيز على الرياض قلب نجد استيلاء كاملا(٦٢) .

وفي هذه المدة خرجت جيوش أخرى مجاورة إلى ميدان المبارزة وشنت هجومًا على مراكز أهل التوحيد وغدر عثمان بن معمر حاكم العيينة مرارًا(٦٣) .

---

(٦٢) فلبي Arabia ص ١٣ - ٢٥ .

(٦٣) وكان من هؤلاء الهاجمين عريعر بن دجين أمير الإحساء وكان من ألد أعداء التوحيد، فكان يقتل كل من ظفر به من الموحدين ويغير على مدنهم وقراهم كلما سنحت الفرصة . ولكن كل هذا لم يثلج صدره ولم يقر عينه وكانت شعلة العداوة متأججة في قلبه فرأى أن يهجم على الدرعية نفسها ويتخلص من هذا الخطر الذي أقض مضجعه . خرج عريعر بن دجين في سنة ١١٧٨هـ وقد جمع كيده من كل ناحية واستنفر كثيراً من أهل القرى والمدن وتوجه نحو مركز الدرعية في جيش ضخم، وكلما مر على قرية أو قبيلة قدموا له ولاءهم وخرج كثير من أهل القلوب المريضة عن اتباع الشيخ والأمير محمد بن سعود لما رأوا هذه الجيوش الجرارة وعُدّتهم وعتادهم ظنوا أن الدرعية سوف تنقلب إلى أساطير بين عشية وضحاها .

وصل عريعر إلى الدرعية وحاصر المدينة حصاراً كاملاً وطال الحصار ولكن المدينة كانت محصنة مادياً ومعنوياً . فالذين كانوا يدافعون عنها ما كانوا يدافعون عن مدينة واحدة ولكنهم كانوا يدافعون عن العقيدة التي هي قوام حياتهم ومفتاح نجاحهم وكانوا يستميتون في سبيل الله . فكانت الجنود المرابطة في أبراج السور=

ولما رأى الأعداء أن قوة الشيخ وأتباعه من أهل نجد لا تزال تزداد وتنمو يومًا فيومًا التجأوا إلى استعمال الأساليب الدنيئة؛ فاتهم سليمان بن محمد بن سحيم الشيخ بتهم وافترى عليه مساوىء عديدة وأرسل إلى مدن الخليج والأحساء وغيرها وقد رد الشيخ على رسالة من هذه الرسائل ردًا مفصلا. وسنتكلم فيما بعد في أنواع الافتراءات وأجوبتها. واشترك مع أدعياء العلم والعمل في هذه الافتراءات أصحاب العروش والقصور من الأمراء والحكام على النواحي وذلك للحفاظ على مراكزهم وعروشهم(٦٤).

= تقضي على كل من تجرأ على التقدم نحو المدينة واستمر هذا الحصار عشرين يوماً أو أكثر وأنزل الله الرعب والفزع في قلب العدوفجزع وجبن وولى خائباً خاسراً ونجت الدعية ونجا أهلها من شرهم والحمد لله أولاً وآخراً (المترجم).

(٦٤) ابن غنام ١/ ٢٧، ٢٨، ١٦٧، ١٤٢.

وكان أعداء الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوة التوحيد على ثلاثة أنواع:

١- قسم من أدعياء العلم الذين نسوا عهد الله وتركوا تلك المحجة البيضاء التي تركهم عليها رسول الهدى ﷺ فرأوا الحق باطلاً والباطل حقاً وغيَّروا عقائد الإسلام الصافية بالبدع والوثنيات فرأى هؤلاء عاراً عليهم أن يفوز محمد بن عبدالوهاب بهذا الإقبال وتظهر للناس أباطيلهم. كيف وكان فيه قضاء على مراكزهم وأرزاقهم وعلى أكاذيبهم التي طالما تبجحوا بها عند العامة والدهماء وأعلنوا بغير خجل ولا حياء أنهم هم القائمون بأمر الله والمحافظون على دين الله.

٢- وقسم آخر من العلماء الذين كانوا أحسن حالا من الذين تقدم ذكرهم ولكنهم اغتروا بسيل تلك الاتهامات والافتراءات وتأثروا بما افترى عليه أهل الأطماع والأهواء من الأكاذيب فلم يتثبتوا في الأمر ولم يحققوا في المسألة وردوا على الشيخ محمد بن عبدالوهاب واتهموه بكل تلك التهم التي كانت تذاع من قبل المبطلين بدون علم ولا تحقيق.

٣- والقسم الثالث هم أولئك الأمراء والحكام الذين كانوا يسيطرون على قريات=

ولكن مع كل هذه العقبات والموانع ما زال نطاق الدعوة يتوسع أكثر فأكثر وخرج المطاوعة من الدرعية وانتشروا في بلاد نجد كلها حتى تجلّت سنة محمد بن عبدالله (فداه أبي وأمي ﷺ) في قلب الجزيرة على الأقل في صورتها الحقيقية.

الوفـــاة:

توفي الشيخ في شوال أو ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ (يونيو أو يوليو سنة ١٧٩٢م) بعدما اشتغل في الدعوة والإرشاد مدة خمسين سنة متوالية. وكان رجلاً عجيبًا زاهدًا في الدنيا وما فيها. وقليل من الناس من حظي بمثل هذا القبول في حياته(٦٥).

= وبليدات في بلاد نجد وغيرها فكانوا يتنعمون برغد العيش على حساب الأرامل واليتامى والملهوفين والضعفاء من رعيتهم ويعيثون في الأرض فساداً. فرأى هؤلاء أن الدعوة الإسلامية الصحيحة إن بقيت في سيرها فسيأتي يوم من الأيام حتماً تطأ فيه خيل محمد بن سعود عروشهم وقصورهم.
وهكذا اتفق الأعداء فاستلَّ أدعياء العلم سيوف التكفير والتفسيق والإخراج عن الملة وجلب أصحاب الدويلات خيلهم ورجلهم وجرَّبَ كل طاقته وسعى قدر استطاعته في القضاء على دعوة التوحيد ولكن الله كان بالمرصاد فانتصر الحق وزهق الباطل ﴿**فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ (المترجم).

(٦٥) ابن غنام ٢/ ٧٤ وابن بشر ١/ ٩٥.
وقد أخطأ المؤرخون الآخرون الغربيون منهم والشرقيون في تاريخ الوفاة أيضاً. وعلى سبيل المثال يراجع بروكلمان (ملحق ٢/ ٣٥٠) ومرغليوث (دائرة المعارف الإسلامية ٤/ ١٠٨٦) ولبيب البتنوني (الرحلة الحجازية ص ٩٦).

وقال تلميذه ابن غنام مرثية مطلعها[٦٦] :

إلى الله في كشف الشدائد نفزع ... وليس إلى غير المهيمن مفزعُ

وذكر محمد حامد الفقي مرثية للقاضي محمد بن علي الشوكاني[٦٧]

---

(٦٦) روضة الأفكار ص١٧٥ .

ومن أبيات هذه القصيدة المبكية :

لقد كسفت شمس المعارف والهدى ... فسالت دماء في الخدود وأدمع

إمام أصيب الناس طرا بفقده ... وطاف بهم خطب من البين موجع

وأظلم أرجاء البلاد لموته ... وحل بهم كرب من الحزن مفظع

شهاب هوى من أفقه وسمائه ... ونجم ثوى في الترب وأراه بلقع

وكوكب سعد مستنير سناؤه ... وبدر له في منزل اليمن مطلع

وصبح تبدّى للأنام ضياؤه ... فداجي الدياجي بعده متقشع

إلى أن قال :

لقد وجد الإسلام يوم فراقه ... مصابًا خشينا بعده يتصدع

وطاش ذووا الإسلام والفضل والنهى ... وكادت له الأرواح تترى وتتبع

وطارت قلوب المسلمين بموته ... وظنوا به أن القيامة تقرع

فضجوا جميعاً بالبكاء تأسفاً ... وكادت قلوب بعده تفجع

وفاضت عيون واستهلت مدامع ... يخالطها مزج من الدم مهيع

بكته ذوو الحاجات يوم فراقه ... وأهل الهدى والحق والدين أجمع

(المترجم)

(٦٧) هو الإمام العلامة المجتهد القاضي محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، ولد في نهار الاثنين الثامن والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١١٧٤هـ وتوفي في ليلة الأربعاء ٢٧ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠هـ. نشأ وترعرع في أحضان والده ودرس على كثيرين من جهابذة العلم في عصره وتفقه على مذهب الإمام زيد وبرع فيه ثم اشتغل بعلم الحديث وذاق حلاوته وتألم بما رأى حوله من التفرق والانتشار في صفوف المسلمين مع أن كتاب ربهم =

(م سنة ١٢٥٠هـ) مطلعها[٦٨]:

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي وأصمي بسهم الافتجاع مقاتلي

مزية عظيمة:

لقد حدث في التاريخ الإسلامي أكثر من مرة أن برز رجال ولكنهم سرعان ما ارتدوا رداء دعاوى باطلة كالمهدوية أو المسيحية. وكانت نتيجة لازمة لهذا أنهم ألحقوا أضرارًا جسيمة بالإسلام بدلاً من أن يفيدوه. ولكن تعليمات شيخ الإسلام وأتباعه بعيدة كل البعد من هذه التوهمات المردية والأخطار المهلكة، وإني أعتبر هذا نجاحًا باهرًا لهذه الدعوة، وقد حاول

= واحد ونبيهم واحد فسرعان ما خلع ربقة التعصب المذهبي وصار يأخذ بالدليل حيثما وجد وعمل به وأفتى فغضب عليه قصار النظر من المتعصبين وتحاملوا ولكنه ما زال يسعى ويدعو إلى توحيد صفوف المسلمين ونبذ التفرقات المذهبية والبدع والخرافات التي غزت المسلمين فألهتهم عن سبيل الرشاد. وله من المؤلفات ما يقارب مائة وأربعة وستين كتاباً. وقد أحصاها الأستاذ إبراهيم هلال في كتابه «ولاية الله والطريق إليها» ومن هذه الكتب تفسير فتح القدير، ونيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار، والقول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، والتحف في عقائد السلف، وشرح الصدور في تحريم رفع القبور وغيرها. «المترجم».

(٦٨) ومن أبيات هذه القصيدة:

مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها وقد شمخت أعلام قوم أسافل
لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ومركز أدراك الفحول الأفاضل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدى ومروى الصدى من فيض علم ونائل
محمد ذو المجد الذي عز دركه وجل مقامًا عن طوال المطاول
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه وقام مقامات الهدى بالدلائل

أثر الدعوة الوهابية في جزيرة العرب ص ٧٩، ٨٠ «المترجم».

بعض أدعياء العلم[٦٩] نسبة بعض التهم من هذا القبيل إليهم ولكن أتباعه وخلفاءه كانوا معلنين ومخلصين في عقيدتهم ولذلك لم تضرهم هذه الافتراءات شيئًا. ومع أن الأعداء بذلوا جهودًا عظيمة ولكن كل جهودهم ذهبت أدراج الرياح ولم ينجحوا في إخراج أي تهمة من مؤلفات داعية التوحيد في البلاد النجدية ورسائله. فكتبه واضحة كما أن الواحد مع الواحد يساوي اثنين وهي تشهد على جرأة مؤلفها وصدقه. وعلى سبيل المثال اقرأ كتاب التوحيد كاملا من أوله إلى آخره لا تجد فيه أي غموض ولا تجد أدنى شائبة من التصوف والتوهمات والأبحاث البعيدة التي لا طائل تحتها ولا ترى فيه أي أثر للاستدلال الفلسفي ولا السفسطة اليونانية فهو بعيد كل البعد من كل هذه الترهات.

مزية أخرى:

كان محمد بن عبدالوهاب عالمًا محضًا ولكن كان ذا نظر ثاقب بعيد المدى لقد شاهد ثمرات[٧٠] دعوته في حياته ثمرات دنيوية وثمرات دينية. فقد فتحت بلاد نجد كلها في حياته، وأمير نجد وأهله كلهم كانوا مستعدين

---

(٦٩) تراجع «الدرر السنية» ص ٤٦ لأحمد زيني دحلان.

(٧٠) لقد ذكر ابن بشر أن الشيخ كان يحمد الله حمداً كثيراً ويشكره على تلك النعم العظيمة التي أسداها إليه ربه من العلم والفضل والورع والقيام بتصحيح عقائد المسلمين والنجاح في هذه المهمة العظيمة وكان كثيراً ما كان يلهج بقوله تعالى:

﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾.

ويتمثل بهذه الأبيات:

بأي لسان أشكر الله إنه	لذو نعمة قد أعجزتْ كل شاعر
حباني بالإسلام فضلاً ونعمة	علي وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل	عليها اعتقادي يوم كشف السرائر=

للجهاد بأرواحهم وحياتهم على إقدامه في كل لحظة. وكانت كل عظمتهم

= وليس معنى هذا أنه كان يأخذ عقيدته من تقليد ابن حنبل رحمه الله ولكن الإمام ابن حنبل صار رمزاً وعلامة لعقيدة أهل السنة والجماعة بسبب تلك المواقف العظيمة التي وقفها عند الفتن والانحرافات حينما زلت أقدام كثير من أهل العلم والفضل، فعقيدة أحمد بن حنبل هي عقيدة جميع الأئمة والعلماء من أهل السنة والجماعة والحمد لله فإن الأئمة رحمهم الله لم يختلفوا في أمور العقيدة، فهم كلهم على عقيدة الصحابة والتابعين التي تعلموها من رسول الهدى ﷺ وإنما اختلاف الأئمة في الأمور الفرعية. وكان من أهم أسباب اختلافهم أن بعضهم لم تبلغه بعض الأدلة مع أنها قد وصلت إلى غيره وذلك أكدوا كلهم أشد التأكيد على تلامذتهم على أن يكون همهم اتباع الدليل من الكتاب والسنة ويضربوا بقولهم عرض الحائط إذا وجدوه خلافاً لما ثبت عن الرسول ﷺ. فقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» وقال: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه». وقال: «حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً». وكذلك قال: «إذا قلت قولاً يخالف كتاب الله تعالى وخبر الرسول فاتركوا قولي».

وقال الإمام مالك رحمه الله: «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه» وكذلك قال: «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ».

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد».

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا».

(راجع كتاب «صفة صلاة النبي» للمحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني).

ولكن الأسف كل الأسف على المتأخرين من الأتباع والذين انحرفوا عن طريقة الأئمة وأعرضوا عن أقوالهم هذه وصاروا يتبعون أهواءهم ويتسترون بالأئمة فقالوا أقوالاً وعملوا أعمالاً نسبوها إلى الأئمة مع أنهم براء منها، فإلى الكتاب والسنة أيها المسلمون! ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ (المترجم).

التي اكتسبوها إنما جاءت من قبل استجابتهم لدعوة الشيخ. فالمجاهدون وعامة الناس ما كانوا يعرفون أحدًا غيره وكانوا مولعين به، فلو أراد أن يأخذ لأولاده نصيبًا في الحكومة لأخذ، ولو أراد أن يملك زمام الحكم في يده لملك ولكنه ما زال متنحيًا عن هذه المسؤوليات كلها. والأمير محمد بن سعود وخلفه الأمير عبدالعزيز ما كانا يحركان ساكنًا إلا برأي من الشيخ وإشارة. ولا يريدان هذا، وكل أموال الغنائم كانت تلقى تحت أقدام الشيخ ولكن هذا الرجل الصالح لم ينشغل بها عن مهمته الأصلية. فلم يزل يعمل عمله وكان يتدخل في أمور الدولة عندما كانت الحاجة تقتضي ذلك، ومن حين أحس أن الدعوة قد قويت وتأصلت أبعد نفسه عن إدارة الحكومة وأموال الغنائم. وكان من نتائج هذا الزهد أن أولاده أيضًا ما زالوا يشتغلون بخدمة الدين بعيدين عن الجاه الدنيوي إلى يومنا هذا، وقد مرت مائة وخمسون عامًا ولكن لم يحدث أن خاصم أولاده آل سعود في التاج والعرش في يوم من الأيام.

أولاده وأحفاده:

لقد جاوز تلامذة الشيخ المستفيدون من دروسه ووعظه كل حدو حصر حيث إنه لا يمكن لنا إحصاؤهم. وماذا ترى في كثرة وعموم تلك الأثمار اليانعة التي اجتنتها قوافل الناس المتتابعة طوال خمسين عامًا أو أكثر!! وإذا حاولنا أن نقتصر على ذكر تلامذته فقط تعوقنا قلة التراجم والسير ولذلك نكتفي من تلامذته بذكر أولاده وأحفاده فقط الذين يلقبون الآن - بحق - بآل الشيخ، وهذا هو نسبهم.

لقد كان الشيخ سعيدًا حظيظًا حيث ترك وراءه خلفاء يتبعون سنة

النبي ﷺ ويشتغلون في تدريسها والدعوة إليها حسب منهجه. وأروع من هذا وأسرّ أن هذه السلسلة لم تنقطع إلى يومنا هذا. ففي هذه الآونة أيضاً يفوق أولاده في العلم والعمل في جميع بلاد نجد.

كان الشيخ كثير العيال، وتوفيَ بعض أولاده في حياته ولكنه ترك عند وفاته أربعة أولاد: حسين، عبدالله، علي، إبراهيم[٧١].

يقول ابن بشر:

«لقد رأيت لهؤلاء الأربعة العلماء الأجلاء مجالس ومحافل في

---

(٧١) ذكر الأستاذ أمين سعيد من أولاده (ص ١٨٢) أسماء عبدالعزيز وحسن.

أما حسن، فهو والد الشيخ العلامة والحبر الفهامة عبدالرحمن بن حسن صاحب كتاب «فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد» وكتاب قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين» وغيرهما، وقد خلف عبدالرحمن بن حسن ذرية كثيرة. ومن أولاده سماحة المغفور له مفتي المملكة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف وابنه الشيخ إبراهيم بن محمد وزير العدل حالياً.

وأما عبدالعزيز: فلم أجد له ترجمة. ولكني رجعت إلى سماحة الشيخ إبراهيم ابن محمد رئيس إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالرياض فأحال إلى الشيخ إسماعيل الأنصاري وإليكم ما أفادني به الشيخ: أما الشيخ عبدالعزيز ابن مجدد القرن الثاني عشر شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب فلم أقف من أخباره إلا على ما وجدته في جواب العلامة الشيخ عبدالرحمن بن حسن لجمعان ابن ناصر حول روايته عن مشايخه ونصه: «وحضرت عليه - أي على شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب - عدة مجالس كثيرة في البخاري وقراءة ابنه الشيخ عبدالعزيز رحمه الله في سورة البقرة من كتاب ابن كثير» (ج٢ من مجموعة الرسائل النجدية ص ٢٠، طبعة المنار، وكتاب (عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر) وأول الرابع عشر للشيخ إبراهيم ابن صالح بن عيسى النجدي الحنبلي ص ٤٦) وهذا الوصف من الشيخ عبدالرحمن لعبدالعزيز بأنه شيخ دلالة واضحة على أنه من كبار العلماء.

التدريس في الدرعية عندهم من طلبة العلم من أهل الدرعية وأهل الآفاق الغرباء ما يفضي لمن حكاه إلى التكذيب.

ولهؤلاء الأربعة المذكورين من المعرفة ما فاقوا به أقرانهم، وكل واحد منهم قُرب بيته مدرسة فيها طلبة العلم من الغرباء، ونفقتهم من بيت المال يأخذون عنهم في العلم كل وقت»[٧٢].

١ - حسين:

وهو أكبرهم وخليفة الشيخ في الحقيقة وكان قاضيًا في الدرعية وإمامًا في جامع الدرعية، توفي سنة ١٢٢٤هـ[٧٣]. وله عدة أولاد نبغوا في العلم والعمل، والذين سماهم ابن بشر منهم هم: علي، حمد، حسن، عبدالرحمن، وعبدالملك.

كان علي أكبرهم وأعلمهم ولذلك فوض القضاء في حياة أعمامه. وما زال يتولى القضاء في عهود عدة من الأمراء. وهم سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨هـ - ١٢٢٩هـ/ ١٩٠٣م - ١٩١٤م) وعبدالله بن سعود (صلب سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٨م) وتركي (قتل سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) وفيصل ابن تركي (م سنة ١٢٨٢هـ) وأما حمد فتوفي في أيام طلبه.

والحسن كان قاضيًا في الرياض أيام تركي بن عبدالله وكان حاذقا في الفقه توفي في حداثة سنه ولم يعمر طويلا فلبى داعي الأجل سنة ١٢٤٥هـ.

وأما عبدالرحمن فتولى القضاء في عهد كل من تركي وفيصل وكان ذا باع طويل في الفقه والتفسير والنحو.

---

(٧٢) عنوان المجد ١/ ٩٢.

(٧٣) عنوان المجد ١/ ١٤٣.

وأما عبدالملك بن حسين فكان قاضيًا في الحوطة أيام الفيصل.

وقد استفاد عبدالرحمن، وحسن، وعبدالملك أبناء حسين كلهم من الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب (سيأتي ذكره فيما بعد).

ومن الذين تتلمذوا على الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام من أحفاد حسين ابن شيخ الإسلام هم حسين بن حمد بن حسين ابن شيخ الإسلام (قاضي حريق في عهد الفيصل) وحسين بن علي (ابن حسين) ابن شيخ الإسلام (قاضي الرياض في عهد الفيصل) وعبدالله بن حسن بن حسين ابن شيخ الإسلام.

٢ - عبدالله:

أما الولد الثاني للشيخ هو عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، كان من العلماء الأجلاء المصنفين، وكان خليفة شيخ الإسلام بعد وفاة حسين ابن محمد وكان قد اعترف بمكانته العلمية في حياة حسين بن محمد. وكان مع الأمير سعود بن عبدالعزيز حينما دخل مكة سنة ١٢١٨هـ/ ١٩٠٣م. والرسالة التي نشرها الأمير سعود عن عقائد جماعته كانت بقلم عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هذا. وكان موجودًا في الدرعية أثناء غارة إبراهيم باشا سنة ١٢٣٢هـ ولما شاهد همجية الجيوش المصرية وتدميرها لم يستطع أن يصبر فاستلّ السيف وبرز إلى ميدان القتال.

يقول ابن بشر:

«فشهر سيفه عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وانتدب

واجتمعوا عليه . . . إلخ»[٧٤] ثم قاتل ببسالة نادرة وجرأة عظيمة والغالب أنه اعتقل وأرسل إلى مصر وتوفي هناك[٧٥] .

وقتل اثنان من أولاده عند الاستيلاء على الدرعية وهما سليمان بن عبدالله وعلي بن عبدالله . وكان سليمان عالمًا جليلاً وكان قاضيًا في الدرعية في حياة والده وكذلك تولى إمارة مكة أيضًا في عصر الأمير سعود مدة . وكان قد عهد إليه تدريس البخاري في مجلس الأمير سعود بن عبدالعزيز وكان هذا منزلة علمية عظيمة .

وعبدالله ابن شيخ الإسلام نفسه كان يلقي الدروس من تفسير الطبري

---

(٧٤) عنوان المجد ١/ ٢٠٦ .

وتمام هذه القصة البطولية كالتالي بلسان ابن بشر :

«واجتمعوا عليه أهل البجيري ونهضوا على الترك من كل جانب كأنهم الأسود . وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود فأظلمت البجيرة كأنها الليل ، وصريخ السيوف في الرؤوس كأنه صهيل الخيل ، فأخرجوهم منها صاغرين وقتلوا من الترك عدة مئات ، حتى قال لي بعض من حضر ذلك لو حلفت بالطلاق أني من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلا على رجل مقتول ، لم أحنث . فدخل الترك بعد هذا الفشل ، وصار في قلوبهم منهم وجل ، ثم أرسلوا إلى الباشا وطلبوا الصلح فأجابهم إليه بعد ما كان آبيًا ، ولان لهم بعد ما كان قاسيًا (المترجم) .

(٧٥) يذكر ابن بشر جرأة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ص ٢٢٩) إلا أنه ساكت عن استشهاده . ويذكر دحلان قتل سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب (ص٢٢٩) ولكنه أيضاً ساكت عن عبدالله . وقول آخر لابن بشر يدل على أنه لم يستشهد يقول : «وكان من أولاد عبد الله المذكور ابناً يسمى عبدالرحمن ونفي إلى مصر معه في صغره وقد بلغني أنه يقيم الآن في رواق الحنابلة في الأزهر والطلبة يترددون إليه ، وفيه ذوق علمي» ١/ ٩٣ .

وابن كثير وقد حضر ابن بشر هذه الدروس[٧٦]. وتظهر من وصفه أهمية هذه الدروس والمجالس العلمية فقد ذكر طريقته في التعليم والتحديث بكلمات طيبة جدًا. كان آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر الأمر الذي جعل دحلان يصفه بأنه كان أشد تعصبًا من والده[٧٧].

وكان قد ألف شرحًا لكتاب التوحيد إلا أنه لم يتمه كما ذكر ابن بشر[٧٨]. وقد تتلمذ على والده وعلى الشيخ أحمد بن ناصر بن معمر (م سنة ١٣٢٥هـ) والشيخ حسين بن غنام (م سنة ١٢٢٥هـ) وقد قتل في أواخر سنة ١٢٣٣هـ بطريقة مؤلمة وحشية وسنفصل الكلام في ذلك فيما بعد.

وله كتاب غير هذا وهو كتاب (التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق) وهو مطبوع، طبع في سنة ١٣١٩هـ، وهو الآن بين يدي وخير شاهد على سعة علم مؤلفه وطول باعه. وذكر بروكلمان كتابين آخرين له (ملحق ٢/ ٥٣٢).

---

(٧٦) عنوان المجد ١/ ١٧٠، ١٧٦، ٢٠٩، ٢١٠.

(٧٧) خلاصة الكلام ص ٢٢٩.

التعبير بالتعصب عما عليه الإمام عبدالله ووالده شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مجانب للصواب فإنهما بريئان من التعصب وإنما هما متبعان للكتاب والسنة داعيان إليهما يشهد بذلك كل من وفقه الله. وإيراد المؤلف لكلام دحلان من باب بيان الأشياء بأضدادها، فحقد الأعداء على رجل من أجل دعوته وجهاده يدل على منزلته وفضله «الناشر».

(٧٨) وقد أكمله الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام كما صرح بذلك في مقدمة فتح المجيد (مؤلف). وطبع شرحه هذا عدة طبعات بعدما أكمل الناقص منه وهو قريب جداً من كتاب (فتح المجيد) المذكور ويسمى (تيسير العزيز الحميد) أما (فتح المجيد) فهو تهذيب له واختصار مع زيادات أخرى هامة وإكمال لما فاته، وهكذا صار فتح المجيد كتاباً مستقلاً بذاته (المترجم).

وهما: ١ - أوثق عرى الإيمان.

٢ - المسائل.

ولم أطلع عليهما، ولكن توجد رسالة في مجموعة التوحيد المكية (ط سنة ١٢٤٣هـ) بقلم الشيخ سليمان بن عبدالله في جواب مسائل مهمة، ولعلها هي ما ذكره بروكلمان من رسالة «المسائل».

واستشهد علي بن عبدالله ابن شيخ الإسلام في سنة ١٢٣٤هـ في مكان قرب الدرعية، وكانت له يد طولى في الحديث والتفسير وقد ألف أيضًا شرحًا لكتاب التوحيد(٧٩).

والولد الثالث لعبدالله ابن شيخ الإسلام هو عبدالرحمن بن عبدالله وكان عالمًا معروفًا.

وتوجد بعض الرسائل الصغيرة لحسين ابن شيخ الإسلام وكذلك بعض الفتاوى في المكتبة الشرقية في بتنة(٨٠).

٣ - علي ابن شيخ الإسلام:

كان عالمًا جيدًا نابغة يضرب به المثل في الزهد والورع وكان ذا ملكة عظيمة في الفقه والتفسير. عُرض عليه القضاء لكنه أبى من شدة زهده وورعه، وتوفي أولاده كلهم في صغرهم إلا محمد بن علي ابن شيخ الإسلام فقد نشأ وترعرع وصار عالمًا نحْريرًا.

---

(٧٩) عنوان المجد ١/ ٩٣، ٢٠٥.

(٨٠) يراجع Handist رقم ٢٦٢٥ (مؤلف).

وكان الأولى أن يذكر هذا في ترجمة الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام ولكن هكذا وجدت الأصل (المترجم).

٤ - إبراهيم ابن شيخ الإسلام

والولد الرابع لشيخ الإسلام هو إبراهيم، اشتهر في التدريس ودرس عليه ابن بشر كتاب التوحيد في صغره (سنة ١٢٢٤هـ) ولم يتول القضاء.

ومن أجلّ تلامذة الشيخ حفيده عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام وهو من علماء نجد الفائقين، توفي والده في حياة الشيخ. تتلمذ على جده في صغره ودرس على أجل تلامذة الشيخ أمثال أحمد بن ناصر بن عثمان ابن معمر (سنة ١٢٢٥هـ) وعبدالعزيز بن عبدالله الحصين الناصري (م سنة ١٢٣٧هـ). والشيخ عبدالرحمن بن حسن هو مجدد علمي لآل الشيخ، وقد اعترف بمكانته في العلم منذ البداية. كان قاضيًا في الدرعية أيام الأمير سعود بن عبدالعزيز (م سنة ١٢٢٩هـ) والأمير عبدالله بن سعود (صلب سنة ١٢٣٤هـ). وهو من أولئك العلماء الأربعة الذين كان يُحتج بعلمهم في آل الشيخ بعد وفاة الشيخ حسين بن شيخ الإسلام سنة ١٢٢٥هـ، وكانوا يتولّون القضاء في العاصمة الدرعية[٨١].

كان قد سافر بل نفي إلى مصر (سنة ١٢٣٣هـ) عند الاستيلاء على الدرعية. ولما استقرت الأحوال وعادت الأمور إلى نصابها رجع إلى نجد سنة ١٢٤١هـ وبذلك نفقت سوق العلم مرة أخرى. لقد فاز واستفاد من دروسه مئات من الناس منهم عشرات من بيت شيخ الإسلام نفسه[٨٢].

تولى القضاء في عهد تركي بن عبدالله (م سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م) وفيصل

---

(٨١) عنوان المجد ١/ ٩٣. والأساطين الأربعة الذين سبق ذكرهم يعتبرون مستحقين للتعظيم والاحترام بالترتيب التالي: عبدالله ابن الشيخ، علي بن حسين ابن الشيخ، عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ، سليمان بن عبدالله ابن الشيخ.

(٨٢) عنوان المجد ٢/ ٢٠، ٢٥، ٢٦.

ابن تركي (م سنة ١٢٨٢هـ). وكان مرجعًا للخاصة والعامة، عهدت إليه مسؤولية التدريس في المجالس الخاصة للأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (م سنة ١٢٤٩هـ) وكان يدرس في الغالب من تفسير *ابن جرير*. وتولى التدريس والإرشاد في عهد فيصل بن تركي أيضًا.

ولقد كان صيت الأساطين الأربعة ذائعًا قبل الاستيلاء على الدرعية، ولكن بعد استقرار الأحوال من جديد لم يبق إلا عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ وعلي بن حسين ابن الشيخ. وذلك في عهد الأمير تركي بن عبدالله. ونرى أسماء عبدالرحمن بن حسين ابن الشيخ وعبدالملك بن حسين تردد كثيرًا مع عبدالرحمن بن حسن وعلي بن حسين في عهد الأمير تركي وفيصل[٨٣]. إلا أننا نرى ذكر عبدالرحمن بن حسن بالخصوص فقط في أواخر أيام فيصل بن تركي (بعد سنة ١٢٥٦هـ). وفي نهاية أيام فيصل نجد ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن يتولى القضاء والتدريس. وقد عمر علي بن حسين ابن الشيخ طويلا، والغالب أنه توفي في أواسط عهد فيصل سنة ١٢٦٠هـ.

وعلى كل حال فقد كان الشيخ عبدالرحمن بن حسن من أحق الناس احترامًا وتعظيمًا في أواخر أيام فيصل بن تركي. فقد ألف ابن بشر كتابه في سنة ١٢٧٠هـ وأنهاه بذكر حوادث سنة ١٢٦٧هـ. وكان حيًا إذ ذاك. وقد لقيه[٨٤] بالجريف (W. Gifford Palgrave) أثناء رحلته في سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م في الرياض مع ابنه عبداللطيف، لكنه وَهم إذ ظن أنه عبدالله ابن الشيخ. توفي (الشيخ عبدالرحمن بن حسن) سنة ١٢٨٥هـ بعدما عمر طويلاً.

لقد ذكر ابن بشر عدة من مصنفاته ورسائله. وقد أكمل شرح كتاب

---

(٨٣) عنوان المجد ٢/ ٦٥، ٧٣، ٨٨.

(٨٤) Narrative of a years journey through central and eastern Arabia 1-379.

التوحيد الذي تركه سليمان بن عبدالله ابن الشيخ (م سنة ١٢٣٣هـ) ناقصًا. وقد طبع مرارًا باسم (فتح المجيد في شرح كتاب التوحيد)[٨٥].

وله كتاب آخر غير فتح المجيد وهو باسم (قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين) وهو مطبوع، وهو حواش على كتاب التوحيد، ولقد أكثر الأستاذ محمد حامد الفقي الذي أشرف على الطبعة الجديدة لفتح المجيد من النقل في حواشي فتح المجيد من قرة عيون الموحدين. له رسالة مختصرة منقولة في عنوان المجد[٨٦] وكذلك نقل ابن بشر عدة من مكاتيبه.

وتوجد له ثلاث رسائل في مجموعة التوحيد المكية:

١ - رسالة في جواب الجهمية «من ص ٣٢ إلى ١٦٩».

٢ - رسالة في حكم موالاة أهل الإشراك «من ١٥٧ إلى ١٦٩».

٣ - بيان الحجة في الرد على صاحب اللجة «من ٢٠٥ إلى ٢٥٢».

وقد قتل من أبنائه محمد بن عبدالرحمن بن حسن عند الاستيلاء على الدرعية مثل بقية أهل بيته[٨٧].

وخلفه عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن وكان قد سافر إلى مصر في صغره عند الاستيلاء على الدرعية. تتلمذ على والده وغيره من أهل العلم ورجع إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ وجاء بعدد كبير من الكتب. وصار يساعد والده منذ قدومه فشاركه في الأمور العلمية وفي أعمال الدعوة.

---

(٨٥) والحق أن كتاب (فتح المجيد) شرح مستقل من تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن، وأما كتاب الشيخ سليمان بن عبدالله فهو الآن مطبوع ومتداول باسم (تيسير العزيز الحميد) وقد ظهرت منه عدة طبعات قام بنشرها وطبعها المكتب الإسلامي في بيروت وقد أكملت الأجزاء الناقصة منه من (فتح المجيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن وهي قليلة جداً (المترجم)..

(٨٦) عنوان المجد ٢/ ٢٣، ٢٦.

(٨٧) عنوان المجد ٢/ ٢٠٨.

ونرى عبدالرحمن بن حسن مدرسًا وواعظًا في مجالس فيصل بن تركي (م سنة ١٢٨٢هـ) إلى سنة ١٢٦٢هـ، ثم برز ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، فهو المقدم في كل ناحية من قضاء وتدريس وإمامة. وابن بشر معجب بدروس تفسيره ويمدحها أشد المدح[٨٨]. وقابله بالجريف سنة ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م، وسنه إذ ذاك كان حوالي أربعين. وكان قاضيًا في العاصمة الرياض[٨٩]. وله رسالة سماها «منهاج التقديس والتأسيس في الرد على المبطل داؤد بن سليمان بن جرجيس» وسيأتي الكلام على هذه الرسالة فيما بعد. ورسالة أخرى موجزة مطبوعة في مجموعة الهدية السنية (٢٨-٤٠) ذكر فيها ترجمة موجزة لشيخ الإسلام، لم نعرف سنة وفاته بالتحقيق ولكن روى عالم سائح نجدي أنه توفي سنة ١٣٠٤هـ[٩٠].

والولد الآخر للشيخ عبدالرحمن بن حسن هو إسحاق بن عبدالرحمن ابن حسن ولم أجد له ذكرًا في كتب التراجم ولكنني عرفته بطريق عجيبة. وهي أنني ذهبت إلى وطني في شوال سنة ٥٩ «أوجاوان - بتنة» وبدأت أستعرض بعض الكتب البالية في مكتبة بيتي فعثرت على نسخة من كتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» وكان مكتوبًا في الصفحة الأولى من الكتاب بخط عربي خالص: «في ملك الحقير الفقير إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد النجدي الحنبلي عفا الله عنهم».

ولا تسأل عن فرحي واغتباطي حينذاك! وبعد تصفح بعض الأوراق وجدت ملاحظة طويلة مكتوبة بنفس الخط تدل على غزارة علمه وتوجد

---

(٨٨) عنوان المجد ٢/ ١٢١-١٢٢.

(٨٩) بالجريف ١/ ٢٧٩.

(٩٠) وهو الشيخ عمران بن محمد بن عمران من سكان الرياض بنجد.

ملاحظة أخرى موجزة في وسط الكتاب أيضًا. ويوجد ختم في بداية الكتاب تحت الاسم وتقرأ منه فقط كلمة «إسحاق» بوضوح.

ولا أدري كيف وصل هذا الكتاب إلى بيتي؟ والغالب أن جدي «من الأم» الشيخ عبدالصمد (م سنة ١٣١٨هـ) كانت له علاقة به، لأن الشيخ عبدالصمد كان من علماء أهل الحديث الأفاضل وكانت له علاقات وطيدة أخوية مع أشهر علماء أهل الحديث في زمانه، وبعد البحث والتنقيب تبين لي أن الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن كان قد سكن في الهند واستفاد من الشيخ السيد نذير حسين الدهلوي[٩١] (م سنة ١٣٢٠هـ)

---

(٩١) هو العَلَم الشامخ والحَبْر الكامل مجدد السنة النبوية في القارة الهندية السيد نذير حسين بن جواد علي بن السيد أحمد شاه الدهلوي. ويصل نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أربعة وثلاثين جيلاً. ولد في قرية «بلتهوا» من ولاية بيهار في الهند سنة ١٢٢٠هـ، ونشأ في صغره على حب الفروسية والسباحة ثم تعلم شيئاً من الأمور الابتدائية على والده ثم انتقل إلى «بتنة» عاصمة العلم في ولاية بيهار والتقى هناك بزعماء حركة التجديد والإصلاح الإمامين الشهيدين أحمد بن عرفان والعلامة محمد إسماعيل رحمهما الله، فازداد شوقاً إلى العلم وحماساً للدفاع عن الإسلام، فأراد أن يسافر إلى دلهي عاصمة الحكومة والعلم مع رفيق له. فكانوا يمشون على أرجلهم بسبب قلة الزاد وعدم المركب فاضطروا على الوقوف والمكوث في المدن في الطريق عدة مرات فمكث مدة في بناس وكذلك في الله آباد وغيرهما حتى وردوا مدينة دهلي بعد ست سنوات وذلك في سنة ١٢٤٣هـ، فدرس أولاً على عدة أساتذة ثم انتقل إلى حلقة الشيخ إسحاق الدهلوي خليفة الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي، ولازمه مدة ثلاثة عشر عاماً. وكان مع ملازمته لأستاذه كثير المطالعة واسع المعلومات. ولما سافر شيخه إلى مكة سنة ١٢٥٨هـ خلفه في التدريس ودرس العلوم المختلفة إلى سنة ١٢٧٠هـ ثم تخصص لتدريس علوم القرآن والسنة فقط=

. . . .

= فلم يزل يدرس العلوم الشرعية قرابة خمسين عاماً ولقب بشيخ الكل. درس عليه آلاف من جهابذة العلم وزعماء الدعوة الإسلامية أمثال العلامة المحدث عبدالرحمن المباركفوري صاحب (تحفة الأحوذي) والشيخ شمس الحق العظيم آبادي صاحب (عون المعبود) والشيخ محمد بشير السهسواني صاحب (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) والشيخ ثناء الله الأمر تسرى فاتح قاديان. وغيرهم خلق كثير. ولقد انتشرت أنواره العلمية فعمت بلاد الشرق كلها، ودرس عليه من نجد الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن والشيخ علي بن القاضي والشيخ عبدالله بن سعد بن عبدالعزيز مديهش والشيخ سعد بن عتيق وغيرهم. ومن السودان الشيخ عبدالله بن إدريس الحسيني، وعدد كبير من أبناء كابل وباغستان وبخارا وسمرقند وغزنة وقندهار وخوقند والحبشة وغيرها.

ولا شك أن الشيخ نذير حسين الدهلوي رحمه الله هو مجدد السنة النبوية في القارة الهندية وغيرها فانتشر تلامذته في جميع البقاع حاملين لواء التوحيد والسنة وعددهم لا يحصى وعدد مؤلفاتهم لا يحصر، وفتحوا مئات المدارس وقاموا بحركة إسلامية صحيحة لا يوجد لها نظير إلا نادراً، وإن آثار التوحيد واتباع السنة النبوية التي نراها في القارة الهندية في هذه الأيام في كل ذلك يرجع الفضل إلى هذا الإمام العظيم. وقد عُذّب كثيراً في سبيل نشر التوحيد والدعوة إلى السنة النبوية، فسجن في راولبندي سنة ١٨٦٤م بتهمة الوهابية وبقي في السجن مدة سنة كاملة، وسافر إلى الحج سنة ١٣٠٠هـ فسعى النمامون إلى الباشا في مكة المكرمة فاتهمه أعداء التوحيد بأنه وهابي ومعتزلي ويبيح شحم الخنزير ونكاح العمة والخالة وقدموا إليه رسالة باسم «جامع الشواهد في إخراج الوهابيين من المساجد» ولكن الباشا لما علم بحقيقة الحال أكرمه أيما تكريم ورجع الأعداء خائبين.

توفي الشيخ نذير حسين الدهلوي رحمه الله في يوم الاثنين شهر رجب سَنة ١٣٢٠هـ/ أكتوبر ١٩٠٢م بعدما عمر مائة سنة. =

والنواب صديق حسن خان (م سنة ١٣٠٧هـ)[٩٢] والشيخ محمد بشير

= لم يشتغل الشيخ في تأليف الكتب لأنه كان مهتماً بتأليف الرجال فخرّج الفطاحل الذين لا تعد ولا تحصى مؤلفاتهم. وقد ألف كتاباً واحداً وهو (معيار الحق) بيَّن فيه أهمية السنة النبوية ودعا إلى اتباع القرآن والسنة وترك الخلافات والتعصبات *التي أنهكت المسلمين، وله بعض الفتاوى في ثلاثة مجلدات وهي مطبوعة* متداولة (يرجع إلى تراجم علماء حديث هند ص ١٣٦، وهندوستان مين أهلحديث كي علمي خدمات ص ٢١ للنوشهروي، وتاريخ أهلحديث ص ٤١٧ للشيخ محمد إبراهيم مير سيالكوتي) (المترجم).

(٩٢) هو ملك العلماء وعالم الملوك الحجة المحقق والعلامة النحرير محي السنة النبوية وناشرها في بلاد العرب والعجم السيد صديق حسن القنوجي البخاري. ويصل نسبه أيضاً إلى حسين السبط ابن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بعد اثنين وثلاثين جيلاً كما ذكر في كتابه (إبقاء المنن بإلقاء المحن).

وكان والده تلميذاً للشيخ عبدالعزيز المحدث الدهلوي (رحمه الله) ومن أتباع السيد أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله زعيم التجديد والإصلاح في القارة الهندية.

ولد في سنة ١٢٤٨هـ في مدينة «قنوج» ولما بلغ الخامسة من عمره توفي والده. فرباه عدة من أصدقاء والده.

تعلم العلم في عدة من المدن وعلى عدة من الأساتذة في بلده وفي كانفور وفرخ آباد وفي الأخير ورد دهلي ودرس على المفتي صدر الدين الدهلوي وأخذ إجازة في علم الحديث من عدة من فطاحل العلماء منهم الشيخ زين العابدين بن محسن ابن محمد السبعي الأنصاري، والشيخ عبدالحق البنارسي تلميذ الإمام الشوكاني، والشيخ يحيى بن أحمد بن حسن الحازمي، والشيخ حسين عرب وغيرهم.

لقد جال في عدة من المدن وعمل عدة أعمال ثم استقر في الأخير في مدينة «بوفال» سنة ١٢٧٦هـ. وتزوج بملكة بوفال «شاهجهان بيكم» وهكذا فتح الله عليه سبيل الخير فخدم العلم وخاصة السنة النبوية خدمة لا يكاد يوجد لها نظير، =

السهسواني (م سنة ١٣٣٦هـ)[٩٣].

= فاشترى عدداً كبيراً من الكتب النادرة بأثمان باهظة جداً وطبعها ووزعها في العالم الإسلامي كله وأنفق على هذا مئات الآلاف من الروبيات. ومن هذه الكتب (فتح الباري بشرح صحيح البخاري)، و(تفسير ابن كثير)، و(نيل الأوطار) وغيرها، وطبعت لأول مرة في الهند.

وكان له مندوبون في بلدان العالم الإسلامي لتوزيع ما يقوم بطبعه من الكتب من مؤلفاته ومطبوعاته. ففي مصر كان مندوبه أحمد أفندي العشي، والشيخ أحمد البابي الحلبي، وفي الإسكندرية حبيب أفندي عزروزي. وفي بيروت بشارت أفندي الشداق وفي جدة طاهر أفندي مشاط، وفي القسطنطينية سيد أحمد بن ناصر، وفي عدن عبدالله حسن علي رجب بك، . وفي البصرة عيسى بن قرطاس، وفي بغداد عبدالقادر بك حشمت، وفي تونس سيد محمد العربي، وغيرهم.

وهكذا نشر أنوار العلوم وأهمها في القارة الهندية وفي سائر العالم الإسلامي، وبقي في الحكومة أربع عشرة سنة ملأها عدلاً ونوراً وعلماً، ثم عُزل عنها بسبب الوشاة والنمامين من أعداء السنة والتوحيد، واتهم لدى الحكومة الإنجليزية المستعمرة بأنه يُحرض الناس على الجهاد وينشر المذهب الوهابي.

وتوفي رحمه الله في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٧هـ وترك وراءه عدداً حافلاً من المؤلفات يتجاوز عددها على مائتين وعشرين كتاباً، وفي سائر العلوم الإسلامية وأكثرها في علم التفسير والحديث والتوحيد والفقه، ومن أهمها (فتح البيان في مقاصد القرآن، عون الباري في حل أدلة البخاري، والسراج الوهاج في شرح مختصر مسلم بن الحجاج للمنذري، ونيل المرام في شرح آيات الأحكام، والروضة الندية، والتاج المكلل، وأبجد العلوم، والدين الخالص وغيرها).

(يرجع إلى تراجم علماء حديث هند ص ٢٤٠، وهندوستان مين اهلحديث كي علمي خدمات ص ٢٦ لأبي يحيى إمام خان نوشهروي) (المترجم).

(٩٣) هو العلامة الكبير المحدث الفقيه التحرير الشيخ محمد بشير الفاروقي – نسبته إلى الفاروق عمر رضي الله عنه. ولد في حوالي سنة ١٢٥٠هـ وتعلم على عدة=

وفي هذه الأيام امتاز من علماء هذا السليل المبارك الشيخ محمد[٩٤] بن عبداللطيف بن عبدالرحمن. وله رسالة ألفها في سنة ١٣٩ هـ توجد في مجموعة الدرر السنية، وسنه الآن يقارب الثمانين حسب رواية الشيخ عمران بن محمد.

= أساتذة أفضلهم شيخ الكل الإمام نذير حسين الدهلوي رحمه الله، ثم عُين مدرساً للغة العربية والفارسية في كلية «سينت جونس» بأكره. وفي سنة ١٢٩٥هـ استدعاه الملك العلامة النواب صديق حسن خان رحمه الله وفوض إليه برئاسة المدارس الدينية في إمارة «بوفال» فبقي هناك مدة طويلة. ولما توفي النواب صديق حسن رحمه الله أراد مغادرة الإمارة ولكن الملكة أبت عليه إلا أن يبقى هناك.
فكان يلقي درساً كل أسبوع في قصر الملكة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بكل جرأة وصراحة ولما توفيت الملكة في سنة ١٣١٩هـ رجع إلى دهلي فأحلّه شيخه الإمام نذير حسين محله ليكون خلفاً له. توفي رحمه الله في دهلي سنة ١٣٢٦هـ.
كان رحمه الله آية في العلم والورع وكثرة المطالعة وسعة المعلومات وكان محققاً متبعاً للكتاب والسنة يفتي ويعمل بما يراه حقاً وصواباً حسب الأدلة. وله عدة مؤلفات، منها: «القول المحقق المحكم في حكم زيارة الحبيب الأكرم» وكذلك «القول المنصور» (إتمام الحجة على من أوجب الزيارة كالحجة) وهي مناقشات جرت بينه وبين الشيخ أبي الحسنات عبدالحي اللكنوي. ولما جاء للحج ناقش المفتي أحمد زيني دحلان في آرائه البدعية ووساوسه نحو دعوة التوحيد وتصحيح العقيدة الإسلامية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ولما رجع من الحج ألف كتابه الشهير (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان) وله كتب أخرى مطبوعة وغير مطبوعة (المترجم).
(يراجع: تراجم علماء حديث هند للنوشهروي ص ٢١٩ ومقدمة صيانة الإنسان ص ١٣).

(٩٤) هو العالم الجليل الشيخ محمد ابن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن ابن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب. ولد بمدينة الرياض سنة=

وقد ذكر محمد حامد الفقي أسماء عالمين معاصرين من هذا البيت في مقدمته على كتاب فتح المجيد، وهما عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة في المملكة العربية السعودية، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف[٩٥].

= ١٢٨٢هـ ونشأ بها. قرأ القرآن في حياة والده ثم درس على أخيه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ محمد بن محمد وغيرهما من علماء وقته. ولقد فُوّضت إليه عدة مناصب دينية فتولى قضاء مدينة شقراء، وبعثه الملك عبدالعزيز سنة ١٣٣٩هـ إلى عسير وغامد وزهران للدعوة إلى الله في هذه البلاد، وتولى القضاء في الرياض. توفي رحمه الله يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧هـ في الرياض (المترجم)
(مشاهير علماء نجد ص ١١٧ للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ).

(٩٥) هما عالمان جليلان من ذرية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.
أما الأول فكما يقول صاحب كتاب (مشاهير علماء نجد وغيرهم ص ١٢١-١٣١) هو صاحب السماحة العلامة الفاضل الجليل الشيخ عبدالله بن الشيخ حسن بن الشيخ حسين بن الشيخ علي بن حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. ولد هذا العالم الشهير ببلدة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٢٨٧هـ. فنشأ وترعرع في أحضان والده وحفظ القرآن وعمره عشر سنوات، وأخذ العلم عن جهابذة عصره، ولما طال باعه في العلم وبلغ المنزلة العليا من المعرفة عُين إمامًا لمسجد الإمام عبدالرحمن الفيصل ثم أرسل للتعليم إلى هجرة الأرطاوية ورافق جلالة الملك فيصل رحمه الله في حرب عسير وكان قاضياً للجيش مع الملك عبدالعزيز رحمه الله حينما دخل مكة المكرمة وعين إماماً وخطيباً بالمسجد الحرام ثم رئيساً للقضاة بالحجاز. توفي رحمه الله يوم السبت ٧ رجب ١٣٧٨هـ ورثاه عدد كبير من العلماء والفضلاء.

وأما الثاني فهو العلامة الجليل المحدث الأصولي الفقيه الشيخ محمد ابن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في حياته رحمه الله. ولد في مدينة الرياض ١٧ محرم سنة ١٣١١هـ ودرس على كبار العلماء أمثال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ سعد بن حمد بن عتيق والشيخ حمد بن فارس وغيرهم، وتخرج على يديه أفواج من العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله، والشيخ عبدالعزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. انتقل رحمه الله إلى دار الآخرة وهو يتحمل مسؤوليات تنوء بها العصبة من أولي القوة، ومن أهمها رئاسة الإفتاء والإشراف على الشؤون الدينية ورئاسة الجامعة الإسلامية ورئاسة رابطة العالم الإسلامي وغيرها. توفي يوم الأربعاء ٢٤ رمضان ١٣٨٩هـ (مشاهير علماء نجد ص ١٣٤-١٤٦) «المترجم».

الباب الثاني

في ميدان الحكم

كل ما حدث في نجد وأرجائها من الإصلاحات الطيبة في حياة شيخ الإسلام أو بعد وفاته إنما كان نتيجة لدعوته وإخلاصه. والحقيقة أنه لم يقم فقط بانقلاب في أهل نجد وعقائدهم وأخلاقهم بل لقد غيَّرها من العقب إلى الرأس. ومن حسن حظه قد وجد أمراء مجاهدين أمثال محمد بن سعود (م سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م) وعبدالعزيز بن محمد بن سعود (١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م إلى ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) وسعود بن عبدالعزيز (١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م إلى ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) الذين لم يألوا جهدًا في إنجاز مهمته.

ولقد التصق اسم آل سعود بدعوة الشيخ ولذلك نحب أن نقدم من تاريخ آل سعود باختصار تلك الأجزاء التي ترتبط ارتباطًا خاصًا ومباشرًا بالدعوة.

محمد بن سعود[1]:

من حين نشأت الدعوة وترعرعت أرسل الأمير محمد بن سعود

---

(١) التاريخ السياسي لنجد خارج عن نطاق بحثنا ولكننا نبرز تلك النواحي التي تتعلق علاقة مباشرة بدعوة الشيخ. وللاطلاع على تاريخ نجد أو تاريخ آل سعود بتفصيل يرجع إلى الكتب التالية:

١ - عنوان المجد لابن بشر.
٢- عجائب الآثار للجبرتي ج ٣، ٤.
٣- تاريخ نجد للألوسي ص ٩٠، ١٠٤.
٤- حاضر العالم الإسلامي (مع تعليقات شكيب أرسلان) ٤/ ١٦١، ١٧٢.
٥- دائرة المعارف الإسلامية (مقالة ابن اسعود).
٦- العربية (Arabia) فلبي. وهو مفصل جداً.

وكتب أمين الريحاني أيضاً معروفة ومتداولة بالعربية والإنجليزية. وسنذكر كتباً أخرى في باب المراجع إن شاء الله.

(م ۱۱۷۹م/ ۱۷٦٥م) وفداً إلى الحرمين وقد طلب هذا الوفد من الشريف سعود بن سعيد (١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م) إلى (١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م) إذنًا عامًا للحج وتكلم مع علماء الحرمين في المسائل المختلفة فيها. ولكن فقهاء الحرم عاملوه معاملة مؤلمة جدا فقد اعتُقل رجال الوفد وتمكن بعضهم أن ينجو بنفسه بعد صعوبات.

منع أهل نجد من الحج:

هذه رواية دحلان الذي لا توجد في أي من كتابيه[٢] تواريخ صحيحة ولا دُوّنت الحوادث والوقائع بصدق وأمانة ولم تُعيّن السنوات أيضًا. وعلى كل حال فأقل ما يعرف من هذا أن أهل نجد كانوا قد منعوا من الحج من قبل هذا. وابن بشر لم يذكر في حوادث سنة ١١٦٢هـ سوى قوله:

«في سنة ١١٦٢هـ اعتقل شريف مكة سعود بن سعيد الحجاج النجديين ومات بعضهم»[٣].

لقد ظهرت دعوة شيخ الإسلام بعد سنة ١١٥٧هـ واشتهرت بعد سنة ١١٦٠هـ ولذلك فليس من المعقول أن حجاج نجد قد منعوا قبل سنة ١١٦٢هـ من زيارة البيت الحرام. ويظهر لنا من هذه القرائن أن حادث المنع عن الحج قد أتى بعد قصة اعتقال الحجاج هذه. ولم يزل مستمراً سوى فترات معينة خاصة فقد تشرف عدد كبير من علماء نجد وعوامهم بزيارة بيت الله في سني ١١٨٣هـ، ١١٨٥هـ، ١١٩٧هـ. ولكن الإذن في كل مرة كان مؤقتًا. ولم يجد أهل نجد فرصة للحج والزيارة «بحرية» إلا بعد استيلاء عبدالعزيز على الحرمين[٤] وهذه هي التفاصيل:

---

(٢) الدرر السنية (ص ٤٤) وكتابه الآخر هو: خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام.

(٣) عنوان المجد ١ : ٢٣.

(٤) دخل عبدالعزيز بن محمد بن سعود فاتحاً مكة المكرمة سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م.

عبدالعزيز بن محمد بن سعود:

لقد توفي الأمير محمد بن سعود أيام كانت الدعوة في شبابها وخلفه ابنه عبدالعزيز بن محمد بن سعود[5] وكما يقول مرغليوث لقد أرسل وفدًا إلى مكة في سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٦م واستقبل الوفد بحفاوة وإضافة الشريف[6] وأكد الوفد لعلماء مكة أن عقائدهم ليست منفصلة عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل.

---

(٥) لقد زعم بعض الكتاب أن عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان ابن بنت شيخ الإسلام (فلبي ص ٤١ ، ٤٣ وقاموس الإسلام ص ٦٦) ولكن هذا ليس بصحيح. ويقول عامة المؤرخين إن بنتا لشيخ الإسلام كانت تحت الأمير محمد بن سعود. ولكن شيخ الإسلام استوطن الدرعية في سنة ١١٥٧هـ فلابد أن يكون هذا الزواج بعده، مع أننا نعرف من جهة أخرى بطرق موثوق بها أن الأمير عبدالعزيز كان قد بلغ الرشد في سنة ١١٦٠هـ فقد ذكر الشوكاني (البدر الطالع ص ٢٦٣) أن ابنه سعود ابن عبدالعزيز كان قد ولد في سنة ١١٦٠هـ أو ١١٦٣هـ ولذلك فلو سلمت المصاهرة بين شيخ الإسلام والأمير محمد بن سعود مع سكوت ابن بشر وابن غنام عن هذه القرابة فعبدالعزيز بن محمد بن سعود لا يمكن أن يكون ابن بنته.
وبالعكس من ذلك يزعم براتجس (Bridges) أن عبدالوهاب (؟ ابن عبدالوهاب) نفسه كان قد تزوج بنت محمد بن سعود (ص ١٠٧) ويكتب أيضاً أن عبدالعزيز ابن محمد بن سعود تزوج بنت عبدالوهاب (؟ ابن) وقد ولد من بطنها سعود بن عبدالعزيز فالله أعلم بما هو الصحيح.

(٦) الإنجليز والمؤرخون الأوروبيون كلهم يسمون حاكم مكة (Grand Sharif) شريف الكبير ويسمون أفراد البيت الأخرين «شريف» فقط. أما في العربية فتستعمل كلمة «شريف» للمتسبين إلى الحسنين رضي الله عنهما عامة. إلا أن «شريف مكة» لا يطلق إلا على حاكم مكة. ولمعرفة تاريخ الأشراف يمكن مراجعة كتاب دحلان «خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام» مع أنه لا يوثق به كثيراً. =

هذه رواية مرغليوث. أما ابن غنام وابن بشر وفلبي فلم يذكروا وفداً في سنة ١١٧٩هـ ولا ندري من أين أخذه مرغليوث، وبعد سكوت ابن غنام وابن بشر فلا يمكن الاعتماد على ما ذكره مرغليوث. وروايات أحمد زيني دحلان (الدرر السنية ص ٤٤) أيضًا متعارضة جدا في هذا الباب ولا يمكن الوثوق بها.

أول حج بعد المنع:

وفي سنة ١١٨٣هـ وقعت مناوشة بين الموحدين وفرقة من قبل أشراف الحجاز واعتقل رئيس الفرقة الشريف منصور فأطلق الأمير عبدالعزيز سراحه بدون فدية، ولقد ترك صنيعه هذا أثرًا طيبًا، وفي مقابل ذلك أذن لهم شريف مكة بالحج وانتهز الفرصة عدد كبير من الموحدين. قال ابن غنام:

«فاغتنم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة»[7].

= وقد ذكر لبيب البتنوني أيضاً موجزاً لتاريخ أشراف مكة في كتابه (الرحلة الحجازية) (ص ٨١، ٨٣) وهناك باب يحتوي على معلومات عن حكومة مكة في كتاب (Travel in Arabia) الذي ألفه برك هارت (١/ ٤٠٥، ٤٤٤) وكذلك باب موجز في كتاب (History of Arabia) لهو غارث. وإليك أسماء الأشراف الذين يتعلقون بهذه الحركة مع سني ولايتهم:

١- مسعود بن سعيد سنة ١١٤٦
٢- مساعد بن سعيد سنة ١١٦٥هـ
٣- جعفر بن سعيد سنة ١١٧٢هـ
٤- مساعد بن سعيد سنة ١١٧٣هـ
٥- عبدالله بن سعيد سنة ١١٨٤هـ
٦- أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤هـ
٧- عبدالله بن حسن سنة ١١٨٤هـ
٨- أحمد بن سعيد سنة ١١٨٤هـ
٩- سرور بن مساعد سنة ١١٨٦هـ
١٠- عبدالمعين بن مساعد سنة ١٢٠٢هـ
١١- غالب بن مساعد سنة ١٢٠٢هـ
١٢- يحيى بن سرور سنة ١٢٢٨هـ

(٧) روضة الأفكار ٢/ ٩١.

ومع أن قرار الإذن لم يمتد إلى سنين أخرى إلا أنه قد انفتح باب المحادثات والمفاوضات بسبب ذلك.

أول وفد نجدي:

قال ابن غنام: وفيها (أي في سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧٩م) أرسل الشيخ وعبدالعزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كاتبهم وراسلهم وطلب منهم أن يرسلوا فقيهًا وعالمًا من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة، فأرسل إليه الشيخ عبدالعزيز الحصين وكتب معه إلى شريف مكة رسالة.

واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم يحيى بن صالح الحنفي وعبدالوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان وعبدالغني بن هلال وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها.

«الأولى: ما نسب إلينا من التكفير بالعموم. والثانية: هدم القباب التي على القبور. والثالثة: إنكار دعوة الصالحين للشفاعة... فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار إسراع، وتفوَّهوا بأن هذا دين الله وقالوا هذا مذهب الإمام المعظم وانصرف عنهم عبدالعزيز مبجلاً مكرم»[٨].

وابن بشر أيضًا يذكر قصة هذا الوفد[٩] ولكن بإيجاز، ولقد فصل

---

(٨) روضة الأفكار ٢/ ٩٢، ٩١. وزاد الأستاذ محمد حامد الفقي على ذلك (ص ٧٥) «فما كاد هذا الشيخ يبلغ مكة... حتى ثار آل مساعد على عمهم أحمد الشريف وانتزعوا من يده ولاية مكة بالقوة وأخرجوه منها جزاء استقدامه هذا العالم النجدي ووضعوا مكانه على مكة شريفاً آخر. والذي يغلب على الظن كثيراً أن ليد علماء السوء أثراً في هذه الثورة على الشريف أحمد.» ولا أدري ما هو مأخذه؟

(٩) ١/ ٥٩.

الكلام فيه فلبي ولكن مصدره على الغالب هو روضة الأفكار لابن غنام وأنه خلط بين حج سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م ووفد سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م مع أن ابن غنام ذكر كلا منهما منفصلا عن الآخر.

وكان رئيس هذا الوفد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين وهو من خواص تلامذة شيخ الإسلام وكان موضع ثقة كاملة له. وقد أرسله رئيسًا على الوفد إلى مكة مرتين. وكان يتولى منصب القضاء في عهود الأمير عبدالعزيز (م ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) وسعود بن عبدالعزيز (م١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) وعبدالله بن سعود (صلب ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م) بعد وفاة الشيخ. ولقد عامله إبراهيم معاملة سيئة جدا عند الاستيلاء على الدرعية سنة ١٢٣٤هـ وشدد عليه في الكلام[10] وكان إذ ذاك قد ضعف جدا. وهكذا تكون نشوة الفتح والاستعلاء الدنيوي. ولكنه والحمد لله لم يقتل مثل الآخرين، وتوفي في ١٢ رجب سنة ١٢٣٧هـ (ط أبريل ١٨٢٢م)[11].

الجدب والإذن العام للحج:

قال ابن غنام: «وفيها (سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٥م) أهدى عبدالعزيز حرسه الله تعالى علي سرور والي مكة المشرفة خيلا وركابًا بذلك وشرفه وقصده بذلك التشريف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذي هو أجل الحطام الرخصة لأهل الدين والإسلام في أداء واجب الافتراض والالتزام خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذي منعوه من سنين وكانوا

(١٠) عنوان المجد ١/ ١٩١.

(١١) ولمعرفة المزيد من الأحوال وتفصيل التلامذة يراجع عنوان المجد ١/ ٩١، ٩٤، ٢٣٢، ٢٣٣.

على قضائه متوجدين فجاء الأمر منه في ذلك بالرخصة فشمر المسلمون وانتهزوا الفرصة فحجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام»(١٢) .

وابن بشر سكت عن هذه القصة تمامًا . أما فلبي فقد فصَّل الكلام في الاستئذان ونتائجه وقال في الجدب الذي عمَّ في سنة ١١٩٧هـ/ ١٧٨٥م .

«ولكن مع ذلك (يشير إلي تلك الجهود التي بذلها الأمير عبدالعزيز) قد مني العرب كلهم بمصائب عظيمة بسبب هذا الجدب الذي استمر طوال سنتين ولكن الجدير بالذكر أن الشريف لما أبلغ الأمير الوهابي برفع الحظر المفروض على النجديين وأخلى سبيلهم إلى الحج لم يستفد منه سوى ثلاثمائة رجل(١٣) وذلك بسبب القحط . وهذا الإذن الثاني ذو أهمية خاصة في تاريخ العرب في تلك الأيام فقد كان سرور قد انفصل تمامًا عن حكومة الخليفة المزعومة في قسطنطينية وكان قد بدأ يشن الغارة على حدود عسير ونجد وكان يريد من منع النجديين من الحج أن يظهر قوته عليهم ولكن الوهابيين أبوا أن يذعنوا له . وفي مقابل ذلك بدأوا يتعرضون لقوافل الحجاج العراقية والفارسية التي كانت تمر من بلادهم ولم يكن في وسع الشريف سرور أن يضمن حمايتهم ، وكانت النتيجة أن باشا العراق منع القوافل من الخروج وذلك لأن حكومة فارس كانت تعتبر الباشا البغدادي مسؤولاً عن المتاعب التي كان يلقاها الحجاج في الصحراء . وكانت موارد أهل الحجاز

---

(١٢) روضة الأفكار ٢/ ١٣٤ .

(١٣) يظهر من كلام فلبي أن الشريف سرور (١١٨٦هـ - ١٢٠٢هـ) قد رفع الحظر عن الحج بنفسه لكن رواية ابن غنام تثبت أن الإذن كان بناء على طلب من الأمير عبدالعزيز . انظر كلامه «وقصد بذلك التشريف والإكرام . . . الرخصة لأداء أهل الدين والإسلام في أداء واجب الافتراض . . . إلخ» .

تنحصر في تلك الأيام على هذه القوافل التي كانت ترد عليهم من طريق البر. ولما ضاق الشريف ذرعًا من تجار مكة والمدينة اضطر إلى تحسين علاقاته مع الحكومة النجدية. ولم يجد مناصًا سوى الخضوع. ولما أرسل الحاكم الوهابي هدايا الخيل والإبل إلى الشريف في أيام الجدب ظهر لجميع الناس أن العلاقات قد تحسنت[١٤]» إلا أن الإذن أيضًا بدا مؤقتًا[١٥].

وفد نجدي ثان:

توفي الشريف سرور في سنة ١٢٠٢هـ وتولى الأمر بعد ذلك عبدالمعين ابن مساعد، وخلفه غالب بن مساعد وهو الشريف غالب الذي وقعت في عهده المعارك بين أهل نجد والحجازيين والمصريين. وحسبما يرويه المؤرخون فقد كان ينوي اجتناب هذا الصراع إلا أن العلماء حالوا دون كل هدنة.

ومهما كان الأمر فإن أقوى دليل على تفهمه للأمور أن الشريف غالبًا (١٢٠٢ - ١٢٢٨هـ) بعد مدة سنتين فقط من توليه للإمارة طلب من الأمير عبدالعزيز عالمًا يستطيع أن يتكلم في دعوة شيخ الإسلام. وقد لبى الأمير عبدالعزيز هذه الدعوة فرحًا مسرورًا واختار الشيخ عبدالعزيز الحصين لهذه المهمة (وهو الذي كان رئيس الوفد الأول) وكتب شيخ الإسلام رسالة بيده ذكر فيها الأدلة بكل تفصيل مع الإشارة إلى الوفد الأول وأن علماء مكة قد

---

(١٤) Arabia: ص ٣٨، ٣٩.

(١٥) ذكر ماردتمان «ابن سعود: دائرة المعارف الإسلامية» أن غالباً كان قد سحب هذا الإذن في سنة ١٢٠٢هـ. وعامة المؤرخين يذكرون أن الإذن في كل مرة كان مؤقتاً ولم تزل أحكام منع النجديين من الحج مستمرة حتى بدأت الحرب سنة ١٢٠٥هـ (الرحلة الحجازية ص ٦٨).

اطمأنوا إليهم في ذلك الوقت. واستقبل الشريف غالب الشيخ عبدالعزيز الحصين استقبالا طيبًا وكلمه طويلا واعترف بأهميته وصدق أدلته إلا أنه تراجع عن رأيه بعدما أغواه العلماء المحليون. وحذره فقهاء الحرم بأنه إن أطاع ابن سعود يفقد إمارته ووقع هذا الأمر في قلب الشريف غالب ومنعه الفزع من الإمارة النجدية عن قبول الحق، ولقد ذاق العالم الإسلامي كله مرارته. وألح عليه الشيخ عبدالعزيز أن يجتمع مع جماعة من علماء مكة ويناقشهم في المسائل المختلف فيها بصراحة ووضوح إلا أن العلماء لم يرضوا بهذا وأعلنوا بالحرف الواحد: «هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك، فطار لبه وارتعش قلبه»[١٦] ولو أن فقهاء الحرم أخذوا جانب الحزم والتعقل وتجنبوا هذه المعاملة المتهورة وتم التفاهم بين الشريف غالب والأمير عبدالعزيز لحقنت دماء المسلمين الغالية.

والعجب أن ابن بشر لم يذكر هذا الحادث المهم.

وفد نجدي ثالث:

وبعدما خاب الوفد الثاني في مهمته ابتدأت المناوشات بين الجانبين. وبدأ بها غالب بنفسه في سنة ١٢٠٥هـ (١٧٩١م) واستمرت هذه الاشتباكات مدة طويلة تخللتها مهادنات. وفي خلال هذه المدة استمرت الجيوش النجدية في توسيع نفوذها في بقية أنحاء الجزيرة العربية حتى هجموا على جزيرة العمائر قرب الإحساء في سنة ١٢١١هـ ورجعوا غانمين[١٧].

---

(١٦) روضة الأفكار ٢/ ١٦٣.

(١٧) عنوان المجد ١/ ١١٠.

ولما رأى الشريف غالب هذا الازدياد في القوة النجدية بادر إلى المفاوضات مرة أخرى. وكتب إلى الأمير عبدالعزيز كتابًا طلب فيه أن يرسل عالمًا نجديًا يستطيع أن يعرض مذهب الموحدين على أهل مكة. وكان الوفدان السابقان قد ذهبا في حياة شيخ الإسلام ومعهما مكتوب من شيخ الإسلام وجاءت مطالبة الوفد الثالث بعدما توفي الشيخ (سنة ١٢٠٦هـ) ولكن مع ذلك سارع الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى استجابته ولم يكن هناك شيء أحب إليه من الدعوة إلى الله. واختار لهذه المهمة أحد تلامذة الشيخ الأجلاء وهو الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر. ولما فرغ الشيخ حمد بن ناصر ورفقاؤه من الطواف قدموا هدايا الأمير عبدالعزيز إلى الشريف واستُقبلوا استقبالاً وديًا. واستمرت المناقشات عدة أيام مع علماء مكة. وفي الأخير قُدمت أسئلة عديدة إلى الشيخ حمد بن ناصر وطلب منه أن يكتب أجوبتها فأجاب عنها مفصلا ومبرهنًا بالأدلة. وقد طبعت هذه الأجوبة في رسالة سميت «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب»[١٨]، وتكلم في هذه الرسالة بالخصوص على مسألتين وهما: الشفاعة والاستغاثة وتكفير تاركي الصلاة وقتالهم. وسنتكلم فيما بعد بالتفصيل في هذه الموضوعات ولذلك لا أرى التعرض بموضوع بحث هذه الرسالة.

وكانت هذه المناظرة في شهر رجب سنة ١٢١١هـ في مجلس حافل أمام الشريف غالب. وعلق ابن غنام على هذه المناظرة في حوادث سنة ١٢١١هـ:

«إنهم اعترفوا باستقامة حججه ولكن مع ذلك جحدوا... إلخ».

وقد نقل ابن غنام الرسالة بكاملها[١٩] وذكر فلبي أيضًا[٢٠] جميع ما

---

(١٨) مجموعة الهدية السنية ص ٩٠، ٥٥. (١٩) روضة الأفكار ٢/ ٢٢٦.

(٢٠) Arabia ص ٧١، ٧٢.

جرى في هذا الوفد والمناظرة. والعجب أن ابن بشر سكت أيضًا عن ذكر هذا الوفد.

ومن المناسب هنا أن أذكر كلمات في شأن رئيس الوفد حمد بن ناصر ابن معمر، فكان يتشرف بتتلمذه على شيخ الإسلام مثل رئيس الوفد الأول والثاني الشيخ عبدالعزيز الحصين (م سنة ١٢٣٧هـ) وزيادة على ذلك كان قد استفاد من أخيه سليمان بن عبدالوهاب (م سنة ١٢٢٥هـ) وقد تولى القضاء في الدرعية مدة طويلة وكان الأمير سعود بن عبدالعزيز (١٢١٨ - ١٢٢٩هـ) قد أرسله للتدريس والإفتاء في مكة المكرمة وتوفي هناك في أواسط ذي الحجة ١٢٢٥هـ (بداية كانون الثاني يناير سنة ١٨١١م)[٢١].

صلح بعد حرب:

لقد زادت فتوحات «الوهابيين» حتى أن الباب العالي اهتم في شأنهم وسُلّمت هذه المهمة إلى سليمان باشا والي بغداد[٢٢] فأرسل جيوشًا لكبح جماحهم بقيادة «ثويني» ثم بقيادة «علي باشا»[٢٣] ولكنها رجعت خائبة خاسرة وصارت الجيوش النجدية تشن غارات باستمرار على حدود

---

(٢١) عنوان المجد ١/ ١٥٢.

(٢٢) في سنة ١٢١٢هـ وكان الشريف غالب هو الذي لفت أنظار الدولة العثمانية إلى خطر «الوهابيين» وحثه على كسر شوكتهم إلا أن الدولة لم تُعزْ أي اهتمام. ولكننا نرى أن سليمان باشا حاكم بغداد جهز الجيوش لمحاربة أهل نجد قبل ذلك وأما بعده في سنة ١٢١٣هـ فكما يقول دحلان نفسه أن نائب سليمان وهو علي باشا قد قام بهجوم عنيف «ولو لم تكن حياتهم باقية لكان من المقطوع به نهاية الوهابيين» خلاصة الكلام ص ٢٦٦، ٢٦٨.

(٢٣) أرسلت هذه الجيوش في سنة ١٢١١هـ (١٧٩٧م) وسنة ١٢١٣هـ (١٧٩٩م) وللتفصيل يراجع عنوان المجد ١/ ١٠٧، ١٠٩، ١١٨، وفلبي ص ٦٨، ٧٠.

العراق. وتقدم الأمير عبدالعزيز فاستولى على البحرين وسواحل عمان وحكم سيطرته بهجمات على حكام بغداد والبصرة الأتراك.

ولم يزل الحظر المفروض على النجديين من الحج مستمرًا وفي مقابل ذلك لم يزل هجومهم على العراق والتعرض لقوافل العراقيين مستمرًا. وكان كل هذا مصدر تعب وقلق دائمين لأشراف مكة. فاضطروا لرفع الحظر عن الحج مرارًا وطلبوا الوفود للتفاهم ولكنهم في الأخير عزموا على شن الغارة. وكانت هذه عادة الشريف غالب فقد قام بشن غارات شاملة بعد استعدادات كاملة في سني ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م) و ١٢١٠هـ (١٧٩٥م) و ١٢١٢هـ (١٧٩٨م) ولكن في كل مرة كان حظه الهزيمة[٢٤].

ووقعت أعنف هذه المعارك[٢٥] وآخرها في سنة ١٢١٢هـ في الخرمة (قرية معروفة عند تربة) ومني فيها غالب بهزيمة نكراء وقتل آلاف من رجاله فلم يجد بدًا من المصالحة والإذن للحج، وعُينت الحدود بين الطرفين فكانت عتيبة وحرب والناحية الشمالية من عسير في حدود مملكة الشريف. وتم هذا الصلح في آخر جمادى الأولى سنة ١٢١٣هـ (كانون الأول ديسمبر سنة ١٧٩٨م)[٢٦] وعلى أثر ذلك بدأ النجديون وكذلك القوافل العراقية يؤدون فريضة الحج بأمن وسلام من سنة ١٢١٣هـ إلى سنة ١٢١٥هـ.

---

(٢٤) عنوان المجد ١/ ٨٧، ٨٦، ١٠٣، ١٠٧، ١١٢ وفلبي ص ٥١، ٥٤، ٧٣، ٧٤.

(٢٥) وهذه المعركة هي التي اشتهرت «بوقعة الخرمة» وقد وقعت في شوال سنة ١٢١٢هـ (مارس وأبريل سنة ١٧٩٨م) ورجع غالب إلى مكة منهزماً في ٣ من ذي القعدة (١٩ أبريل ١٧٩٨م): خلاصة الكلام ص ٢٦٧.

(٢٦) خلاصة الكلام ص ٢٦٧.

الحج سنة ١٢١٣هـ:

بعد معركة الخرمة أرسل الشريف رسولا إلى عبدالعزيز وطلب منه الصلح فقبله الأمير وأذن الشريف لأهل نجد بالحج، وفي العام نفسه تشرف ركب آخر من نجد بأداء فريضة الحج وكان فيه نجلان لشيخ الإسلام وهما علي بن محمد وإبراهيم بن محمد[٢٧].

ويعلق دحلان على هذا بقوله: «وقد ارتبط بينهم عهود ومواثيق على المسالمة وأن الحرب بينهم موقوف وأن يحج الوهابيون بيت الله الحرام ونادى المنادي بالأمن والأمان ومنع الناس عن التعرض لهم باليد واللسان فأقبلوا على مكة من كل مكان. فسبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن»[٢٨].

ويذكر أحمد دحلان حج حمد بن ناصر أيضًا إلا أن ابن بشر لم يذكر اسمه في نطاق ذكره للأعيان الآخرين.

ولم يتمكن الأمير عبدالعزيز ولا سعود بن عبدالعزيز من أداء الحج في ذلك العام وذلك بسبب أن نائب سليمان باشا وهو علي باشا قد أرسل جيشًا عظيمًا لمحاربتهم فاشتغل الوالد والولد في الاستعداد لهذه المهمة. ووقعت هذه الحادثة ما بين رمضان وذي القعدة سنة ١٢١٣هـ (سنة ١٧٩٩م).

الحج سنة ١٢١٤هـ:

«وفيها حج سعود بن عبدالعزيز حجته الأولى وأجمل معه غالب أهل

---

(٢٧) عنوان المجد ١/ ١٢٠.

(٢٨) خلاصة الكلام ص ٢٦٨.

نجد والجنوب والإحساء والبوادي غيرهم، وكانت حجة حافلة بالشوكة وجميع الخيل والجيش والأثقال والنساء، واعتمروا وقضوا حجهم على أحسن الأحوال لم ينلهم مكروه ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنة»[٢٩].

«وفي سنة أربع عشرة حج سعود بن عبدالعزيز ومعه قوم كأمثال الرمال واجتمع بمولانا الشريف في خيمة ضربت لهما بالأبطح ورجع في الثامن والعشرين من ذي الحجة (مايو سنة ١٨٠٠م)[٣٠].

الحج سنة ١٢١٥هـ:

«وفيها حج عبدالعزيز بن محمد بن سعود بالناس واحتفلوا احتفالا أعظم من الأول التي قبلها، وأجمل معه غالب أهل نجد ومن تبعهم من البوادي وغيرهم بالنساء والأطفال، وحج معه ابنه سعود، ثم إن عبدالعزيز لما سار سبعة أيام أنس من نفسه الملل والثقل وبالغ معه ابنه سعود. . فرجع عبدالعزيز. . ورجع إلى الدرعية وحج سعود بالمسلمين واعتمروا وحجوا على أحسن حال، واجتمع سعود بغالب في مكة وبذل سعود في مكة من الصدقات والعطاء شيئًا كثيرًا. وهذه حجته الثانية»[٣١].

«وفي هاتين السنتين مرت قوافل الحجاج من أرجاء بلدان نجد آمنة مطمئنة وكان سعود بن عبدالعزيز بنفسه يشرف عليها وفي السنة الثانية تشرف حاكم عمان أيضًا بالحج»[٣٢].

---

(٢٩) عنوان المجد ١/ ٢٠.

(٣٠) خلاصة الكلام ٢٦٨.

(٣١) عنوان المجد ١/ ١٢١.

(٣٢) فلبي ص ٨١.

لقد أخذنا هذا الترتيب بين الوقائع والحجات من مراجع موثوق بها وقد حصل بعض الغلط في الترتيب عند الأمير شكيب أرسلان ولعله بسبب اعتماده علي بعض المصادر الأوربية[٣٣]. وكذلك الأمر في مقالة ماردتمان ومع أن السنين فيها قد كتبت صحيحة إلا أن الترتيب منقلب[٣٤].

الغارة على كربلاء سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠٢م:

لقد بولغ كثيراً في رواية قصة غارة النجديين على كربلاء وإهانة النجف وبلد الحسين ولكننا نذكر هنا الوقائع الصحيحة وبإيجاز:

«ولقد فشلت تمامًا تلك الحملات المتكررة التي قام بها ولاة البصرة وبغداد من الترك مع حلفائهم من آل المنتفق عام ١٧٩٧م وحملة كخيا علي باشا سنة ١٧٩٨م في إجلاء الوهابيين من الحسا. وانتهت هذه الحملات بتهادن عبدالعزيز ووالي بغداد لمدة ست سنوات ولكن صلات الوهابيين الودية مع بغداد والأشراف لم يطل أمدها، فداهم سعود بن عبدالعزيز مدينة كربلاء في ١٨ ذي الحجة عام ١٢١٦هـ (٢١ أبريل ١٨٠٢م) للانتقام من قبيلة خزاعل الشيعية لاعتدائها على قافلة وهابية»[٣٥].

«وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة والخيل العتاق المشهورة ومن جميع حاضر نجد وباديها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك، وقصد أرض كربلاء، ونازل أهل بلد الحسين وذلك في ذي القعدة[٣٦] فحشد عليها

---

(٣٣) حاضر العالم الإسلامي ٤/ ١٦٢، ١٦٣.

(٣٤) مقالة «ابن سعود» دائرة المعرف الإسلامية.

(٣٥) فلبي ص ٨١، ومقالة ماردتمان «دائرة المعارف الإسلامية «عربي» ١/ ١٩١، ١٩٢».

(٣٦) ذو القعدة سنة ١٢١٦هـ (مارس سنة ١٨٠٢م) ولعله تاريخ الخروج وقد حدد هاردتمان تاريخ الهجوم وهو ١٨ ذي الحجة سنة ١٢١٦هـ (٥ أبريل سنة ١٨٠٢م) ويظهر أنه صحيح.

المسلمون وتسوَّروا جدرانها ودخلوها عنوة، وقتلوا غالب أهلها في الأسواق والبيوت وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، وأخذوا ما في القبة وما حولها وأخذوا جميع ما وجدوا في البلد من أنواع الأموال والسلاح واللباس والفرش والذهب والفضة والمصاحف الثمينة وغير ذلك ما يعجز عنه الحصر، ولم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر بجميع تلك الأموال وقتل من أهلها قريب من ألفي رجل»[٣٧].

ومهما فرح أهل نجد بهذه الحادثة وشفي غيظهم إلا أنها أثارت موجة السخط والغضب بين المسلمين عامة والشيعة الإيرانيين خاصة ويقال إن «فتح علي شاه قاجار» (١٢١٢ - ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٨-١٨٣٤م) قد عزم على شن الغارة على نجد بجيش عدته مائة ألف رجل وكان سليمان باشا حاكم بغداد أيضًا يعد جيشًا عظيمًا. إلا أن أهل إيران قد اشتبكوا مع الروس واشتغل سليمان باشا في إخماد ثورة من قبل الأكراد وهكذا صُرفوا عما أرادوا[٣٨].

أما غضب «فتح علي شاه قاجار» فمعقول، ولكن كتب التاريخ الأخرى لا تثبت إرادته غزو نجد. ولقد وجدت مخطوطة في المكتبة الشرقية ببتنة تلقي بعض الضوء على هذه الحادثة وفيها رسالة من الأمير سعود بن عبدالعزيز باللغة الفارسية إلى «فتح علي شاه قاجار» وفيه ذكر لقتل أهل النجف مع ذم أعمالهم الشركية وكتب فيها أيضًا أن «فتح علي شاه» إن لم يحاول استئصال هذه المفاسد فسيضطر أمير نجد أيضًا إلى اتخاذ إجراءات صارمة. ومع هذه الرسالة يوجد جواب «فتح علي شاه» وقد حذر فيه أمير

(٣٧) عنوان المجد ١/ ١٢١، ١٢٢.

(٣٨) حاضر العالم الإسلامي ٤/ ١٦٣.

نجد وأكد عليه أن يمتنع عن هذه (المظالم) . وفي بداية الرسالة توجد بعض التوضيحات والإفادات عن دعوة شيخ الإسلام بكلمات موجزة وهذه الإفادات من قبل سعود بن عبدالعزيز . وأما أصل الرسال فقد كُتب من قبل الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود وعند الهجوم على كربلاء كان الأمير عبدالعزيز حاكمًا وسعود بن عبدالعزيز وليًا للعهد وقائد الجيش فمن المعقول أيضًا وجود أسمائهما في الرسالة .

كتبت هذه المخطوطة الوجيزة في سنة ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م أي بعد ثلاث سنين من الحادث فقط . ولا يوجد تاريخ في الرسائل إلا أنها كتبت في أيام قريبة من الهجوم على كربلاء وليس فيها أي ذكر لغارة «فتح علي شاه» المزعومة . ومن جهة أخرى يتبين لنا من تصريحات فلبي[٣٩] أن العلاقات بين «فتح علي شاه» وسعود بن عبدالعزيز كانت طيبة وودية في سنة ١٨٠٨م ولذلك فلا يمكن أن نقطع بشيء في إرادة ملك إيران الغارة على نجد .

أما غارة سليمان باشا حاكم العراق فالذي نعرف عنها أنه توفي في سنة ١٢١٧هـ أي بعد مدة قصيرة من حادث كربلاء[٤٠] .

انتهاء الهدنة سنة ١٢١٧هـ:

إن معاهدة الهدنة التي أبرمت بين الجانبين بعد وقعة الخرمة لم يقدر لها البقاء مدة طويلة ، واتهم الشريف غالب الجيوش النجدية بخرق المعاهدة والقيام بأعمال عدوانية ، ولما لم تنحلّ المسألة بالمكاتبات أرسل الشريف غالب وزيره «عثمان المضايفي» لإجراء مفاوضات . إلا أنه لما وصل هناك

---

(٣٩) Arabia ص ٩٠ .

(٤٠) عنوان المجد ١/ ١٢٢ .

انضم إليهم ولما رجع دعا غالبًا إلى المبارزة من قبل حلفائه الجدد.

ومن جهة أخرى ساءت العلاقات بين غالب وأخيه عبدالمعين واستنجد عبدالمعين بسعود فوقع اشتباك قرب الطائف وتحصن غالب في قلعة الطائف إلا أنه مني بالهزيمة أخيرًا واستولى الجيش السعودي على الطائف وعين عثمان المضايفي حاكمًا للحجاز(٤١) وانتشرت الجيوش النجدية في الأطراف والجوانب وأخذوا يتوجهون نحو مكة المكرمة.

كان الحج قريبًا وكان الركب الشامي نازلاً على بعد ثلاثة أيام من الحرم بقيادة (عبدالله باشا) فتصالح مع سعود على شرط أن يعود الركب إلى بلاده بعد ثلاثة أيام من فراغه من شعائر الحج وطلب غالب من عبدالله باشا أن يتوسط له لدى سعود إلا أنه رجع إلى بلاده بمجرد فراغه من الحج حسب شروط الاتفاق وذهب طلب غالب هباء(٤٢).

دخول مكة:

بعدما انتهت أعمال الحج لجأ غالب إلى جدة ودخل سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة فاتحًا وذلك في يوم السبت ٨ محرم الحرام سنة ١٢١٨هـ (٣٠ أبريل سنة ١٨٠٣م)(٤٣) ولم يلق سعود أي معارضة من قبل المواطنين، وعين عبدالمعين شقيق غالب أميرًا على مكة وتوجه بنفسه إلى الإصلاح. قال ابن بشر:

«ودخل سعود مكة واستولى عليها وأعطى أهلها الأمان وبذل فيها من الصدقات والعطاء لأهلها شيئًا كثيرًا. فلما فرغ سعود والمسلمون من

(٤١) أواخر سنة ١٢١٧هـ (١٨٠٣م).

(٤٢) عنوان المجد ١/ ١٢٢/ ٢، وفلبي ص ٨٣.

(٤٣) لقد ذكر صاحب قاموس الإسلام (ص٦٦٠) تاريخ دخول مكة ٢٧ أبريل إلا أنه أخطأ ولعل زويمر أيضاً (ص٩٤) نقل منه هذا الخطأ.

الطواف والسعي تفرق أهل النواحي يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية.

وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها فأقام فيها أكثر من عشرين يومًا ولبث المسلمون في تلك القباب بضعة عشر يومًا يهدمون، يباكرون إلى هدمها كل يوم وللواحد الأحد يتقربون، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها ترابًا»(٤٤).

«لقد ولى سعود عبدالمعين إمارة مكة وتوجه إلى تطهير الحرم من أرجاس الوثنية، ووزع الجواهر والأموال الموجودة في الكعبة، وهدمت القباب وقتل بعض السدنة»(٤٥).

ولم يذكر ابن بشر شيئًا عن توزيع الجواهر وقتل السدنة. وهذا جانب واحد من دخول سعود مكة ولعل عامة الناس لا يرضون بهذا فلنلاحظ الجانب الآخر أيضًا. يقول الراهب هيوجس (Huges):

«لم يصب المواطنين أي أذى لأجل قداس الحرم. وبعد أن تولى الإمارة أهل نجد عمرت المساجد حتى أن هذا المنظر من الزهد والطاعة لم يُرَ له مثيل في هذا البلد الأمين بعد عهد النبوة»(٤٦).

وكتب معاصر أوروبي آخر وهو برك هارت:

«ما زال أهل مكة يذكرون اسم سعود بالشكر والرضى حتى الآن،

---

(٤٤) عنوان المجد ١/ ١٢٢/٢ ، ٣.

(٤٥) فلبي ص ٨٣.

(٤٦) قاموس الإسلام (Dctionary of Islam) ص ٦٦٠.

وما زالت معاملة الجنود الطيبة تُذكر بثناء ومدح وبالخصوص معاملتهم في أيام الحج والزيارات. ولم يستطيعوا أن ينسوا تلك المعاملة العادلة التي شاهدوها من جيوشه»[٤٧].

وزيادة على هذا أجبر الناس كلهم على الصلاة مع الجماعة ودُمّرت آلات التنباك والملابس الحريرية وألغيت المكوس والرسوم التي لا يقرها الشرع الإسلامي[٤٨]. وقضي على تعدد الجماعات في الصلوات وبدأ الناس يصلون وراء إمام واحد، وبدأ علماء المذاهب المختلفة يصلون بالناس في أوقات مختلفة[٤٩].

ووزعت رسالة ألفها الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام في توضيح عقائد أهل نجد وطريقتهم، وذكر فيها بكل تصريح هدم القباب والزوايا، وبحث في المسائل الأخرى المختلف فيها. وحسبما يروي دحلان أمر بتدريس رسالة (كشف الشبهات) لشيخ الإسلام[٥٠].

وقد ذكرنا آنفًا أن غالبًا قد التجأ إلى جدة فتعقَّبه سعود بعدما أقام في مكة المكرمة أربعة عشر يومًا وذلك في ٢٢ محرم سنة ١٢١٨هـ. إلا أن المهمة قد باءت بالفشل لأجل تفشي الطاعون في جنوده واضطر إلى أن يترك فكرة الاستيلاء على الحجاز في ذلك الوقت وبقي مائتان من جنوده في مكة فذُبحوا وراءه بكل قسوة[٥١].

---

(٤٧) برك هارت ٢/ ١٤٩.

(٤٨) الهدية السنية ص ٤٣.

(٤٩) خلاصة الكلام ص٢٧٨.

(٥٠) خلاصة الكلام ص٢٧٩.

(٥١) حاضر العالم الإسلامي ٤/ ١٦٢، وفلبي ص٨٣.

استشهاد الأمير عبدالعزيز:

في ١٨ رجب سنة ١٢١٨هـ (٤ نوفمبر سنة ١٨٠٣م) حينما كان الأمير عبدالعزيز يصلي بالناس صلاة العصر حسب عادته وبينما كان ساجدًا بين يدي ربه إذ هجم عليه ظالم بخنجر وقتله. ويروى أن الذي قتله كان رافضيًا إيرانيًا أو كرديًا(٥٢) قُتل عدة من أولاده في كربلاء بأيدي النجديين، وكان يقيم بالدرعية يتربص الدوائر لكي يتمكن من أخذ ثأره، وكان الأمير عبدالعزيز يكرمه لغربته وظهور صلاحه ولكنه بقي ينتظر الفرصة مدة سنة كاملة حتي تمكن من إرواء غليله بقتل الأمير عبدالعزيز.

لقد حكم عبدالعزيز بن محمد بن سعود من سنة ١١٧٩هـ (سنة ١٧٦٥م) إلى سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) أي مدة تسعة وثلاثين عامًا، ومضى أكثر عهد حكمه تحت إشراف مباشر من شيخ الإسلام نفسه، وكان عبدالعزيز قد برزت أهميته قبل سنة ١١٥٩هـ/ ١٧٤٤م أي قبل وفاة والده، وجميع المعارك العامة التي خاضتها الجيوش النجدية من سنة ١١٥٩هـ إلى ١١٧٩هـ (أي سنة ١٧٤٤م إلى ١٧٦٥م) كانت تحت قيادته. كما أن جميع المعارك التي وقعت في عهده كانت بقيادة ولي عهده سعود بن عبدالعزيز، وكان عبدالعزيز قد استفاد بصحبة شيخ الإسلام ولذلك كانت محبة الدعوة والتبليغ مسيطرة على قلبه، وكلما تم له الاستيلاء على بلد من البلدان كان

---

(٥٢) عامة المؤرخين يذكرون أن القاتل كان رافضياً إيرانياً (فلبي ص ٨٤، حاضر ٤/ ١٦٣) إلا أن ابن بشر (١/ ١٢٣) يقول إنه كان كردياً ثم يقول: وقيل إنه كان شيعياً وأتى بصفة التمريض، لأن الأكراد ليسوا بأهل رفض ولا في قلوبهم غلٌّ على المسلمين (١/ ١٢٤) وابن بشر يسميه بعثمان وكان من سكان [عمارية] قرب الموصل.

أول همه تعيين الوعاظ والمصلحين. وكان مطبوعًا على الشفقة والرحمة على رعيته. ولسنا الآن في مجال التفصيل والإحاطة فقد ذكر ابن بشر محاسنه وعاداته بكمال. ونحن نكتفي هنا بذكر شهادة واحدة وهي من القاضي محمد بن علي الشوكاني (سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م - سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٢م) وكان الشوكاني معاصرًا للأمير عبدالعزيز ولا يمكن أن يُتهم بأنه كان مواليًا لشيخ الإسلام[٥٣]، قال الشوكاني:

«ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام، ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إما رغبة وإما رهبة، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئًا ولا يقومون بشيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على ما في لفظهم من عوج، وبالجملة فكانوا في جاهلية جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها»[٥٤].

وقد امتدح برك هارت أيضًا جهوده في الدعوة إلى الله وتعيينه للقضاة وعدل القضاة وغيرها في كلمات رائعة[٥٥].

---

(٥٣) يراجع الباب الرابع (الدعوة وحقيقتها) والباب الخامس (افتراءات وأكاذيب).

(٥٤) البدر الطالع.

(٥٥) بركهارت ص ٢٦.

سعود بن عبدالعزيز

١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م - ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م

بعد شهادة الأمير عبدالعزيز تولى الإمارة ابنه سعود وكانت قد أخذت له البيعة في حياة شيخ الإسلام بإيعاز منه[٥٦]. وبعدما تولى سعود زمام الحكم بدأ في توسيع نطاق الدعوة والدولة على منوال أبيه وسلم قيادة المعارك النائية إلى ابنه عبدالله ففتح خيبر في الحجاز من جهة ومن جهة أخرى وصلت فتوحاته إلى البحرين وعمان ورأس الخيمة.

وهنا اهتم الباب العالي بشأنهم وصدرت الأوامر إلى علي باشا حاكم العراق وعبدالله باشا حاكم دمشق وشريف باشا حاكم جدة أن يقوموا للقضاء على هذا الخطر. فابتدأ العمل بتجهيز جيش عظيم في العراق من العرب والأكراد ولكن هذه الاستعدادات لم تتم في وقتها فانتهز سعود هذه الفرصة وهجم على البصرة وكان علي باشا متحصنًا في «الحلة» فتركته الجيوش النجدية واتجهت نحو الزبير وهدمت هناك جميع القباب والمشاهد التي لا تتفق والعقيدة الإسلامية ثم رجعت إلى بلادها[٥٧]. وهكذا رجع سعود سالمًا غانمًا أما علي باشا فقد اشتغل في إخماد ثورة الأكراد. وهكذا خابت خطة القضاء على النجديين[٥٨].

---

(٥٦) سنة ١٢٠٢هـ (١٧٨٨م) روضة الأفكار ٢/ ١٥٤ عنوان المجد ١/ ٨٣.

(٥٧) ذو الحجة سنة ١٣١٨هـ (مارس وأبريل سنة ١٨٠٤م).

(٥٨) عنوان المجد ١/ ١٣٠. وفلبي ص ٨٦، ٨٧.

دخول مكة ثانيًا:

لقد كان سعود مطمئنًا من ناحية عمان والمدن الساحلية فقد كانت قد اعترفت بسيادته وأذعنت له، ولما اطمأن الآن من ناحية العراق عاد يفكر في إخضاع الحجاز من جديد وصمم على ذلك(٥٩). وتقدم عثمان المضايفي فاستولى على الطائف بدون أي معارضة وخضع له أهل المدينة أيضًا في أوائل سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) وعاهدوا بالسمع والطاعة، وهُدمت القباب والمشاهد من القبور العامة كما جرت عادتهم بذلك(٦٠). وفي هذه المدة توجهت الجيوش النجدية الأخرى التي كانت قد أخضعت البلدان المجاورة إلى مكة.

وكان موسم الحج قد اقترب فتوقف الركب الشامي لأجل المحاصرة واضطربت الأحوال داخل مكة واضطر غالب إلى أن يطلب الأمان وعاهد بطاعة سعود(٦١) فسمح للقافلة الشامية بالحج وأرسل غالب هدايا إلى سعود إثباتًا بطاعته وصادق على معاهدة الصلح التي كانت قد أبرمت بين قائده عبدالوهاب أبي نقطة وعثمان المضايفي «فتغيرت الأحوال وأمنت السبل ومشت السابلة إلى مكة من جميع النواحي ورخصت الأسعار في الحرمين وغيرهما»(٦٢).

---

(٥٩) ذو القعدة سنة ١٢١٩هـ (فبراير سنة ١٨٠٥م).

(٦٠) لقد ذكر كل من استودارد (حاضر العالم الإسلامي]) و Huges (قاموس الإسلام: ص ٦٦٠) وغيرهما، أنهم هدموا القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ أيضاً. ولكن هذا خطأ فاحش. وللتفصيل يراجع باب الافتراءات والأكاذيب.

(٦١) أواخر سنة ١٢٢٠هـ (يناير أو فبراير سنة ١٨٠٦م).

(٦٢) عنوان المجد ١/ ١٣٢، ١٣٤. =

وهناك محققون أوربيون أمثال هارت وبرائجس الذين يمكننا أن نصفهم بأنهم شاهدا عيان تقريبًا بهذه الوقعة . وهم قدموا لنا صورة جديدة ومتغيرة :

«فتحت المدينة في سنة ١٨٠٤م وكان هناك رجل يسمى (حسن قلعي) قد استولى على المدينة من قبل فنهب جميع الخزائن الموجودة في الحجرة الشريفة ووزعها بين أصحابه قبل أن يسلم البلد إلى سعود، وبعد مدة يسيرة من الفتح لما دخل سعود المدينة وفتح الحجرة فأخذ ما كان هناك من البقايا»[٦٣] .

الحجة الثالثة لسعود:

لقد سبق أن ذكر أن الأمير سعود قد حج مرتين والآن بعد أن فتحت مكة قد وجد فرصة لزيارة بيت الله كما وجد مجالاً لإتمام مساعيه في الدعوة، فخرج بإرادة الحج للمرة الثالثة في ١٢ ذي القعدة سنة ١٢٢١هـ (يناير سنة ١٨٠٧م) من الدرعية، ووزع من الصدقات والعطايا الشيء

= كان القحط قد عم جميع نواحي الجزيرة العربية، وقد استمر من ذي الحجة سنة ١٢١٩هـ إلى ذي القعدة سنة ١٢٢٠هـ (خلاصة الكلام ص٢٨٥) وتأثرت به بلاد نجد واليمن أيضًا إلا أن الأحوال قد ساءت جداً في مكة لأن السكان كان قد بلغ بهم الجهد لأجل الحروب والحصار وجاء الجدب فقرَّبهم إلى الهلاك . وزعم فلبي أن حوادث من السلب والنهب قد وقعت بعد فتح مكة ولكنه ليس بصحيح فإن أحمد زيني دحلان الذي يتحف الوهابيين بشتائم لا تعد ولا تحصى لم يذكر شيئاً من هذا القبيل فلو كان له أدنى درجة من الصحة لما سكت دحلان (يراجع خلاصة الكلام ص٢٩٢) .

(٦٣) بركهارت ٢/ ١٩٨ ، ١٩٩، برائجس ص ٣٣ ، ٣٤ .

الكثير بعدما وصل مكة المكرمة، ثم توجه إلي المدينة المنورة في آخر ذي الحجة وبعدما نظم هناك الأمور الإدارية رجع. وذكر أحمد زيني دحلان أنه أخرج الذهب والجواهر من الحجرة الشريفة[٦٤] إلا أن ابن بشر سكت عن هذا ونرى المؤرخين الأوربيين أمثال بلنت وغيره[٦٥] يرددون هذا الخبر ولكننا لا نستطيع أن نجزم به لأجل سكوت ابن بشر فلو أن سعودًا تصرَّف بأموال الحجرة النبوية كما صنع في النجف أو وزعها بين عساكره لذكره ابن بشر لأنهم لا يعتبرون هذا أمرًا مذمومًا، وقد سبق أن سمعنا كثيرًا من مثل هذه الوقائع في النجف وكربلاء بلسان ابن بشر نفسه. نعم الجبرتي ذكر أن عبدالله بن سعود أخذ الأموال من الحجرة الشريفة ثم رجعها[٦٦] فيحتمل أن تكون القصة صحيحة وأعرض عنها ابن بشر[٦٧].

ومن الأمور المهمة التي حدثت في هذا السفر أن الركب الشامي اضطر إلى القفول لأجل عدم إيفائه بالشروط، وكان قد اشتُرط عليهم أن لا يدخلوا بالملاهي والأغاني[٦٨]. وكذلك أجبر سعود الجنود التركية على أن تترك مكة وبايع غالب سعودًا[٦٩]. وكان في هذا الحج مع سعود جميع أمرائه وعدد كبير من أهل نجد ونواحيها.

---

(٦٤) خلاصة الكلام ص٢١٤.

(٦٥) رحلة إلى بلاد نجد ٢/ ٢٥٦.

(٦٦) عجائب الآثار ٤/ ٢٩٩.

(٦٧) وهذا الاحتمال بعيد جداً ولو كان كذلك لما سكت عنه ابن بشر (المترجم).

(٦٨) خلاصة الكلام ص ٢٩٤.

(٦٩) عنوان المجد ١/ ١٣٨.

إصلاحات أخرى:

لقد حج سعود للمرة الثالثة في سنة ١٢٢١هـ ثم استمر يحج بعد ذلك كل سنة إلى سنة ١٢٢٧هـ. وكان شغله الشاغل في هذه الأسفار والاجتماعات وتجمعات الحج هو الدعوة إلى الله وإصلاح شؤون المسلمين، فمنع المحامل التي كانت ترد من مصر والشام كما منع الملاهي والأغاني التي كانت تصحب القوافل عادة[٧٠]. قال ابن بشر:

«وفشا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة فلا يشرب التنباك في أسواقها، وأمر سعود أن يُجعل في أسواقها من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت، فكان إذا أذن دار الرجال في الأسواق: الصلاة، الصلاة»[٧١].

وفي سنة ١٢٢٥هـ تشرف ابن بشر بنفسه بزيارة بيت الله الحرام والحج وذكر لنا ما شاهده هناك فقال:

«وحججت في تلك السنة وشهدت سعودًا وهو راكب مطية محرمًا بالحج ونحن مجتمعون في نمرة لصلاة الظهر، وخطب فوق ظهرها خطبة بليغة ووعظ الناس فيها وعلمهم المناسك وذكر ما أنعم الله عليهم به من الاعتصام بكلمة لا إله إلا الله، وما أعطى الله في ضمنها من الاجتماع بعد التفرق وأمان السبل وكثرة الأموال وانقياد عصاة الرجال وأن أضعف ضعيف يأخذ حقه كاملا من أكبر كبير من مشايخ البوادي وأعظم عظيم من رؤساء البلدان.

ونادى وهو على ظهرها لا يُحمل في مكة سلاح ولا تبرَّج امرأة بزينة وتوعد من فعل ذلك من جميع رعيته... وجعل في الأسواق رجالاً وقت الصلاة يحضّونهم عليها فلا تجد فيها وقت الصلاة متخلفًا إلا نادرًا، ولا

---

(٧٠) خلاصة الكلام ٢٩٤.

(٧١) سنة ١٢٢٢هـ (سنة ١٨٠٩م) عنوان المجد ١: ١٤١.

تجد في الأسواق في جميع هذا الحج من يشرب التنباك ولا غيره من المحظورات إلا ما لا يُرى ظاهراً"[٧٢].

وقال أيضًا في أخبار سنة ١٢٢٦هـ (١٨١٢م):

«ولا ترى الآن منكرًا في مكة المكرمة (شرب التنباك وترك الصلاة والحلف بغير الله)... إلخ».

وذكر الجبرتي إصلاحات سعود بن عبدالعزيز بتفصيل أكثر فقال في صدد ذكره لمعاهدة الصلح بين الشريف غالب والأمير سعود في حوادث محرم سنة ١٢٢١هـ:

«وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الأراجيل والتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة، ودفع الزكاة، وترك لبس الحرير والمقصبات، وإبطال المكوس والمظالم، وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة أو عشرة بحسب حاله، وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقدر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن. وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها علي المبيعات والمشتريات على البائع والمشتري ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم، فيكون الشخص من سائر الناس جالسًا بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون إن سيد الجميع محتاج إليها! فإما أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر. فعاهده على ترك ذلك كله... واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سنة الرسول

---

(٧٢) عنوان المجد ١/ ١٥١.

عليه الصلاة والسلام وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات. وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعقاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بُعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله، فعاهد على منع ذلك كله وهدم القباب المبنية على القبور والأضرحة لأنها من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهده، بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل من الكتاب والسنة وإذعانهم لذلك، فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطريق بين مكة وجدة والطائف وانحلّت الأسعار وكثر وجود المطعومات وما يجلبه العربان من الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسماك والأعسال. . . »[٧٣].

ولقد ذكر برك هارت أيضًا شدته على مواظبة الصلوات والعقوبات التي كانت تنزل على المتخلفين وغيرهم[٧٤].

فتوحات وحروب أخرى:

لم تتوقف أعمال سعود العسكرية بعد فتح الحجاز، ففي سنة ١٢٢٣هـ (١٨٠٨م) هجم على النجف ولكنه لم ينجح[٧٥] كما أغار في طريق عودته

---

(٧٣) عجائب الآثار للجبرتي ٤/ ٥ ، ٦ (٦/ ٢٧٨ ، ٢٧٩ طبعة لجنة البيان العربي).

(٧٤) بركهارت ص ١٤٧ .

(٧٥) عنوان المجد ١/ ١٣٥ .

على السماوة والزبير أيضًا.

وفي ربيع الآخر سنة ١٢٢٥هـ (يونيو سنة ١٨١٠م) قصد سعود الشام وبعد عدة معارك رجع منتصراً ومعه الأموال والغنائم[٧٦]. وقال ابن بشر: «وحصل في الشام رجفة ورعب عظيم بهذه الغزوة في دمشق وغيرها من بلدانه وجميع بواديه».

وقد وقعت معارك في البصرة ونواحيها عدة مرات ولكنها ما أثمرت ثمرة مستقرة.

رأس الخيمة:

وزيادة على هذه الحروب حصلت معركة مع الشركة الهندية الشرقية[٧٧] وكان سكان الخليج من قبيلة جوازم مصدر قلق دائم للحكومة الإنجليزية في الهند إذ كانوا يشنون غارات متواصلة على السفن المارة من قرب الساحل ويُلحقون بها خسائر فادحة ويغنمون الكثير، وقد بذلت الحكومة الإنجليزية محاولات عظيمة في بداية القرن التاسع عشر ولكن الآن منذ عدة سنين كان سعود هو المسيطر على هذه المناطق وكان هؤلاء المغيرون تحت حكومته. فشنت حكومة بومبائي في سنة ١٨٠٩م (رمضان سنة ١٢٢٤هـ) غارة عنيفة على رأس الخيمة وألحقت ضربة قاضية بأسطولهم وأحرقت المدينة، فما طلعت الشمس في ١٢ نوفمبر سنة ١٨٠٩م إلا وكانت

---

(٧٦) عنوان المجد ١/ ١٤٨، ١٤٩.

(٧٧) لقد أسست هذه الشركة في بداية الأمر لأغراض تجارية محضة ولكنها سرعان ما تحولت إلى فرقة مستعمرة إنجليزية وتمكنت من الاستيلاء على بلاد الهند كلها في سنة ١٨٥٧م وحكمت بلاد الهند إلى سنة ١٩٤٧م (المترجم).

مدينة رأس الخيمة قد تحولت إلى أكوام من رماد ، واظطُر أهلها إلى أن ينتقلوا من بلدهم .

ولكن هذه الهزيمة لم تؤثر شيئًا في قوة أهل نجد فما زالت أعمالهم العسكرية مستمرة في المدن الداخلية في عمان . ولكن مع ذلك يقول زويمر :

«لقد كانت هذه الحملة من قبل البريطانيين أول ضربة شديدة لحقت أهل نجد قبل وصول المصريين . فقد أرسلت فرقة خاصة بعيدة عن بومبائي سنة ١٨٠٩م مخصصة للقضاء على مركزهم في رأس الخيمة وسكانها «القراصنة» (Piratic inhabitants) وأمطرت القنابل على المركز وأحرق حتى صار رمادًا»[٧٨] .

ولقد فصل برائجس تفصيلا كاملا في ذكر «اعتداءات الوهابيين» ثم في قصة الهجوم على رأس الخيمة وتأديبهم ونقل عن الكولونيل سميث قولته[٧٩] : «كانت هذه أول ضربة على معنويات قوة الوهابي»[٨٠] .

---

(٧٨) زويمر Arabia, the Cradle of Islam.

(٧٩) برائجس ص ٣٥ ، ٤٤، وبركهارت ص ٢٠٨ .

(٨٠) لم أتمكن من معرفة تفاصيل هذه المعركة وأسبابها ولكن مما لا شك فيه أن الحكومة البريطانية المستعمرة كانت ترى قوة أهل نجد خطراً عظيماً على مصالحها في آسيا فلا بد أنهم كانوا يتحيَّنون الفرص ويدبرون الحيل لشن مثل هذه الغارات . وكل ما ذكره المصنف رحمه الله هنا مأخوذ من مصادر أوربية فلا يمكن أن نثق بها كثيراً في هذا الباب . وكل ما يذكر لنا ابن بشر في صدد هذه المعركة كالتالي : «وفيها أقبل مراكب الإنجليز النصارى . مستنجدهم سعيد بن سلطان صاحب مسكه (مسقط) المعروفة في عمان بعد نقض العهد، وقصدوا أهل بلد رأس الخيمة المعروفة في عمان ورئيسها يومئذ سلطان بن صقر بن راشد أمير القواسم وبندروا فيها وحاربوا أهلها فلم يحصلوا على طائل ؛ فرفعوا على البلد بلورًا=

غارة المصريين:

لقد امتد نفوذ الحكومة النجدية في الشمال من حلب[81] إلى المحيط الهندي في الجنوب ومن الخليج في الشرق إلى البحر الأحمر في الغرب وبغضّ النظر عن هزيمة رأس الخيمة فلم تصب هذه الحكومة الفتية بأي صدمة حتى الآن.

وكان أخبار القوة النجدية تتوارد إلى الأستانة باستمرار وقد عجز حكام بغداد ودمشق وجدة عن مقاومتهم وأخيرًا بعدما ضاق الباب العالي ذرعًا عين محمد علي خديوي مصر لكسر شوكة أهل نجد[82] ويقال إنه لم يعين حاكمًا على مصر في سنة ١٨٠٤م إلا بهذا الشرط ولمثل هذه المواقع قد قيل «اقتل الحية ولا تكسر عصاك» فكانت قوة محمد علي الخديوي المصري[83]

= وجعلوه في عين الشمس وقابلوا به البلد فاشتعلت النار فيها، وكان أكثر بيوتها صرايف من عسبان النخيل فدخلوا البلد واستباحوها ونهبوا ما فيها وأشعلوا فيها النيران ودمروها، وهرب سلطان بن صقر وغالب أهل البلد حتى فرغ العدو منها وانتقل منها. فرجعوا إلى بلادهم فعمروها وأحصنوها» (عنوان المجد ص١٤١ - طبعة وزارة المعارف السعودية).

ويظهر من هذا أن الإنجليز إنما أتوا بدعوة من سلطان مسقط وكانوا يحاولون إعادة تجربتهم التي نجحوا بها في الاستيلاء على الهند ولكنهم لما جربوا ضراوة الدفاع من أهل البلد عدلوا عن نياتهم واكتفوا برجوعهم من حيث أتوا. والله أعلم (المترجم).

(٨١) الواقع أن نفوذ الحكومة النجدية لم يصل إلى حلب وإنما وصل إلى جنوب الشام (المترجم).

(٨٢) سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م).

(٨٣) كان «محمد علي باشا» هو الجد الأعلى للملوك الحاكمين في مصر في الوقت الحاضر «أي وقت تأليف الكتاب: المترجم» وكان ألباني الأصل وكان خلفه إبراهيم يقول: «إن اللغة العربية والحضارة العربية قد جعلتنا عرباً» ولد محمد علي سنة ١١٨٢هـ (١٧٦٨م) ومات سنة ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م).

المتزايدة يومًا فيومًا خطرًا على الباب العالي. فالمحاربة بين آل سعود والخديوي المصري ما كانت تخلو من فائدة لأصحاب العروش في الأستانة.

ابتدأت غارات المصريين من أواخر سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م) فنزل طوسون بن محمد علي (المتوفي سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م) على الساحل الغربي بجيش قوامه عشرة آلاف جندي، واستولى على ينبع بدون مقاومة تذكر[٨٤]. ثم تقدم نحو المدينة ولكن في الطريق عند مضيق الجديدة تصدى له ابنا سعود عبدالله وفيصل فقاتلاه بضراوة نادرة حتى هزماه. وقُتل من المصريين ألف ومائتان[٨٥]. واضطُر طوسون أن يعود على أعقابه إلى ينبع[٨٦].

طوسون ومعاركه:

بقي طوسون في ينبع مدة ثم تقدم نحو المدينة وفي هذه المرة نجح المصريون في الاستيلاء على المدينة بعد حصار دام شهرين[٨٧] ثم توجه طوسون إلى جدة بسرعة واضطر عبدالله بن سعود قائد الجيوش النجدية في الحجاز إلى أن ينتقل من مكة. وهكذا دخل المصريون البلد الحرام بدون معارضة[٨٨] وبعد أيام قليلة استولوا على الطائف أيضًا. وكما يروي دحلان

---

(٨٤) سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م).

(٨٥) بركهارت ص٢٣٢.

(٨٦) أواخر ذي القعدة سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م) وذكر ماردتمان أن هزيمة المصريين كانت في ٧ ذي القعدة سنة ١٢٢٦هـ (٢٣ نوفمبر سنة ١٨١١م) ولكن بركهارت (ص ٢٢٩) وبرائجس (ص ٥١) يذكر أن تاريخ وصوله يناير سنة ١٨١٢م.

(٨٧) ذو القعدة سنة ١٢٢٧هـ (نوفمبر سنة ١٨١٢م) عنوان المجد ١/ ١٥٨، فلبي ص٩٤.

(٨٨) وذلك في محرم سنة ١٢٢٨هـ (يناير سنة ١٨١٣م) عنوان المجد ١/ ١٦٠م.

أقيمت حفلات فرح وسرور في كافة الأقطار المصرية وقد استمرت خمسة أيام استبشارًا بهذه الفتوح[89] ولكن بعد ذلك وقعت معركة عنيفة على مقربة من «تربة» وانهزم فيها المصريون[90].

وتشجع قائد سعود عثمان المضايفي بعد وقعة «تربة» فتقدم نحو الطائف مرة ثانية ولكنه أصيب بأضرار بالغة في هذه المرة فقد قتل كثير من رجاله وفي نهاية المطاف أسر هو بنفسه[91]. وأرسله غالب إلى محمد علي في مصر لكن محمد علي كان قد خرج عامدًا إلى الحجاز قبل وصوله إلى مصر. وفي غيابه طيف بعثمان المضايفي على بغلة في جميع أنحاء القاهرة ثم أرسل إلى الأستانة حيث كان الموت في انتظاره[92]. وأحمد زيني دحلان مع أنه لم يترك خفية ولا جلية[93] في ذم عثمان المضايفي لم يتمالك من إظهار أسفه على هذا القتل المؤلم فقال:

«ولما كان عثمان المضايفي في مصر اجتمع به بعض رجال دولة محمد علي باشا وحادثوه ساعة فرأوه فصيحًا يجيبهم بجنس كلامهم بأحسن

---

(٨٩) خلاصة الكلام ص٢٩٦.

(٩٠) شعبان سنة ١٢٢٨هـ (أغسطس سنة ١٨١٣م) عنوان المجد ١/ ١٦١.

(٩١) ١٠ رمضان المبارك سنة ١٢٢٨هـ (٦ أغسطس ١٨١٣م) عنوان المجد ١/ ١٦٢ ولقد أخر فلبي (ص٩٦) حادثة اعتقال عثمان المضايفي وقتله. وذكرها كل من أحمد دحلان (ص ٢٩٦») وابن بشر (ص١٦٢) قبل ورود محمد علي إلى الحجاز، وذكر بركهارت (ص ٢٤٧) وبرائجس (ص٦١) أن جائزة قدرها خمسة آلاف دولار كانت قد عُينت لمن يعتقل عثمان المضايفي، وذكر أن تاريخ اعتقاله سبتمبر سنة (١٨١٣م) وبعد معركة «بسل» التي سنذكرها بعد قليل.

(٩٢) أواخر سنة ١٢٢٨هـ (ديسمبر سنة ١٨١٣م).

(٩٣) يراجع خلاصة الكلام ص ٢٧١، ٢٧٢.

خطاب وأوضح جواب وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وعليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام حتى قال بعضهم لبعض: يا أسفًا على مثل هذا إذا ذهب إلى دار السلطنة يقتلونه»[٩٤].

واضطرب محمد علي عن سير المعارك وتقدمها فتوجه بنفسه إلى الحجاز ووصل جدة في أواخر شوال[٩٥] وبعد وصوله على الفور خلع الشريف غالبًا عن إمارته وألقي القبض عليه ثم أرسل إلى مصر مسجونًا ومن هناك إلى سلانيك ثم انتقل المسكين من هناك إلى دار الآخرة بعد سنتين[٩٦].

وعين ابن أخيه يحيى بن سرور أميرًا على مكة ولكن إمارته كانت صورية فقط لأن الحكم الحقيقي كان في يد حاكم الحجاز الجديد «أحمد باشا» وهكذا أخلي الحجاز من سيطرة «الوهابيين المتهمين» وأصبح ولاية لحكومة مصر[٩٧]. وكل ما فعله غالب سعيًا وراء هذه الإمارة لم يغنه شيئًا:

«فقد كان الشريف غالب يمالىء الوهابيين «اتقاء شرهم» ويتظاهر بما

---

(٩٤) خلاصة الكلام ص ٢٩٦ (ملخصاً).

(٩٥) ١٤ شوال سنة ١٢٢٨هـ (١٠ أكتوبر سنة ١٨١٣م) خلاصة الكلام ص ٢٩٦.
ولقد عين فلبي (ص ٦٥) تاريخ وروده جدة ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٣م واكتفى ماردتمان بقوله (أواخر أغسطس) وابن بشر (١/ ١٦٣) ذكر شهر ذي القعدة فقط وذكر بركهارت (ص ٢٨١» وبرائجس (ص٦٣) بأنه كان في سبتمبر سنة ١٨١٣م. ولقد اعتمدنا هنا على خلاصة الكلام. أما التاريخ الذي ذكره فلبي فلا يتفق مع ترتيب الحوادث.

(٩٦) أواخر رمضان سنة ١٢٣١هـ (يوليو سنة ١٨١٦م). عنوان المجد ١/ ١٨٥، الرحلة الحجازية ص ٨٩، وبركهارت ص ٢٦٢.

(٩٧) وما زال الحجاز بعد ذلك تابعاً لمصر مدة طويلة، وفي هذه المدة توتَّرت العلاقات بين محمد علي والباب العالي ووقعت معارك دامية واستولى ابن محمد علي على الشام. ولكن لما اعتلى السلطان عبدالمجيد على العرش سنة ١٢٥٥هـ عاد الحجاز تحت حماية مباشرة من الدولة العلية (خلاصة الكلام ٣٠٨).

يوافق مذهبهم. فكان أحيانًا يأمر بهدم ما بقي من قباب الصالحين بمكة وجدة وأخرى ينبه باقتصار المؤذنين على الأذان دون السلام وغير ذلك من الأمور التي توافق مذهب الوهابية»[٩٨].

كل هذا كان خوفًا من أن يخلعه سعود عن الإمارة[٩٩]. ولكن سعودًا كان طاهر النية مخلصًا، فترك غالبًا وإمارته، أما محمد علي فكان رجلا ماديا بحتا همه الدنيا فقط فكان أول عمل عمله بعد تثبيت أقدامه هو القضاء على هذا المسكين. وإن كنت تريد أن تعرف تفاصيل تلك المكيدة التي دبرها محمد علي لإلقاء القبض على غالب فارجع إلى خلاصة الكلام[١٠٠]. وذكر برائجس أيضًا تفاصيل قصة أسر غالب[١٠١] وهي تشبه ما ورد في خلاصة الكلام وقد بين أيضًا تفصيل منازعات محمد علي[١٠٢]، فيقول في موضع في ذكرهما:

«لم يكن من المتوقع من رجلين مكارين مثل محمد علي وغالب (So accomplished in deceit) أن يثق كل منهما بالآخر»[١٠٣].

وبركهارت أيضًا يشكو أكثر من مرة سوء نية محمد علي وخداعه. إلا أنه يمدح غالبًا[١٠٤]. ولقد كان بركهارت موجودًا في مصر حينما وصل غالب أسيرًا. وذكر انطباعاته بعدما لقيه[١٠٥].

(٩٨) الرحلة الحجازية ص٨٩.

(٩٩) خلاصة الكلام ص٢٩٤.

(١٠٠) وخلاصة هذه المكيدة أن محمد علي دعاه إلى مأدبة في دار الإمارة وأخفى رجاله هناك ولما وجدوه أعزل من السلاح وبعيداً عن أعوانه وأنصاره انقضّوا عليه وأسروه. «ولم يجد الحجازيون الجبناء سوى أن يمسكوا رؤوسهم».

(١٠١) ص ٦٨، ٦٩. (١٠٢) ص ٦١، ٦٩. (١٠٣) ص ٤٧.

(١٠٤) بركهارت ص٢٤٢. (١٠٥) أيضاً ص ٢٥٩، ٢٦٢.

ولكن مع هذا لم تكن أوضاع محمد علي والمصريين مستقرة، وإن كانت بلاد الحجاز وعسير وشواطىء اليمن قد وقعت تحت سيطرتهم، ولكن النجديين كانوا يمارسون حكمهم في المدن الداخلية. ولهذا أرسل «مصطفى بك» لمحاربتهم واشتعلت نيران الحرب من جديد في «تربة» ولكن المصريين لم يستفيدوا منها شيئًا سوى هزيمة نكراء(١٠٦). ومن الغريب أن النجديين قد خاضوا هذه المعركة تحت قيادة امرأة(١٠٧) شجاعة تسمى «غالية» ولقد أظهر بركهارت براعة قلمه في وصف جرأة «غالية» وبسالتها.

وفي محرم سنة ١٢٢٩هـ (يناير سنة ١٨١٤م) وصلت إمدادات مصرية جديدة عن طريق البحر، والتقى الفريقان في مقربة من (القنفذة) وانهزم المصريون مرة أخرى(١٠٨).

وفاة سعود رحمه الله:

وبينما كانت المعارك تجتاز هذه المرحلة الحاسمة وكان النجديون يعدون العدة لخوض معركة شاملة جديدة وإذا بالبطل يغادر الموكب. توفي الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في ليلة الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٢٢٩هـ (أول مايو سنة ١٨١٤م)(١٠٩) وهكذا خلا الجو لمحمد علي ومعاركه. وفقدت الدولة النجدية آمال الرقي والازدهار على الأقل في الوقت الحاضر.

---

(١٠٦) أواخر ذي الحجة ١٢٢٨هـ (ديسمبر سنة ١٨١٣م) عنوان المجد ١/ ١٦٣، ١٦٤.

(١٠٧) بركهارت ص ٣٦٨، ٣٦٩، فلبي ص ٩٦، دحلان ص ٣٠٠.

(١٠٨) عنوان المجد ١/ ١٩٤.

(١٠٩) عنوان المجد ١/ ١٧٦ ويذكر ماردتمان أنه توفي في ٨ جمادى الأولى (٢٧ أبريل سنة ١٨١١م) ولكننا نشك في صحته.

كيف كان سعود يقضي يومه؟:

وإذا لفتنا الأنظار من هذه الحروب إلى جانب آخر مشرق من حياة سعود فتراه أميرًا وحاكمًا قلَّما يوجد له مثال. وقد ولد في سنة ١١٦٠هـ أو ١١٦٣هـ[١١٠] ووجد أستاذًا ومربيًا مثل شيخ الإسلام فتخرج على يده نموذجًا رائعًا في العلم والعمل، وقد لازم سعود دروس شيخ الإسلام سنين متوالية، وأصبح ذا براعة كاملة في الحديث والفقه، ونجد في خطبه ومكتوباته حلاوة العلم ولذة التعبير.

وكان من عادته في أغلب أيام الحروب أنه كان يقف في جنوده بعد صلاة المغرب فيعظهم ويأمرهم بالصبر والطاعة ويعرض عليهم نماذج من سيرة الرسول الكريم ﷺ وأصحابه البررة رضي الله عنهم. وهكذا كان يشجعهم ويقودهم إلى رباطة الجأش وإظهار البطولات.

وفي غمار المعارك حينما تشتد الحرب ويصل العنف إلى ذروته ما كانت أيدي جنوده تسطو على الأطفال والنساء والشيوخ. نعم إنهم ما كانوا يتساهلون في الغنائم وبمجرد انتهاء الحرب كانت الغنائم تُخمس فتوزع أربعة أخماسها على المحاربين وكانوا يفرقون بين سهمي الركاب والمشاة فكان الماشي يأخذ نصف نصيب الراكب. والخلاصة أنهم كانوا يحاولون تطبيق قواعد الشريعة الإسلامية كاملة حتى في حروبهم. هكذا كانت حالته في المعارك والحروب.

فأما حالته في النوادي والمجالس فكانت على غير هذه الشاكلة. فكان أهل الدرعية يجتمعون كل يوم بعد صلاة الفجر خارج قصر الأمير ويجلس

---

(١١٠) البدر الطالع ١/ ٢٦٣.

معهم في الصدارة سعود وآل السعود وإلى جانبهم آل الشيخ ويقوم أحد العلماء من آل الشيخ بالوعظ. وكان الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام هو الذي يتولى التدريس في الغالب. وكان يدرس في الأكثر من تفسير ابن جرير أو ابن كثير وبعدما ينفض المجلس كان الأمير سعود يجلس في القصر ويقضي حوائج الناس وينظر في شكاويهم. ثم تأتي الظهيرة فيقوم. وبعد صلاة الظهر كانت تعقد مجالس الدرس في داخل القصر ولكن آل الشيخ ما كانوا يحضرون هذه المجالس فكان كل واحد منهم يشتغل مع تلامذته في مجالسهم الخاصة، وكان الأمير سعود هو الذي يتولى التدريس في هذا الوقت وينشر درر العلم. وكانت القراءة من تفسير ابن كثير أو رياض الصالحين وكان سعود يشرحها ويوضحها. وبعدما يقوم من هذا المجلس يشتغل في قضاء حاجات الناس ورفع شكاويهم لمدة ساعتين حتى تحين صلاة العصر.

وبعد صلاة العصر كانت تعقد ندوات عامة داخل القصر ولكن يحضر فيها الأعيان والأكابر وعامة الناس ويجلس معهم الأمير سعود أيضًا، وكان الشيخ سليمان بن عبدالله ابن شيخ الإسلام (قتل سنة ١٢٣٣هـ) يلقي دروسًا من صحيح البخاري.

وكان ابن بشر صاحب كتاب عنوان المجد يحضر هذه الدروس وهو يمدح الشيخ سليمان بن عبدالله أشد مدح ويعجب من دقة نظره وسعة أفقه في العلم.

هذه هي سيرة إجمالية للأمير سعود بن عبدالعزيز، وللتفصيل يراجع عنوان المجد[١١١]. وبرائجس أيضًا معجب به أشد الإعجاب ويخص بالذكر

---

(١١١) عنوان المجد ١/ ١٦٥ - ١٧٦.

مواهبه الحربية وتدبيره السياسي[١١٢]. كما أن بركهارت يذكر من أوصافه الخاصة:

«إنه كان يهتم اهتمامًا بالغًا بالإخفاء والسرية في الحروب فقد استغرق سفره إلى حوران من بلاد الشام خمسة وثلاثين يومًا ولكن ما وصل إليهم خبر قدومه إلا قبل يومين فقط[١١٣].

وقال بركهارت في صدد ذكر ما استتب من الأمن والاستقرار في عصر عبدالعزيز بن سعود وبالأخص في عصر سعود بن عبدالعزيز.

«ولعل هذا الأمن والأمان قد استتب في البلاد لأول مرة بعد النبي العربي. ووجد البدو لأول مرة فرصة النوم آمنين مطمئنين على أموالهم وأمتعتهم ومواشيهم[١١٤] وكان من مظاهر شوكته:

«أن عبدًا حبشيًا وحده يقبض ويأتي بأكبر رئيس من أكبر القبائل ويصل به إلى الدرعية»[١١٥].

---

(١١٢) ص ٨٠. (١١٣) ص ١٧٠. (١١٤) ص ١٣٠.
(١١٥) ص ١٣٩.

هذه هي سيرة إجمالية للأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وهكذا كان سلفه وهم تربوا على أيدي شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. ونلاحظ أن هدفهم الوحيد في الحياة كان تطبيق الدين الإسلامي فقط في العقيدة والأعمال والحكومة وفي جميع مجالات الحياة. فكانوا يتبعون خطوات النبي ﷺ وأصحابه في جميع شؤونهم، في حلّهم وترحالهم وفي سلمهم وحربهم وفي بيوتهم ومحاكمهم وفي كل مكان. وأن هذا البرنامج لجدير بأن يقرأه جميع زعماء العالم الإسلامي ويتعظوا به. فيا للعجب على أولئك الذين ما زالوا في شك من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع أنها قد وضحت أمام أعينهم كوضوح النهار (المترجم).

عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز
١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م - ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م

وخلف سعودًا ابنه الأكبر عبدالله ولم يكن أقل من أبيه في الشجاعة والبسالة ولكنه ما كان يبلغ مبلغه في الحزم والسياسة . ولما وجد نفسه محاطًا بالمخاوف أراد أن يتصالح مع العدو . ولكن العدو الذي كان قد آلى على نفسه أن يدمر بلاد نجد كلها أنّى له أن يتصالح . وحينما صالح لم يستطع أن يثبت على عهده .

وتعالوا هنا نتوجه مرة أخرى إلى ساحة الحرب . فقد كان النجديون قد استردوا القنفذة على ساحل البحر الأحمر من المصريين ، ولكن محمد علي أرسل جيشًا كبيرًا بقيادة «عابدين بك» إلى زهران وفي طريقهم استولوا على القنفذة مرة أخرى ولما علم النجديونُ أعادوها إلى ملكهم من جديد(*) .

ومني المصريون في معركة زهران أيضًا بالهزيمة وكان فيصل بن سعود صامدًا في وجه العدو في مقربة من الطائف . وبعد الانتصار في معركة زهران تشجع فعزم على أن يقوم بهجوم على الطائف . وفي الجانب الآخر كانت حال طوسون بن محمد علي مضطربة جدًا ، ولكن محمد علي وصل إليه على الفور بإمدادات جديدة واضطر فيصل إلى أن يتقهقر . ووقعت معركة عنيفة في «بسل» قرب الطائف وانتصر فيها المصريون(**) . قال بركهارت :

«قُتل من الوهابيين في هذه المعركة أكثر من خمسة آلاف رجل وكانت

(*) جمادى الأولى سنة ١٢٢٩هـ (مايو سنة ١٨١٤م) .

(**) شوال سنة ١٢٢٩هـ (سبتمبر وأكتوبر سنة ١٨١٤م) .

قيمة كل رأس ستة دولارات ووقعت أكوام من الجثث أمام محمد علي وضعفت قوة الوهابيين وكان الخطأ الذي ارتكبوه هو أنهم خرجوا من الجبال إلى ميادين مفتوحة، على حين كان سعود قد أوصاهم أن لا يقاوموا المصريين والأتراك في ميادين منفتحة»[116].

وارتكب محمد علي بعد معركة بسل مظالم مخزية جدًا. وبركهارت الذي كان قد شهد المعركة بعينه يذمها أشد الذم ومن أهونها أن جثث القتلى الوهابيين كانت قد تُركت للكلاب[117].

وتقدم محمد علي واستولى على تربة أيضًا[118]. ثم وصل إلى عسير وأخضع القبائل المجاورة ثم رجع إلى مكة مارًا بالقنفذة. واضطر إلى أن يسافر إلى مصر لحاجة طارئة[119]. ولم يكد يبلغ محمد علي في عودته إلى تهامة بعد فراغه من حرب عسير حتى بدأ ابنه يعد العدة في المدينة للهجوم على نجد، وتقدم فاستولى على بعض المدن المشهورة في القصيم كالرس وغيرها، إلا أن الفرق النجدية قد نجحت في قطع مواصلاته من المدينة فلم يبلغ إليه شيء من أخبار أبيه الذي كان قد سافر إلى مصر في ذلك الوقت ووصل إلى الجيزة في مصر في ١٥ رجب سنة ١٢٣٠هـ (٢٣ يونيو

---

(١١٦) بركهارت ص ٣١٧، ٣١٨.

(١١٧) بركهارت ص ٣٢٣، وبرائجس ص ٩٢.

(١١٨) ٣ صفر سنة ١٢٣٠هـ (١٥ يناير سنة ١٨١٥م) وهذه رواية ماردتمان، أما ابن بشر فلم يحدد التاريخ. ويذكر الجبرتي (٤/ ٢١٨) أن أخبار فتح تربة وصلت إلى مصر في ٩ ربيع الأول ١٢٣٠هـ. وذكر بركهارت أن محمد علي قد خرج من مكة في ٢٦ محرم ١٢٣٠هـ (٧ يناير سنة ١٨١٥م).

(١١٩) عنوان المجد ١/ ١٨١.

١٨١٥م)[١٢٠]. وتقدم عبدالله بن سعود فحاصر المصريين حصاراً كاملا وبقوا شهرين في هذا المأزق فاضطروا إلى أن يتفاوضوا للصلح. وإليكم قصة هذا الصلح بلسان ابن بشر وغيره من المؤرخين.

صلح وخيانة:

قال ابن بشر: «فوقع الصلح بينهم وانعقد بين طوسون وعبدالله على وضع الحرب بين الفئتين وأن الترك يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها وأن السابلة تمشي آمنة بين الفريقين من بلد الترك والشام ومصر وجميع ممالكهم إلى نجد والشرق وجميع ممالك عبدالله. وكل منهما يحج آمنًا. وكتبوا بذلك سجلاً ورحل الترك من الرس أول شعبان متوجهين إلى المدينة. وبعث عبدالله معهم بكتاب الصلح عبدالله بن محمد بن بنيان صاحب الدرعية والقاضي عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم ليعرضوه على محمد علي صاحب مصر. فوصلوا مصر ورجعوا منه وانتظم الصلح»[١٢١].

ويضيف إليه بلنت:

«ويقال إنه بموجب هذه الوثيقة كان عبدالله قد اعترف بتبعية السلطان في قسطنطينية، وكان وعد بالحضور إلى الأستانة في موعد قريب[١٢٢].

وفي مقابل ذلك كان طوسون قد وعد بالانتقال من البلاد النجدية وترك

---

(١٢٠) الجبرتي ٤/ ٢٢٠. ويذكر بركهارت ص ٣٤٩ أن محمد علي وصل إلى مصر في ٢٥ يونيو سنة ١٨١٥م.

(١٢١) عنوان المجد ١: ١٨٣.

(١٢٢) لم يذكر المؤرخون الثقات أمثال بركهارت وابن بشر والجبرتي وعد الحضور إلى دار الخلافة ويذكر ذلك بلنت وفلبي بكل قوة.

الحرية التامة للحجاج النجديين»[١٢٣].

والحقيقة أن عبدالله كان في مركز القوة في هذا الوقت وكانت الإمدادات تصل إليه من جميع المدن الجنوبية، فلو نظر إلى أهمية الموقف وأراد لانتهز فرصة ضعف المصريين واستأصل شأفتهم من الجزيرة ولكنه ضيّع هذه الفرصة الثمينة بمهادنتهم. ورجع طوسون سالمًا آمنًا إلى المدينة[١٢٤]. ويظهر من الروايات المذكورة التي ذكرها ابن بشر وفلبي بأن الصلح كان قدتم بين طوسون وعبدالله. ويؤكد ذلك قول ابن بشر أن سفراء عبدالله رجعوا من مصر ناجحين[١٢٥]. ويزيد فلبي أن محمد علي ما أعجبه هذا الصلح وطلب من عبدالله أن يحضر فورًا إلى الأستانة وإلا فستُدمر الدرعية عن بكرة أبيها. ولكن ما كان لعبدالله أن يلقي بنفسه على أقدام أرباب الحكومة فتوجه إلى تنظيم القبائل التابعة له واستحكام عاصمته[١٢٦].

سفراء عبدالله في مصر:

ولكن الذي يتبين لنا من أقوال الجبرتي وغيره من المؤرخين سوى ابن بشر وفلبي أن الصلح كان موقوفًا على موافقة محمد علي، ولأجل هذا أرسل إليه عبدالله سفيرين بعدما تم الاتفاق بينه وبين طوسون. وقد توجه هذان السفيران إلى مصر من طريق المدينة في أول شعبان سنة ١٢٣٠هـ (٩ يوليو سنة ١٨١٥م) ووصلا إلى مصر في بداية شوال واجتمعا بالباشا[١٢٧].

---

(١٢٣) فلبي: ص٩٧، وبلنت ٢/ ٢٥٨.

(١٢٤) بركهارت ص ٣٤٧ وذلك في أواخر يونيو ١٨١٥م.

(١٢٥) عنوان المجد ١/ ١٨٣.

(١٢٦) فلبي ص ٩٧.

(١٢٧) الجبرتي ٤/ ٢٢٩.

«فكان الباشا لم يعجبه هذا الصلح ولم تظهر عليه علامات الرضى بذلك ولم يحسن نزل الواصلين. ولما اجتمعا به وخاطبهما عاتبهما على المخالفة فاعتذرا»[١٢٨].

وكما يروي الجبرتي فقد تكلم السفيران النجديان بلين وخضوع، وذكر أن سعود بن عبدالعزيز كان شديدًا أما عبدالله فهو ليّن الطبع.

ويصف الجبرتي في كلمات رائعة محبة هذين السفيرين (، هما عبدالله ابن محمد بن بنيان والقاضي عبدالعزيز بن محمد آل إبراهيم) للعلم وأخلاقهما الفاضلة. وبركهارت أيضًا يثني على علمهما وفضلهما ويذكر أن علماء مصر استأنسوا بهما واطمأنوا بعد أن سمعوا كلامهما ومناقشتهما[١٢٩].

ولمعرفة ما كان يتحلى به النجديون من خلق وعلم نحب أن نورد قولاً لمن عاصرهما وشاهدهما بعينه وهو الجبرتي فيقول:

«ودخلا الجامع الأزهر في وقت لم يكن به أحد من المتصدرين للإقراء والتدريس، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه، فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية. واشتريا نسخًا من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوي والكتب الستة المجمع على صحتها وغير ذلك.

وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنسًا وطلاقة لسان واطلاعًا وتضلعًا ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين واستحضار الفروع الفقهية

---

(١٢٨) الجبرتي ٤/ ٢٢٩.

(١٢٩) بركهارت ص ١١٣.

واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف، واسم أحدهما عبدالله والآخر عبدالعزيز وهو الأكبر حسًا ومعنى»[١٣٠].

ولقد عرضنا كيف كانت أحوال هذين السفيرين وكيف كانت معاملة محمد علي معهما وكل ذلك بلسان مؤرخ مصري شاهدهما وقابلهما. ولا يتسع لنا المجال لتفصيل أكثر من هذا ولكن الخلاصة أن محمد علي قد رفض هذا الصلح لأسباب مختلفة[١٣١]. وقد اختلف المؤرخون في تعيين هذه الأسباب[١٣٢]. وكان طوسون مقيمًا في الحجاز فاستدعي إلى مصر في ذي القعدة[١٣٣] ووصل هناك في أواخر ذي الحجة سنة ١٢٣٠هـ (نوفمبر سنة ١٨١٥م) وبعد ذلك بسنة فقط توجه إلى دار الآخرة[١٣٤] وكان قد عزل من القيادة قبل وفاته بسنة.

وأما ما يقوله ماردتمان بأن إبراهيم باشا قد فوُّضت إليه مهمة إخضاع نجد بعد وفاة طوسون فليس بصحيح لأن قرار إرساله إلى نجد كان قد اتُخذ في يناير سنة ١٨١٦م وقد سافر من القاهرة في أغسطس سنة ١٨١٦م أي قبل وفاة طوسون بمدة[١٣٥].

وذكر ابن بشر أن عبدالله قد أرسل سفيرين آخرين وهما (حسن بن مزروع وعبدالله بن عون) في السنة التالية أيضًا. وأرسل معهم الهدايا

---

(١٣٠) الجبرتي ٤/ ٢٢٩.

(١٣١) خلاصة الكلام ص ٣٨.

(١٣٢) يراجع ابن بشر ١/ ١٨٥، وماردتمان، وفلبي ص ٩٧، وحاضر العالم الإسلامي ٤/ ١٦٦.

(١٣٣) بلنت ٢/ ٢٥٨.

(١٣٤) ٧ ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٢٩ سبتمبر سنة ١٨١٦م) والجبرتي ٤/ ٢٦٤.

(١٣٥) بركهارت ص ١٠٤.

والتحف[136] وهنا اتضح لهؤلاء السذج أنهم قد خُدعوا، مع أن محمد علي ما كان وافق على الصلح في يوم من الأيام إلا أنه ما كان يصرح بذلك للسفراء ومن هنا وهم ابن بشر وأهل نجد بأن الصلح قد انتظم[137]. ويعلل ذلك ابن بشر بأن محمد علي باشا قد رفض الصلح بسبب وشاية بعض أهل البادية[138]. ومن المناسب هنا أن نسمع آراء بعض المعاصرين الأوربيين أيضًا إذ يقول:

«ويبقى لدينا الآن سؤال واحد فقط وهو: هل كان تمام المعاهدة موقوفًا على موافقة محمد علي أم أن طوسون الذي ما كان يقل عن أبيه في المرتبة (Rank) أبرمها قطعيًا As a thing done؟ ومهما كان الأمر فقد أضر (عبدالله بن سعود) بنفسه بهذه المعاهدة. وقد عرضها محمد علي لدى الباب العالي بأنها هدنة طارئة أو مجرد وقف لإطلاق النار (Armisitic)»[139].

ولقد شاهد بركهارت تلك الرسائل التي كتبها عبدالله بن سعود إلى محمد علي، وهو يثني على عبدالله حسن نيته وإخلاصه وطهارة قلبه[140]. ويقول هو وبرائجس أيضًا إن محمد علي قد طالب فيما بعد بولاية الإحساء الخصبة ووقّف إبرام الصلح على ذلك.

---

(١٣٦) عنوان المجد ١/ ١٨٥ وذكر تاريخ وفاته آخر شوال سنة ١٢٣١هـ ولكن من الواضح بأن رواية الجبرتي هي التي ترجح في حق مصر والمصريين.

(١٣٧) عنوان المجد ١/ ١٨٣.

(١٣٨) عنوان المجد ١/ ١٨٥.

(١٣٩) بركهارت ص ٢٥٢، وبرائجس ص ١٠٣.

(١٤٠) بركهارت ص ٢٥٢.

إبراهيم باشا:

ومهما كانت الحقيقة فمحمد علي لم يطمئن إلى تلك المعاهدة التي تمت بين عبدالله بن سعود وطوسون. ولقد اختار ابنه الآخر إبراهيم باشا[١٤١] لمهمة نجد، وكانت الاستعدادات قد بدأت بعد رجوع طوسون فورًا ولكنه تأجل خروجه إلى حين. فقد وصل إبراهيم باشا مع جيش عظيم إلى ينبع في ٦ ذي القعدة سنة ١٢٣١هـ (٢٨ سبتمبر سنة ١٨١٦م) وتوجه من هناك رأسًا إلى المدينة. ووقف على ماء الحناكية فخضعت له القبائل البدوية المجاورة واحتشدت تحت رايته أفواج من قبائل مطير، وعتيبة، وعنزه[١٤٢]. واستمر مكث إبراهيم باشا في الحناكية إلى أشهر فظهر له أثر واضح على القبائل البدوية المتجاورة وبدأوا يتسللون إليه ولما أحس بذلك عبدالله بن سعود تقدم والتقى الفريقان على الموبه. ولكن جيوش عبدالله لم تستطع أن تثبت أمام المدافع المصرية[١٤٣] فانتقل إلى ناحية القصيم وتعقبه إبراهيم باشا ووصل إلى الرس فحاصر المدينة[١٤٤] واستمر الحصار ثلاثة أشهر ثم طلب أهلها الأمان[١٤٥]. وفي هذا الحصار الطويل الأمد والمناوشات المستمرة قُتل من المصريين ستمائة أو سبعمائة رجل على حين قتل من أهل البلد سبعون فقط. وباستسلامهم انفتح الطريق أمام المصريين ولم تبق هناك قوة تمنعهم من التقدم.

---

(١٤١) ويقال إن إبراهيم باشا لم يكن من ولد محمد علي ولكنه تزوج أم إبراهيم وتبناه (عنوان المجد ١/ ١٨٥، فلبي ص ٩٨. هوغارث ص ١٠١).

(١٤٢) أواخر سنة ١٢٣١هـ (نوفمبر سنة ١٨١٦م).

(١٤٣) أواسط جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ (٢ مايو سنة ١٨١٧م).

(١٤٤) أواخر شعبان سنة ١٢٣٢هـ (أوائل يوليو سنة ١٨١٧م).

(١٤٥) ١٢ ذي الحجة سنة ١٢٣٢هـ (٢٣ أكتوبر سنة ١٨١٧م).

وبعد هجوم خفيف استولى على عنيزة والخبراء (أواخر سنة ١٢٣٢هـ) ولم يجد صعوبة في الاستيلاء على بريدة أيضاً[١٤٦]. ولكن في شقراء أظهر النجديون بطولة رائعة ولكنهم لم يفلحوا أمام تخطيط المهندس الفرنسي[١٤٧] (Vaissiere) في الجيش المصري فاستسلم أهل شقراء أيضاً[١٤٨].

ووقعت بعد ذلك معركة حاسمة في مقربة من «ضرمى» وكانت ضرمى أحصن مدينة في المدن النجدية بعد العاصمة الدرعية. وكان قد حارب قبل ذلك أهل الرس وشقراء بشجاعة ولكنهم في الأخير استسلموا. أما أهل «ضرمى» فلم يستسلموا ولم يتمكن إبراهيم من دخول البلد إلا على دماء وأشلاء وجثث، وقتل الناس في حوانيتهم وفي بيوتهم، ونهب الغزاة أموالهم وأمتعتهم بل حتى أعراض العفيفات الطاهرات لم تبق مصونة من دنس الجنود الأتراك، كما يقول بلنت[١٤٩]. ودخل المصريون ضرمى في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٢٣٣هـ (٢٤ فبراير سنة ١٨١٨م) وكان هذا بمثابة إعلان لزوال الدولة النجدية.

---

(١٤٦) محرم سنة ١٢٣٢هـ (٢٣ أكتوبر سنة ١٨١٧م).

(١٤٧) وقد كان مع إبراهيم باشا أربعة من الأطباء الإيطاليين سوى المهندس الفرنسي هذا وأسماؤهم هي: Scots, Gentill, Todeschini, Socio (هوغارث ص ١٠١) وكان Scots طبيبه الخاص، واشترك ضباط أوربيون آخرون مع الجيش المصري في معارك عسير واليمن (هوغارث ص ١٣٣، ١٢٧) وبركهارت يثني على شجاعة ضابط إنجليزي كان في جيش طوسون. وكان قد أسلم وسمي باسم إبراهيم آغا، ويمضي في مدحه حتى يقول بأن عبدالله نفسه كان معترفاً بشجاعته.

(١٤٨) ١٤ ربيع الأول ١٢٣٣هـ (٢٢ يناير سنة ١٨١٨م) (بلنت ٢/ ٢٦).

(١٤٩) بلنت ٢/ ٢٦٠.

وتحصّن سعود بن عبدالله وبعض المجاهدين الذين كانوا قد أتوا معه من الدرعية في قلعة البلد. وفي الأخير أعطوا الأمان فارتحلوا إلى الدرعية وخرج معهم ثلاثة آلاف أو أكثر من الأطفال والنساء وآواهم كلهم الأمير عبدالله بن سعود في الدرعية(١٥٠).

الاستيلاء على الدرعية:

لقد وصل إبراهيم باشا الآن إلى أبواب الدرعية. وحاصر المدينة وظل محاصرًا لها ستة أشهر. وقتل من المصريين عدد كبير ولكن الإمدادات كانت تصل إليهم كل يوم. وكان عدد أهل الدرعية ينقص كل يوم وزيادة على ذلك كانوا يعانون من قلة الزاد والأسلحة. وقد قاتل الأمير عبدالله بن سعود وجميع أهل بيته وجميع أبناء وأحفاد شيخ الإسلام بلا استثناء ببسالة نادرة وشجاعة لم يعهد لها نظير، ولكن في الأخير طلب أهل البلد الصلح والأمان(١٥١). ولكن عبدالله بن سعود كان مترددًا في الاستسلام فالتجأ إلى قلعة أسرته «طريف» في داخل البلد وبدأ يقاتل من داخلها ولكن جدران القلعة كانت قد فقدت صلاحيتها وما كان الدفاع الآن ليجدي نفعًا فاستسلم أخيرًا إلى إبراهيم(١٥٢).

وكان هذا إعلانًا لنهاية الدولة السعودية الأولى أو كما يسميها فلبي «الإمبراطورية الوهابية الأولى» التي كان قد عمرها شيخ الإسلام وأصحابه بأيديهم جميعًا.

---

(١٥٠) عنوان المجد ١/ ١٩٣.

(١٥١) ذو القعدة سنة ١٢٣٣هـ (٨ سبتمبر ١٨١٨هم) عنوان المجد ١/ ٢٠٦. ويقول ماردتمان أن سقوط الدرعية كان في ٦ سبتمبر ١٨١٨م.

(١٥٢) ٩ سبتمبر سنة ١٨١٨م «ماردتمان وفلبي ص ١٠٣».

مصير عبدالله بن سعود:

بعد يومين من الاستسلام أُمر عبدالله بن سعود بالسفر وكان معه ثلاثة أو أربعة من أعوانه. ووصلت قافلة أمير نجد إلى مصر في محرم سنة ١٢٣٤هـ (نوفمبر سنة ١٨١٨م) واتخذهم المصريون أُضحوكة يستهزئون منهم. وإن كل إساءة كان من الممكن تصورها مع أمير دولة منهزمة قد أبيحت معهم ولم يترك منها شيء[١٥٣].

وقد حضر مجلس محمد علي وجرت محادثات مبدئية. وفي يوم ١٩ محرم أرسل إلى الاسكندرية ومن هناك إلى الأستانة حيث كان الموت يترقبه. فصلب هناك هو وأصحابه في ١٧ ديسمبر سنه ١٨١٨م[١٥٤] (١٨ صفر سنة ١٢٣٤هـ) في فناء أياصوفيا وعُلّقوا على المشانق، إنا لله وإنا إليه راجعون. ولقد طيف بهؤلاء المظلومين بكل إهانة حتى في دار الخلافة.

ومع عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود تنتهي سلسلة الأمراء النجديين الذين تربوا على أيدي شيخ الإسلام مباشرة. فأما عبدالعزيز بن محمد بن سعود وسعود بن عبدالعزيز فقد كانوا تلامذة لشيخ الإسلام حقًا. ولعل عبدالله بن سعود كان صغير السن عند وفاة شيخ الإسلام (سنة ١٢٠٦هـ) ولذلك لم يتمكن من الاستفادة من دروسه وإلا أنه من المقطوع به أنه أدرك زمن شيخ الإسلام.

لم يجد عبدالله بن سعود فرصة الحكم باطمئنان واستقرار ولكن مع ذلك كان يتبع خطوات أبيه وجده في الدروس والدعوة وتدبير الحكومة

---

(١٥٣) الجبرتي ٤/ ٢٩٨ وخلاصة الكلام ص ٣٠٢.

(١٥٤) وقد ذكر ماردثمان وهيوجس (ص٦٦٠) تاريخ إعدامهم ١٩ ديسمبر، ولم يعين ابن بشر والجبرتي تاريخه.

وكان ينسج على منوالهم فليس عندنا جديد يذكر في هذا الصدد[١٥٥].

مصير الآخرين:

استمرت الحرب داخل الدرعية وخارجها ستة أشهر، وهذا الكتاب الموجز لا يسع تفاصيل تلك المعركة كما أنها لا تدخل في نطاق بحثنا وقد فصلها ابن بشر الذي شاهد هذه الحوادث وعاصرها حتى أنه في بعض الأحيان يعين ميادين القتال في البلد ومواقعها بتوضيح تام[١٥٦].

وقد استشهد في هذه المعركة واحد وعشرون رجلاً من آل سعود فقط وإليك أسماء البارزين منهم:

فيصل بن سعود، إبراهيم بن سعود، فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز، فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، محمد بن حسن بن مشاري ابن سعود، إبراهيم بن حسن بن مشاري، عبدالله بن حسن بن مشاري، عبدالرحمن بن حسن بن مشاري، إبراهيم بن عبدالله بن فرحان، عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري، عبدالله بن ناصر بن مشاري، محمد بن عبدالله بن محمد بن سعود، سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود، محمد بن سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود.

واستشهد من آل الشيخ:

سليمان بن عبدالله ابن الشيخ، علي بن عبدالله ابن الشيخ، محمد بن عبدالرحمن بن حسن ابن الشيخ، وقد مُثّل بجثة الشيخ سليمان بن عبدالله فقطعت إربًا إربًا ومزقت عضواً عضواً، فيا لله من شدة الثأر!![١٥٧].

---

(١٥٥) عنوان المجد ١/ ٢٠٩.

(١٥٦) عنوان المجد ١/ ١٩٤-٢٠٨.

(١٥٧) عنوان المجد ١/ ٢١٠.

واستشهد من غير آل سعود وآل الشيخ علماء وأعيان كثيرون، فمنهم من استشهد في ساحة المعركة، ومنهم من لقي مصرعه بعدما أذيق أنواعًا من الأذى من فوهات البنادق ورؤوس الأسنة وغيرها. ومن جملة هؤلاء:

علي بن محمد بن راشد العريني قاضي خرج، وصالح بن رشيد الحربي، عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سويلم، وحمد بن عيسى بن سويلم، ومحمد بن إبراهيم بن سدحان[١٥٨].

وهناك علماء آخرون غير هؤلاء الشهداء عاملهم إبراهيم باشا معاملة يندى لها الجبين. فقد كان القاضي أحمد بن رشيد الحنبلي عالم المدينة الشهير مقيمًا عند الأمير عبدالله وأكرم أولاً بالضرب والطعن بالحراب ثم قلعت جميع أسنانه واحدة واحدة[١٥٩].

وكان القاضي أحمد بن رشيد (واسمه الكامل أحمد بن حسن بن رشيد) من سكان الإحساء وكان عالمًا مشهورًا في الفقه الحنبلي واشتهر بلقب الحنبلي أيضًا. وكان في بداية الأمر مخالفًا لدعوة شيخ الإسلام ولكنه أصبح من أنصارها فيما بعد، وأحب الجوار في مدينة الرسول ﷺ فاستوطنها وتوفي هناك بعد عمر طويل[١٦٠].

ووردت ترجمته بتفصيل في (السحب الوابلة) إلا أن المؤلف يؤوّل قبوله للدعوة بتأويلات عجيبة وغريبة[١٦١].

ومن هؤلاء الذين أهينوا عالم ضعيف ومحترم وهو الشيخ عبدالعزيز

---

(١٥٨) عنوان المجد ١/ ٢١٠.

(١٥٩) عنوان المجد ١/ ٢١٠.

(١٦٠) توفي سنة ١٢٤٩هـ.

(١٦١) السحب الوابلة ص ٢٣-٣٥.

الحصين الناصري (م سنة ١٢٣٧هـ) فقد كان موجوداً في شقراء أيام الاستيلاء عليها فطلبه إبراهيم باشا في مجلسه وجيء به محمولاً لأنه ما كان يستطيع أن يمشي على رجليه من شدة الضعف ولما وصل سلم على طريقة السنة بقوله:

سلام عليك يا إبراهيم!.

وهنا تورَّمت الجبهة المتكبرة للباشا المصري وبدأ يستهزىء بالشيخ عبدالعزيز وصار الشيخ ينصحه وقرأ آيات من العفو فحينذاك قال الباشا:

«عفونا يا عجوز! عفونا يا عجوز!».

والشيخ عبدالعزيز هذا كان من أخص تلامذة شيخ الإسلام وقد أوفد مرتين إلى الحجاز (في سنة ١١٨٥هـ و ١٢٠٤هـ) في حياة الشيخ. وقد مر ذكر الوفود مفصلاً في أول الباب فليراجع هناك.

ولقد تمكن بعض السعداء من النجاة من براثن الظلم ومن بينهم تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود وهو الذي جدد الدولة النجدية فيما بعد. والشيخ علي بن حسين ابن شيخ الإسلام، وهناك بعض الأفراد من آل سعود الذين تمكنوا من النجاة في ذلك الحين ولكنهم لما رجعوا إلى وطنهم فيما بعد اعتقلهم الحاكم المصري وأرسلهم إلى مصر(١٦٢).

وقد أرسل بقية آل سعود وآل الشيخ مع أهلهم إلى مصر حيث أقاموا في الغربة مدة طويلة ولقد قضى بعضهم نحبه هناك. إلا أن أكثرهم رجعوا إلى بلادهم بعدما عادت الأمور إلى مجراها(١٦٣). ووصلت قافلة الغرباء

---

(١٦٢) سنة ١٢٣٦هـ. خلاصة الكلام ص ٣٠٣.

(١٦٣) وكان من بين هؤلاء الذين رجعوا إلى بلادهم العالمان النجديان الشهيران الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام وابنه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وقد مر ذكرهما في الباب الأول من هذا الكتاب.

هذه إلى مصر في ١٨ رجب سنة ١٢٣٤هـ (١٣ مايو ١٨١٩م) وكان عددهم حوالي أربعمائة من بينهم نساء وأطفال(١٦٤).

تدمير الدرعية:

كان الاستيلاء على الدرعية في أوائل ذي القعدة سنة ١٢٣٣هـ ولكن استمرت سلسلة تدميرها وإفسادها مدة سنة تقريبًا وأشرف عليها إبراهيم باشا بنفسه فمكث هناك نحو تسعة أشهر وكان يصدر كل يوم أوامر جديدة ويُكره الناس على الامتثال بها.

ولما تمت كل هذه المراحل ضربها ضربة لم تسمح لعاصمة آل سعود أن تزدهر مرة أخرى. فقد وصل أمر محمد علي باشا في شعبان سنة ١٢٣٤هـ (يونيو سنة ١٨١٩م) بتدمير الدرعية ونفذها «ابنه البار» فورًا. فماذا كان بعد ذلك. قال ابن بشر:

«ثم أمر العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخلها وأشجارها ولا يرحموا صغيرها وكبيرها. فابتدر العساكر مسرعين وهدموها وبعض أهلها فيها مقيمون. قطعوا الحدائق منها، هدموا الدور والقصور، ونفذ فيها القدر المقدور، وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان. فتركوها خالية المساكن كأن لم يكن بها من قديم ساكن، وتفرق أهلها في النواحي والبلدان وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شأن»(١٦٥).

---

(١٦٤) الجبرتي ٤/ ٣٠٣.

(١٦٥) عنوان المجد ١/ ٢١٣، وتاريخ نجد للألوسي ص ٢٤-٢٦.

لقد كان هذا أسوأ مظهر للجنون الانتقامي المصري، وهذه هي الدرعية التي كانت قرية صغيرة قبل دعوة الشيخ فوهبتها مركزية وانقلبت إلى مدينة عامرة غنية بجهود آل سعود وتشجيعهم. وابن بشر يذكر في كلمات بليغة غنى هذه المدينة وبهاءها ومركزها التجاري ومشاهداته تحمل أهمية خاصة في هذا المجال[١٦٦].

تهنئة الحكومة البريطانية:

وبعدما تم إحراق الدرعية وتدميرها وكان إبراهيم يعد العدة للرجوع من بلاد نجد إذ خطرت خاطرة غريبة في بال الحكام الإنجليز في بلادنا. فأرسلوا وفدًا خاصًا بقيادة جورج فارستر سادلير (Georg Forster Sadleer) لتقديم التهاني إلى إبراهيم باشا، وليس من العسير الوصول إلى تلك العاطفة التي كانت تكمن وراء هذه الفكرة إذا وضعنا أمام أعيننا هذه الحقيقة بأن حكومة الشركة[١٦٧] كانت تبذل كل جهودها لزيادة نفوذها في ناحية الخليج، ولما قوي سلطان أهل نجد على الساحل[١٦٨] واشتدت الهجمات البحرية وبدأت بواخرها تتضرر منها، حاولت حكومة بومباي أن تتخلص من هذه

---

(١٦٦) عنوان المجد ١/ ٢١٤.

(١٦٧) كانت الحكومة الإنجليزية في الهند قد اشتهرت باسم «حكومة الشركة» وذلك لأن الإنجليز قد استعمروا بلاد الهند تحت شعار شركة تجارية سموها «شركة الهند الشرقية» فاشتهرت الحكومة باسمها (المترجم).

(١٦٨) ومن الجدير بالذكر أن الحكام الإنجليز كانوا قد حاولوا التقرب إلى النجديين أيضاً لما توسع نفوذهم إلى الساحل، فكان حاكم البصرة البريطاني «مانستي Manesty» قد أرسل «ريناند Reinand» إلى الدرعية لهذا الغرض فقط، وكان قد حصل له بعض النجاح في ذلك الوقت (هوغارث، حاشية ص ١٠٤).

المصيبة فقامت بشن هجوم عنيف على مدينة رأس الخيمة وأحرقته كما مر من قبل.

والآن لما علمت حكومة الشركة بالفتوحات المصرية وزوال النجديين خافت بأن تتضرر مصالحها من الحكومة الجديدة، وقد زاد هذا الخوف بسبب وقوع بعض الحوادث من هذا القبيل بعد الاستيلاء على الدرعية. فقد بدأت الحاميات المصرية الحربية تتجول في النواحي الساحلية من الخليج ولم تحترم نواحي النفوذ البريطاني. وكان الحكام الإنجليز مسرورين بهلاك أعدائهم النجديين ولكنهم أيضًا ما كانوا مستعدين لهذه المعاملة السيئة من المصريين(١٦٩). ولذلك أرسل الكابتن ج. ف. سادلير إلى الدرعية ليجتمع بإبراهيم باشا. ولكن الحقيقة أن البريطانيين قد أخطأوا في تقدير نيات المصريين. فالمصريون ما كانوا يريدون حكومة دائمة في نجد فضلاً عن الخليج ولكن لعلهم أرسلوا بعض الدوريات إلى البدان المجاورة إبان نشوة الفتح والاستيلاء على الدرعية. ولكن الحقيقة أنهم ما كانوا يقصدون إقامة حكومة دائمة ولأجل هذا سافر إبراهيم باشا إلى مصر بعدما دمر الدرعية وترك البلاد على أثره تعاني حال الفوضى والدمار.

وعلى كل حال نستمع الآن ما جرى على بعثة سادلير بلسان خبير وهو «هوغارث» وقال: «أرسلت سفينة حربية بريطانية من بومبائي إلى الخليج بدون أي إشارة مباشرة أو غير مباشرة من المصريين في سنة ١٨١٩م (١٢٣٤هـ) في موسم الصيف. وكان على ظهرها الكابتن ج. ف. سادلير قائد الفرقة السابعة والأربعين، موفدًا خاصًا إلى إبراهيم، وكانت مهمته تقديم التهاني إليه على فتح الدرعية واتخاذ الخطوات اللازمة للقضاء المبرم

(١٦٩) فلبي ص ١٠٣.

على الدولة الوهابية بالاشتراك مع الباشا.

ومن التعليمات التي وُجّهت لذلك الضابط:

«فإن كان الباشا يريد الاستفادة من المساعدات البريطانية - كما هو الظن الغالب - ترسل قوة بحرية كاملة وقوية على الفور لتساعد الأتراك (المصريين) في الاستيلاء على رأس الخيمة... إلخ.

ولكن قلّما قُدّرت الخيبة لبعثات سرية في التاريخ كما قدرت لبعثة سادلير».

والتفصيل طويل(١٧٠) ولكن الخلاصة أن سادلير نزل على ساحل العرب حين كان إبراهيم باشا يريد الرجوع إلى وطنه مشبعًا من تدمير الدرعية وأخبر سادلير بأنه لا يعرف أين سيتمكن من الاجتماع به. ولكنه خرج في ٢٨ يونيو سنة ١٨١٩م ووصل إلى شقراء ثم الرس مارًا بالدرعية وقد وجد جنود إبراهيم إلا أنه بنفسه كان قد سافر إلى المدينة، وكان خبر قدوم سادلير قد بلغه ولكنه لم يكن حريصًا على لقائه إلى حد أن يجلس لانتظاره. وفي الأخير أدركه سادلير على مقربة من المدينة واجتمع به في ٨ و ٩ من سبتمبر.

وكلمه الباشا كلامًا حسنًا وبأخلاق ولكنه لم يعده بشيء، ورجع الوفد البريطاني صفر اليدين إلا أنه قد نال مزية بتجوله في الصحراء لمدة ثلاثة أشهر فكان أول أوربي عبر الجزيرة العربية من البحر إلى البحر.

لقد دمرت الدرعية بأيدي المصريين بحيث لم يتسنّ لها أن تعمر مرة أخرى. ولم يكن يرى أي أمل في انبعاث النجديين من جديد. وقد أظهر بلنت رأيه بالحرف الواحد في سنة ١٨٨٠م بقوله:

---

(١٧٠) ومن أراد التفصيل فليرجع إلى هوغارث في كتابه Fenetration of Arabia ص١٠٤-١١١.

«إن الدولة السعودية في العرب ينبغي أن تعرف الآن كقصة من الماضي»[171].

وهذا مع أنه خبير واسع الاطلاع بعيد النظر وموال للعرب في الظاهر.

وكذلك داوتي (Daughty) في سنة ١٨٧٥م ينقل عن أهل نجد رأيهم فيقول:

«إن الرأي السائد على الأقل في نجد أن الدولة الوهابية لا يمكن أن تنبعث من جديد»[172].

ويعلق عدو الإسلام زويمر على هذه الحادثة فيقول:

«لقد انتهت هذه الحركة بخيبة كاملة، ولقد ثبت الآن أن وجودها السياسي كان مجرد تمثيلية رائعة»[173].

يقول عدو الإسلام والعرب هذا في موضع آخر:

«ينبغي أن نعرف أن الدولة السعودية في العرب قد أصبحت من عداد الأساطير الماضية»[174].

إلا أن الأيام قد أثبتت بأن هذه الآراء كلها كانت كاذبة، فلقد سلمت أمانة الجزيرة العربية إلى أولئك النجديين مرة أخرى وبسعة وقوة أكثر مما

---

(١٧١) بلنت ٢/ ٢٦٨.

(١٧٢) داوتي ٢/ ٤٢٥.

(١٧٣) زويمر ص ١٩١.

(١٧٤) نقلاً عن فلبي (ص ١٠٢) ويتعجب فلبي (ص ١٦٠) من أن تعليق زويمر هذا ما زال باقياً في الطبعة التي طبعت من كتابه في سنة ١٩١٢م مع أن الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود قد استرد الرياض في سنة ١٩٠٢م. ومما يجدر بالذكر أن هوغارث (ص٧٨) كان قد توقع انبعاث هذه الحركة وازدهارها من جديد (في سنة ١٩٠٤م) ولكن هذا التوقع بعد استرداد الرياض ليس محل إعجاب كبير إلا أن جهل زويمر غريب مدهش.

كانت من قبل. نعم إن الدرعية لم يُقدر لها أن تزدهر من جديد، والنشأة الجديدة للدولة النجدية كانت من مدينة أخرى في الناحية نفسها وهي «الرياض» وهي عاصمتهم الآن.

رثاء الدرعية:

لقد تركت مأساة الدرعية أثرًا عظيمًا مؤلمًا جدًا في نفوس أهل نجد ومحبيهم وهذا لا يحتاج إلى بيان. ولعل البكاة قد بكوا حسب استطاعتهم وأحوالهم وأسبلوا دماء لا دموعًا، ونحن نحب أن نشير الآن إلى قصيدة واحدة فقط قيلت في رثاء الدرعية وهي مما قاله العالم النجدي الشهير الشيخ عبدالعزيز نجل الشيخ حمد بن ناصر (م سنة ١٢٢٥هـ) أحد تلامذة شيخ الإسلام. مع أننا لا نجد فيها تلك القوة التي نراها في رثاء الأندلس[١٧٥] للشريف الرندي أو مرثية بغداد لسعدي (الشيرازي)[١٧٦]. ولكن مع ذلك فيها أنين وألم وهي مرآة صادقة لشعور الصبر والشكر الذي كانت تتحلى به هذه الأمة المؤمنة. ومطلع القصيدة هو:

إليك إله العرش أشكو تضرعًا وأدعوك في ضراء ربي لتسمعا

---

(١٧٥) رثاء طليطلة لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي، ومطلع قصيدته المشهورة:

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يُغر بطيب العيش إنسان

وكان حادث استيلاء العدو على طليطلة في صفر سنة ٤٧٨هـ والمشهور عند عامة الناس أنها رثاء غرناطة بعد استيلاء العدو عليها في سنة ٧٩٢هـ إلا أن الصحيح أنها قيلت قبل الاستيلاء على غرناطة بثلاثمائة سنة (نفح الطيب ٤٣ : ٥٩٤).

(١٧٦) رثاء زوال بغداد. ومطلعها. «والقصيدة باللغة الفارسية» (المترجم).

وعلى سبيل المثال نورد بعض الأبيات :

وكم قتلوا من عصبة الحق فتية ... هداة وضاة ساجدين ورُكعا

وكم دمروا من مربع كان آهلاً ... فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا

مضوا وانقضت أيامهم حين أوردوا ... ثناء وذكرًا طيبه قد تضوعا

فجازاهم الله الكريم بفضله ... جنانًا ورضوانًا من الله أرفعا

إلى أن قال :

ألا أيها الإخوان صبرًا فإنني ... أرى الصبر للمقدور خيرًا وأنفعا

ولا تيأسوا من كشف ما ناب أنه ... إذا شاء ربي كشف ذاك تمزعًا(١٧٧)

ومن أيام تدمير الدرعية تنتهي الدولة السياسية التي أسسها ورباها الشيخ بنفسه ، أما نشأة نجد من جديد(١٧٨) وازدهاره فهو خارج عن نطاق بحثنا فلذلك نترك هنا قصة حكومات نجد ولنتوجه إلى مؤلفات الشيخ وتراثه الفكري .

---

(١٧٧) عنوان المجد ٢/ ٣٤.

(١٧٨) يمكن أن نقسم تاريخ نجد إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول : يبدأ من ازدهار الدرعية إلى سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٩م) حينما تشتّت شملهم وتمزقت قوتهم بغارة المصريين واستيلائهم على الدرعية .

الدور الثاني : يبدأ من عصر حاول فيه تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود (١٢٣٥-١٢٤٩هـ) الموافق (١٨٢٠-١٨٣٤م) وفيصل بن تركي (سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م - سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م ثم سنة ١٢٥٩هـ/ ١٨٤٢م - سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) العودة إلى الحكم إلى أن ضم أمير حائل محمد بن عبدالله آل الرشيد سنة (١٢٨٥هـ/ ١٧٦٩م - ١٣٢٥هـ/ ١٨٩٧م) ناحية الرياض تحت رايته .

والدور الثالث الذهبي : «وفي تعبير فلبي : الإمبراطورية الوهابية الثانية» يبدأ من سنة (١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م) حينما جاء الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، واسترد الرياض من آل الرشيد .

نعم أرى من المناسب هنا أن أذكر الفروق التي كانت توجد بين الجيش النجدي والجيش المصري، وفي أخلاق وطبائع محمد علي وإبراهيم باشا.

الغزاة المصريون:

استمرت المعارك بين المصريين والنجديين مدة طويلة، وفي البداية لحقت بالمصريين خسائر فادحة وكان النصر حليف النجديين إلا أنهم لم ينحرفوا قيد أنملة عن القواعد الحربية الإسلامية، ومهما قيل من الشدة والتقشف في جنودهم ولكن من المستحيل أن يؤتى بمثال واحد من الضعف الخلقي أو الغش والفجور، أما محمد علي وإبراهيم وأصحابهما فيظهر من أعمالهم كأنهم لم يصبهم شيء من الإسلام، ويظهر من تصرفاتهم مدى انحطاط المسلمين عامة في بداية القرن الثالث عشر الهجري. وللاطلاع على المميزات والفوارق بين الجيش المصري والجيش النجدي يكفي أن نسمع رواية واحدة رواها لنا المؤرخ المصري المشهور عبدالرحمن الجبرتي. ذكر في حوادث سنة ١٢٢٧هـ في صدد ذكره لانهزام المصريين ويحدث عن ضابط مصري كبير.

«ولقد قال لي بعض أكابرهم من الذين يدعون الصلاح والتورع: أين لنا بالنصر، وأكثر عساكرنا على غير الملة وفيهم من لا يتدين بدين ولا ينتحل مذهبًا، وصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عرضينا أذان ولا تقام به فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين. والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون وينتظمون صفوفًا خلف إمام واحد بخشوع وخضوع وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف فتتقدم طائفة للحرب وتتأخر الأخرى للصلاة، وعسكرنا يتعجبون من ذلك

لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته»[١٧٩].

ولا نستبيح أن نلوّث قلمنا بذكر تلك الفواحش التي ارتكبها الجيش المصري في بدر ونواحيه حسب رواية هذا الضابط المصري ولكن يكفي للإشارة إليها أن نقول إن أعراض أهل العلم والشرف لم تبق محفوظة من اعتدائهم[١٨٠].

وهذه كانت رواية ضابط عسكري مصري. وإليك رواية الجبرتي نفسه فقد قال في حوادث رمضان سنة ١٢٣٣هـ:

«وارتحل جملة من العساكر في دفعات ثلاث براً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان وبرز عرضي خليل باشا إلى خارج باب النصر وترددوا في الخروج والدخول، واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الإسلام»[١٨١].

وإذا كان هذا مبلغ احترامهم وتقديرهم للدين ولنظام الإسلام فما هو العجب إذا جُنَّ جنون إبراهيم باشا بعد تدمير الدرعية والاستيلاء على نجد إذ يشكو الجبرتي من الكبر والأنانية في فاتح نجد فقال:

«ورجع إبراهيم باشا من هذه الغيبة متعاظمًا في نفسه جداً وداخله من الغرور ما لا مزيد عليه حتى أن المشايخ لما ذهبوا للسلام لم يقم لهم ولم يرد عليهم السلام فجلسوا وجعلوا يهنئونه بالسلامة فلم يجبهم ولا بالإشارة

---

(١٧٩) الجبرتي ٤/ ١٤٠.

(١٨٠) الجبرتي ٤/ ١٤٠.

(١٨١) أيضاً ٤/ ٢٨٩.

بل جعل يحادث شخصًا سخرية عنده. وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسري الخاطر»[١٨٢].

وهل هذا يحتاج إلى تعليق؟

خيانة محمد علي ومظالمه:

لا نريد أن نعيد هنا قصة المظالم التي ارتكبها محمد علي من جديد ولكن بركهارت الذي زار الحجاز والجزيرة العربية في عهد محمد علي، ولا يمكن أن يُتهم بالعطف على الوهابيين، قد ذكر لنا القصة المفصلة لتلك المظالم[١٨٣] وهو معتمد عليه وموثوق به. ويحمل بعض المعلقين مسؤولية الغدر والخيانة والمكر الذي ارتكبه إبراهيم على عاتق محمد علي. يقول هوغارث: «إن الغدر والخيانة اللتين عومل بهما الملك المخلوع وعامة الوهابيين ترجع العهدة فيها إلى محمد علي أكثر من إبراهيم»[١٨٤].

ويذكر بركهارت أكثر من مرة أن محمد علي كان قد نجح في تقديم الرشوة إلى البدو.

«وقد كان للرشوة النصيب الأوفر في إمالة البدو إلى المصريين».

ويذكر أمثلة كثيرة لمظالم محمد علي وسفكه الدماء. وقال هو نفسه في موضع آخر:

«وكان دور الفلوس أكبر من قوة جيوش محمد علي في إرساء دولته

---

(١٨٢) أيضاً ٤ : ٣٠٦ ولقد قدم هوغارث أيضاً سيرة إبراهيم باشا بوضوح (ص١٠١).

(١٨٣) بركهارت ص ٢٤٢ ، ٣١٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٣ ، ٣٥٢.

(١٨٤) هوغارث ص ١٠٣.

على العرب[185].

وفي جانب آخر يذكر شاهد عيان آخر حالة النجديين وهو السياح الأسباني المعروف باديا (علي بك عباسي) وإليك روايته وكان موجودًا في مكة عندما دخلها النجديون فاتحين:

«ما كانت أيديهم تصل إلى أي شيء حتى يعرفوا بأنه للعدو أو للمشرك، وما كانوا يحاولون أخذه غصبًا. وكانوا يشترون جميع حاجاتهم بالفلوس وهكذا كانوا يدفعون الأجرة على كل خدمة. ولما كانوا يتبعون أوامر رئيسهم اتباعًا أعمى كانوا مستعدين لكل بذل في امتثال أوامره»[186].

قال بركهارت سائح آخر وهو متثبت أكثر من (علي بك) وكان قد وصل إلى مكة في سنة ١٩١٤م أي عند استيلاء محمد علي عليها وكتبه تشهد بصحة روايته ودقة نظره فقال:

«ولقد كان الشعور القوي المخلص للقضاء على التقاليد السيئة هو الذي يعمل عمله تحت إجراءات الوهابيين. فإنهم لم يخونوا العهد قط مع أغدر عدو. ولو قارنّا سلوكهم بسلوك الأتراك (المصريين) فسنضطر إلى أن نذكر جميع تلك المساوىء التي يتلوث بها الأتراك»[187].

وكتاب بركهارت مليء بالمدح والثناء على سعود وعبدالله[188].

---

(١٨٥) بركهارت ص ٢٠٢ - ٢٠٦.

(١٨٦) هوغارث ص ٧٨.

(١٨٧) هوغارث ص ٧٩.

(١٨٨) بركهارت ٢/ ١٢٠ - ١٨٠.

الباب الثالث

المؤلفـــات

لقد كتب المجاهد والسياسي العربي الشهير الأمير شكيب أرسلان في شأن حكيم الشرق والمفكر السياسي الأول في العالم الإسلامي المعاصر السيد جمال الدين الأفغاني، وما أحسن ما كتب:

«وبالجملة فإنه لم يكن يحفل بوفرة التصانيف وإنما كان يؤلف أمما ويصنف ممالك»[1].

ومن الممكن أن تعاد هذه الجملة في حق شيخ الإسلام أيضًا بتغيير طفيف، ولكن مع ذلك فالذي كتبه الشيخ في الدعوة والتبليغ ليس بقليل ومرتبته عظيمة من الناحية العلمية أيضًا. فلا توجد في هذه المكتوبات تنطعات المتكلمين ولا تكلفات الفقهاء المتأخرين الذين سيطرت عليهم العلوم اليونانية ولكنها على طريقة المحدثين تمامًا، فكل ما قاله في كلمات واضحة مستدلا بنصوص من الكتاب والسنة وكفى!! إن الحق لا يحتاج إلى تجميل ولا تزوير فإنه يحمل في طياته جاذبية كامنة.

ومن أهم مميزات مؤلفاته أنها لم يصبها أدنى كدر من اليونان والعلوم اليونانية في حين نرى في بلادنا الهند أن كبار المجددين لم يستطيعوا أن يتجنبوا التعقيدات اليونانية والإشراقية. ولكن أسلوب الشيخ قرآني محض وأدلته كلها مأخوذة من القرآن والسنة.

ومزية أخرى أنه بعيد كل البعد عن المصطلحات الصوفية. وإن هذا الخليط المركب من الفلسفة اليونانية وفيدا[2] الذي سماه الناس تصوفا قد

---

(١) حاضر العالم الإسلامي ٢/ ٣٠١.

(٢) فيدا: اسم الكتاب المقدس عند الوثنيين في الهند، ومنه تؤخذ شرائعهم وتقاليدهم (المترجم).

نخر أسس الدين الإسلامي[٣]. والمجددون في الهند الإسلامية قد وقعوا في خطأ جسيم إذ ما زالوا يقدمون للناس هذا الأفيون. وإن الأفيون هو أفيون على كل حال مهما قُدّمت له من عقاقير وجرعات إلا أن آثاره السيئة لابد وأن تفسد الأعضاء الرئيسية في الجسد[٤]. ونتيجة لذلك فلم يستطع المسلمون في الهند أن يتخلصوا من هذه الأحاليل إلى يومنا هذا. وإن العلاج الناجح الذي قدمه شيخ الإسلام والحذر الكامل الذي يوجد عنده من هذا المخدر لقد أديا إلى تخليص المسلمين في نجد وأطرافه من هذه الورطة إلى الأبد.

أما أسلوب الشيخ فهو واضح لا يوجد فيه أي تعقيد إلا أن اللغة[٥]

(٣) اقترح علي بعض الأصدقاء أن لا أخالف التصوف بوجه عام بل استعمل كلمة «صوفية السوء» للمتصوفة المحتالين والمبتدعين، كما أن كلمة «علماء السوء» تطلق على العلماء غير العاملين. ولا مانع عندي من قبول هذا الاقتراح لو لم أشاهد تلك المفاسد والويلات التي جرها التصوف. أما الذين يدعون إلى «الإحسان» والتزكية على طريقة الإسلام فمن الذي يخالفهم. ولكن الخلاف إنما هو في هذا الاصطلاح المبتدع «التصوف» الذي راجت تحت ستاره أسواق الخداع والدجل في ضحوة النهار. ولا أرى طريقة للتخلص من هذه الفتنة العمياء سوى أن نخلع ونرمي هذه الجبة بالمرة.

(٤) ولمعرفة المزيد من هذه المصائب والمفاسد التي دخلت في صفوف المسلمين تحت شعار التصوف يرجع إلى كتاب (التصوف بين الحق والخلق) للأستاذ محمد فهر شفقة، وكتاب (هذه هي الصوفية) للأستاذ عبدالرحمن الوكيل رحمه الله (المترجم).

(٥) يشعر الناظر في كتب الشيخ رحمه الله أنه يحاول أن يعرض دعوته بأوضح أسلوب وأسهل عبارة لكي يفهمها الناس على اختلاف مستوياتهم الثقافية والأدبية ولذلك فإنه يتجنب استعمال الأساليب التي قد يصعب فهمها على عامة الناس (المترجم).

ليست عالية جدا كما نشاهدها عند ابن تيمية (م سنة ٧٢٨هـ) وابن القيم (م سنة ٧٥٦هـ) والشاه ولي الله (م سنة ١١٧٦هـ) رحمهم الله.

ولكن هناك جوهرة ثمينة أخرى في مكتوباته ونادرًا ما نراها في التراث الإسلامي كله. وقد انعدمت بعد القرن الثامن الهجري. وإن سمحتم نعبر عنها «بالروح» كما يقول إقبال. فإن كل سطر من سطوره مملوء بالتأثير، ولعل سببه كامن في ذلك الشعور الديني الوقّاد الذي كان يقض مضجعه طوال حياته. إذن - لابد أنه كان متصفًا بشيء ما. حيث استطاع أن يُغير أحوال نجد وما حوله رأسًا على عقب في لمحة خاطفة. وبالجملة فإن جميع مؤلفاته الصغيرة والكبيرة مليئة من هذا التأثير، ويظهر هذا أشد وأكثر في رسائله.

وقد عرفنا من مؤلفات الشيخ الكتب التالية:

١ - كتاب التوحيد:

وهذه الرسالة هي أشهر مؤلفات الشيخ وكما أن كتاب (تقوية الإيمان) للشيخ إسماعيل الشهيد (ش سنة ١٢٤٦هـ)[٦] قد أسيئت سمعته في مجالس

(٦) هو المجاهد الشهيد والبطل المغامر محمد إسماعيل بن عبدالغني بن ولي الله الدهلوي، جمع بين قوة العلم والورع وشوكة السلاح. رفع لواء الدعوة الإسلامية في القارة الهندية بعدما اندرست معالمه وطغت عليه قوى الكفر والطغيان، فجاهد مع رفيقه السيد أحمد بن عرفان الشهيد ضد الإنجليز المستعمرين ووضع حداً لمظالم السيخ الغاشمين وقامت لهما دولة إسلامية غرب بلاد الهند ولكن لم تعمر طويلاً. ولقد اعتنى الشهيد رحمه الله أشد الاعتناء بتطهير عقائد المسلمين وإخراجهم من شوائب الوثنية التي كانت قد دخلت فيهم عن جيرانهم. ولكن للأسف أن العالم العربي لم يزل غافلاً عن تاريخ بطولاتهم النادرة فلم يؤلف في اللغة العربية في=

أصحاب الأفكار الفاسدة في الهند فكذلك «أدعياء العقيدة الطيبة» في العرب والعجم لا ينظرون إلي كتاب التوحيد نظرة طيبة .

والاسم الكامل لهذا الكتاب هو (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) وذكر فيه الشيخ حقيقة التوحيد وحدوده ، والشرك ومفاسده ، وفصّل القول في جميع تلك الطرق التي تؤدي إليه كالاستعاذة والاستغاثة بغير الله والتوسل ودعاء غير الله والنذر والذبح لغيره والسحر والكهانة والتطير وغيرها . ولم يأت بأفكاره إلا القليل[7] بل اكتفى في كل باب بذكر براهين واضحة وصريحة من الكتاب والسنة . ولقد حظي هذا الكتاب بالقبول العام وسارعت إليه الأيدي وطبع مرات كل منها عدة آلاف وترجم بلغات عديدة . وترجم بلغة «أردو» عدة تراجم . ولم أعرف هل ترجم بالإنجليزية أو لا[8]؟

= ذكرهم إلا صفحات أو وريقات . ولعل القارىء يجد نبذة من تضحياتهم وأعمالهم في كتاب (تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند) للأستاذ مسعود الندوي وفي مقدمة كتاب (تقوية الإيمان) للشهيد نفسه . لقد ولد هذا المجاهد في سنة ١١٩٣هـ وخَرّ صريعاً في معركة مع السيخ الكفار في سنة ١٢٤٦هـ . وترجم كتابه «تقوية الإيمان» لأول مرة إلى اللغة العربية وطبعته دار التأليف والترجمة والنشر بالجامعة السلفية ببنارس في الهند في سنة ١٣٩٢هـ (المترجم) .

(٧) مقصود المؤلف الرد على أولئك الذين كانوا يزعمون أو ما زالوا يزعمون أن شيخ الإسلام رحمه الله (أتى بمذهب جديد) أو أنه (دعا إلى ضلال) أو أنه وأتباعه «من الخوارج» كما زعم دحلان والنبهاني وغيرهما ، فإن الأسلوب الذي مدح به المؤلف مصنفات شيخ الإسلام رحمه الله يشهد لهذا الإيضاح ، ولا شك أن تراجم أبواب كتاب التوحيد والمسائل التي يذكرها آخر كل باب من أفكاره واستنباطاته (الناشر) .

(٨) لقد ورد ذكر ترجمة إنجليزية لكتاب التوحيد في قائمة «أنديا افس» (القائمة العربية ٢ : ٣٨٤ رقم / ٢٠٥٠) General Asiatic Society . والحق أنها ترجمة لرسالة الشيخ عبدالله بن محمد عبدالوهاب التي ألفها في سنة ١٢١٨هـ عند فتح مكة . ووقع=

وقد ألف علماء نجد شروحًا عديدة لهذا الكتاب وبعضها مفيدة جدًا وغزيرة العلم. وذكر بروكلمان شرحين[٩]:

١ - الدر النضيد، لأحمد بن حسن النجدي، وقد طبع في دهلي سنة ١٣١١هـ.

٢ - فتح الله الحميد المجيد، لحامد بن محمد بن حسن، وقد طبع في أمر تسر سنة ١٨٩٧م.

أما الأول فلم أطلع عليه وأما الثاني فناقص وغير مهم، ولكن بروكلمان غفل عن ذكر أهم الشروح وهو (تيسير العزيز الحميد) وقد بدأ تأليفه الشيخ سليمان بن عبدالله ابن شيخ الإسلام (م سنة ١٢٣٢هـ) إلا أنه لم يتم فأكمله الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام (م سنة ١٢٨٥هـ) وأضاف إليها زيادات كثيرة. والذي نراه أمامنا هو من ترتيب الشيخ ابن حسن نفسه، وتوجد في هذا الشرح بحوث مفصلة لكل المسائل، ووردت نصوص طويلة عن كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، وهكذا صار هذا الشرح كتابا جامعا مفيدا. وقد طبع للمرة الأولي في المطبع الأنصاري في دهلي سنة ١٣١١هـ، ومرة أخرى في المطبعة السلفية بمصر على نفقة الشيخ عبدالرحمن القصيبي التاجر المعروف في البحرين على ورق عادي سنة ١٣٤٧هـ ووُزع مجانًا، وقد طبع الآن للمرة الثالثة في مطبعة

بروكلمان أيضاً في هذا الوهم (٢/ ٣٩) ولكنه صححه في الذيل إلا أن الخطأ في التاريخ ما زال باقياً حتى بعد التصحيح فقد طبع سنة ١٨٤٠هـ بدلاً من سنة ١٨٧٤هـ. وترجمة رسالة الشيخ عبدالله هذه هي بقلم (أوكنلي Okinely). وقد وقع في أخطاء مدهشة سنذكرها في موضعها.

(٩) تاريخ الآداب العربية، ملحق ٢/ ٥٣١، ٥٣٢.

أنصار السنة المحمدية بالقاهرة تحت إشراف الشيخ محمد حامد الفقي طبعة أنيقة جدًا (سنة ١٣٥٧هـ). وقد ذكر الشيخ محمد حامد الفقي أحوال المصنف ي مستهلة آخذًا من (عنوان المجد). وخرّج الناشر بعض الأحاديث أيضًا، وحاول أن يشير إلى المواضع الصحيحة من كتب الإمام ابن تيمية وابن القيم لأن المؤلف ذكرها بدون إشارة إلى مصادرها. وبذلك سهلت المراجعة.

وزيادة على هذا الشرح الطويل المفصل الذي هو إكمال للشرح الذي بدأه الشيخ سليمان بن عبدالله وتركه ناقصاً[١]. كان الشيخ عبدالرحمن ابن حسن علق بعض التعليقات باسم (قرة عيون الموحدين) (طبع مطبعة المنار سنة ١٣٤٦هـ) ولم أطلع على هذا الكتاب ولكن محمد حامد الفقي ذكر بعض النصوص منه في حواشي فتح المجيد.

٢ ـ كشف الشبهات:

ونستطيع أن نسميه تكملة لكتاب التوحيد، والحقيقة أن جميع كتب الشيخ تتعلق بالتوحيد، ويمكن أن يقال أنها كلها تكملة لكتاب التوحيد إلا أن كشف الشبهات لا يوجد فيه إلا التوحيد وقد أزيلت فيه تلك الشبهات التي كانت تَعرض للعامة حول التوحيد الخالص. فإن بعضهم ينادي الولي أو الغوث، وبعضهم يضل وينحرف من باب التوسل والاستغاثة، وقد أخطأ بعضهم في فهم الشفاعة. وقد أزيلت

---

(١) والحق أن كتاب (فتح المجيد) شرح مستقل من تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن. وأما كتاب الشيخ سليمان بن عبدالله فهو الآن مطبوع ومتداول باسم (تيسير العزيز الحميد) وقد ظهرت منه عدة طبعات قام بنشرها وطبعها المكتب الإسلامي في بيروت وقد أكملت الأجزاء الناقصة منه من (فتح المجيد) للشيخ عبدالرحمن بن حسن وهي قليلة جداً (المترجم).

كل هذه الشكوك في هذا الكتاب. وطريق الاستدلال قرآني خالص لا يوجد فيه أدنى غموض ولا نرى أي أثر للطريقة الجدلية التي توجد عند المتأخرين. وهي رسالة صغيرة إلا أنها كنز من المعلومات والفوائد، وقد طبعت مرات وعندنا نسخة طبعت في مجموعة عيسى بن رميح النجدي (ص٥٦ ـ ٧٢).

٣ ـ الأصول الثلاثة وأدلتها:

معرفة الرب، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة الرسول، هذه هي الأصول الثلاثة التي وضحت في هذه الرسالة في أسلوب جذاب. إنها رسالة صغيرة جدًا.

٤ ـ شروط الصلاة وأركانها:

وقد شرحت في هذه الرسالة شروط الصلاة: الإسلام، العقل، التمييز، رفع الحدث، إزالة النجاسة، ستر العورة، دخول الوقت، استقبال القبلة، والنية. وذكرت أركان الصلاة وواجباتها.

٥ ـ القواعد الأربع:

ذكرت في هذه الرسالة بعض نواحي التوحيد على طريقة مؤثرة وسهلة وهذه القواعد الأربعة:

أولاها: أن كفار العرب كانوا يؤمنون بأن الله هو الخالق والرازق والمدبر، ولكنهم لم يدخلوا في الإسلام بهذا.

وثانيتها: أن كفار العرب أيضًا كانوا يدعون أولياء من دون الله للقربة والشفاعة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وثالثتها: أن الرسول ﷺ قاتل عُبّاد الملائكة والأنبياء والصالحين وعباد الأشجار والأحجار والشمس والقمر على حد سواء ولم يفرق بين

أنواع المشركين .

ورابعتها : أن مشركي هذا الزمان أحطّ درجة من مشركي ذلك الزمان لأنهم كانوا يوحدون الله عند الشدائد على الأقل وأما مشركو هذا الزمان فإنهم يدعون أولياء من دون الله في كل حال .

وقد وضحت هذه القواعد الأربع بالآيات القرآنية .

وقد طبع هذه الرسائل الثلاث عيسى بن رميح النجدي في مجموعته (ص١-٢٧) مطبعة المنار، القاهرة سنة ١٣٤٠هـ. وكذلك توجد هذه الرسائل في مجموعة الكتاب المفيد المطبوع في مكة سنة ١٣٤٣هـ.

٦ - أصول الإيمان:

وقد بينت أبواب مختلفة من الإيمان بالأحاديث، ويظهر من عبارة في البداية أن بعض أولاد الشيخ قد أضاف إليها ونصها «وقد زاد فيه بعض أولاده زيادة حسنة».

لقد طبع للمرة الأولى في دهلي وطبع في هذه الأيام (في مجموعة الحديث النجدية) (القاهرة، مطبعة المنار سنة ١٣٤٢هـ)(ص ٢٠٩ - ٢٤٠).

٧ - كتاب فضل الإسلام:

وقد وضحت فيه مفاسد البدع والشرك كما وضحت شروط الإسلام . (مجموعة الحديث النجدية) (ص٢٤٢ - ٢٥٥).

٨ - كتاب الكبائر:

ذكرت فيه جميع أقسام الكبائر واحدة واحدة مفصلة في أبواب وقد

دعمت الأبواب كلها بنصوص الكتاب والسنة، والحق أن المصنف لم يكتب من عنده إلا القليل، ولا شك أن جمع نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بأسلوب لائق هو عمل جليل في نفسه. مجموعة الحديث النجدية (ص ٢٥٨ - ٣١٠).

٩ - نصيحة المسلمين[١٠]:

هذا كتاب مستقل قد جمعت فيه أحاديث تتعلق بجميع نواحي التعليمات الإسلامية وإن المصنف لم يأت بشيء من عنده إلا القليل بل ما جاء بشيء أصلا. (مجموعة الحديث ص٣١٢-٤٤٤).

١٠ - ستة مواضع من السيرة:

رسالة مختصرة توضح ستة أحداث من السيرة النبوية. والمواضع الستة هي:

١ - ابتداء نزول الوحي.

---

(١٠) أفاد فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري حفظه الله بأن مجموعة الأحاديث المعنونة بعنوان (نصيحة المسلمين) والموجودة في مجموعة الحديث النجدية ليست من مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، بل هي عبارة عن كتاب الأدب والرقاق من (مشكاة المصابيح) للخطيب التبريزي. وإنما وضعها بعض تلاميذه في هذه المجموعة بقصد الفائدة فقط. ووافقه على ذلك سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز حفظه الله في خطاب موجه إليه في ١٦/ ١٢/ ١٣٩٦هـ (المترجم).

٢ - تعليم التوحيد والرد على الكفار.
٣ - قصة «تلك الغرانيق العلى[١١]».
٤ - ختام أبي طالب.
٥ - منافع الهجرة وعظاتها.
٦ - قصة الارتداد بعد وفاة الرسول ﷺ.

(مجموعة الكتاب المفيد ص ١٩ - ٢٣)

١١ - تفسير الفاتحة:

وهو تفسير موجز جدًا لسورة الفاتحة إلا أن حماسة الشيخ للتوحيد تبدو واضحة جلية في كل سطر.

(مجموعة الكتاب المفيد ص١٨ - ١٩)

١٢ - مسائل الجاهلية:

ذكر فيها شيخ الإسلام مائة وإحدى وثلاثين مسألة خالف الرسول ﷺ فيها معتقدات أهل الجاهلية، وقد ألف الأستاذ محمود شكري الألوسي (م سنة ١٣٤٢هـ) شرحًا لهذه الرسالة.

(الزهراء ص ٤٤ - ٥٢)

١٣ - تفسير الشهادة:

تفسير لكلمة لا إله إلا الله، وقد ذكرت فيها أهمية التوحيد في أسلوب أخّاذ وواضح (ص ٧٨ - ٨٠).

---

(١١) للتفصيل في معرفة هذه القصة وحقيقتها يرجع إلى كتاب (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) للشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المترجم).

١٤ - تفسير لبعض سور القرآن[١٢]:

إنها مجموعة لبعض تعليقات الشيخ على آيات وسور مختلفة من القرآن وقد استنبط عشرات من المسائل من آية واحدة وهذه هي أهم مزاياها.

١٥ - كتاب السيرة:

ملخص من كتاب السيرة لابن هشام، وتوجد نسخة قديمة طيبة لهذا الكتاب في مكتبة بتنة[١٣].

١٦ - الهدي النبوي:

وهو ملخص لزاد المعاد للإمام ابن القيم رحمه الله وقد كتب على عنوان الكتاب (الهدي النبوي) فقط وتوجد له نسخة خطية في مكتبة بتنة[١٤].

وللشيخ عدة رسائل صغيرة أخرى غير ما ذكرنا ولا أرى حاجة إلى ذكرها. وتوجد بعض هذه الرسائل في روضة الأفكار[١٥] وكذلك أجوبة لبعض الاستفسارات[١٦].

---

(١٢) الفهرس المشروح - مكتبة أورينتال (المكتبة الشرقية) لتنة ١٨/ ٢ رقم ١٤٧٧.

(١٣) الفهرس المشروح، ج ١٥ رقم ١٠٣٨//.

(١٤) الفهرس المشروح، ج ١٥ رقم ١٠٣٨/ ٢.

(١٥) المجلد الأول: الفصل الثالث والرابع.

(١٦) هذا وقد اختلف المترجمون للشيخ في ذكر أسماء مؤلفاته وعددها فذكر بعضهم ما لم يذكره الآخر. ولعل السبب في ذلك هو أن أغلب هذه المؤلفات أشبه بمقالات مختصرة، فمنهم من عدّها مؤلفات مستقلة ومنهم من عدها مقالات ورسائل. والقاريء الكريم إذا أجال النظر في مؤلفاته يجدها على نوعين:

الأول: ما اختصره الشيخ من مؤلفات العلماء المتقدمين وكتبهم. =

. . . .

= والثاني: ما ألفه هو بنفسه وأغلب هذا القسم الثاني موجز جداً. والسبب في هذا أن شيخ الإسلام رحمه الله ما كان همه أن يؤلف مؤلفات طويلة وإنما كان يهتم أن يربي جيلاً يطبق الإسلام بكامله بعد أن صار في بطون الكتب ولهذلك اعتنى باختصار كثير من كتب المتقدمين حسب حاجة الناس وحاول في مؤلفاته ورسائله أن يؤدي مفهومه في أوجز كلام ممكن مع وضوحه وبيانه لكي يسهل على الناس حفظه وتطبيقه.

ولقد جمعت أسماء مؤلفاته من عدة من الكتب التي ألفت في سيرته (كتاب محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار، وسيرة محمد بن عبدالوهاب لأمين سعيد، ومحمد بن عبدالوهاب للقاضي ابن حجر الشافعي، والجزء الثاني عشر من الدرر السنية في الأجوبة النجدية جمع الشيخ عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي) فبلغت تسعة وعشرين كتاباً ذكر المؤلف منها ستة عشر والباقي كما يلي:

١ - مفيد المستفيد
٢ - أحاديث الفتن
٣ - آداب المشي إلى الصلاة
٤ - فضائل القرآن
٥ - مجموع الحديث على أبواب الفقه
٦ - مختصر صحيح البخاري
٧ - مختصر فتح الباري
٨ - مختصر الإنصاف
٩ - مختصر الشرح الكبير
١٠ - مختصر العقل والنقل
١١ - مختصر الصواعق
١٢ - مختصر المنهاج
١٣ - مختصر الإيمان

وإن المشكلة العويصة التي يواجهها الباحث عن تراث هذا الإمام العظيم والمجاهد الكبير أن مؤلفاته مطبوعة ضمن مجموعات طويلة من كتب الآخرين التي تتعلق بالدعوة. وهذه الطريقة لا شك في إفادتها لأنها تجمع عدة مؤلفات في موضوع واحد. ولكنها تأتي بكثير من المتاعب لمن يريد البحث عن سيرة هذا الإمام وخدماته فقط. وزيادة على ذلك أن أغلب هذه المجموعات نادرة لا يعثر عليها =

. . . .

= إلا القليلون. فلو قامت إدارات البحوث العلمية أو أي مؤسسة أخرى بنشر مجموعة أو سلسلة تحيط بكل ما وُجد من آثار هذا الإمام وحينذاك سيسهل الأمر كثيراً على الباحثين والمستفيدين. والله ولي التوفيق (المترجم).

استدراك:

لقد قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بجمع ما أمكن من مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب وطبعتها مصححة في اثني عشر مجلداً عدا الكشافات التي وقعت في ثلاثة مجلدات. وذلك بمناسبة الأسبوع الذي عقدته الجامعة عن الشيخ ودعوته في قاعة الملك فيصل للمؤتمرات بالرياض في الفترة من ٢١/ ٤ إلى نهاية ٢٧/ ٤/ ١٤٠٠هـ «الناشر».

الباب الرابع

الدعوة وحقيقتها

ألاعيب السياسة:

كان الشيخ محمد عبده (م سنة ١٣٢٣هـ) العالم المصلح في مصر الجديدة والرفيق الخاص للسيد جمال الدين الأفغاني يستعيذ بالله من السياسة ومفاسدها، وقوله معروف: «ما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته».

وهذا صحيح إلى حد كبير فإن أهل السياسة لا يفرّقون بين الحلال والحرام في سبيل البلوغ إلى غاياتهم، ولذلك فهم ينجحون في مسخ الحقائق ولو إلى حين.

إن دعوة شيخ الإسلام التي تسمى «الوهابية» ليست شيئًا جديدًا. فإنه لا يقدم شيئًا غير التعليم الصحيح للكتاب والسنة، إلا أن دعوته أسيئت سمعتها بين الناس باسم الوهابية للأغراض السياسية. وكأنها دعوة إلى دين غير الإسلام.

ومن سوء الحظ اشتركت ثلاث طوائف في التشنيع على أهل نجد، فنشبت حروب مباشرة مع الحكومة التركية والمصرية واستمرت سلسلة الحرب مدة طويلة، وحدث قتال مرة أو مرتين مع حكومة الهند أيضًا، وهكذا اشتركت الحكومات الثلاث وأتباعها بحماس شديد في هذه المهمة.

وزيادة على هذا كله اشتد غضب أشراف مكة وأنصارهم بسبب انقطاع مواردهم من الهدايا والنذور[1]. وكذلك عامة سياح أوربا من الإنجليز

(١) كانت جماعة كبيرة في مكة والمدينة تعيش على محاصيل القبور والقباب. وفي سنة ١٢١٨هـ عند الفتح السعودي انقطعت أرزاقهم فنصبوا العداء للدعوة وبدأوا ينشرون الأكاذيب في كل مكان. قال الجبرتي في حوادث صفر سنة ١٢١٨هـ: =

وغيرهم ما كان بوسعهم أن يلقوا نظرة رضى واطمئنان على هذه النهضة الدينية الصحيحة في جزيرة العرب. وملخص القول إن الدول والجماعات المختلفة لم تأل جهدًا في التشنيع على دعوة الشيخ وذمها لأغراض مختلفة. وكان من نتيجة ذلك أن الوهابية صارت شيئاً مخيفًا. وعلى أثر ذلك سُمّيت دعوة التجديد والإمامة التي قام بها السيد أحمد الشهيد البريلوي والشيخ إسماعيل الشهيد الدهلوي بالوهابية، وجُعلت كأنها دعوة خارجة عن الإسلام.

وكان من الممكن أن نلتمس الأعذار لقبول هذه التهم المفتراة في الماضي. وذلك لأن كتب أهل نجد ما كانت توجد إلا قليلاً. وإن علماء نجد أنفسهم ما كانوا يهتمون بنشر الدعوة خارج بلادهم إلا قليلاً. ولذلك كان من الممكن جدًا لأي شخص أن يحمل آراء كاذبة بصدق نية وإخلاص. ولكن اليوم إذ انتشرت كتب الشيخ وكتب تلامذته وراجت فلا يُقبل عذر الجهل وعدم العلم.

مذهبه الفقهي:

بعبارة موجزة نستطيع أن نقول إن شيخ الإسلام كان يحب أن يرى الدين في صورته الأصلية، وكان مولعًا باتباع السلف الصالح في العقائد والأعمال، وكان يتبع مذهب إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (م سنة ٢٤٦هـ)

= «حضر في صحبة الحجاج كثير من أهل مكة هروبًا من الوهابي، ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه؛ فمنهم من يجعله خارجًا وكافرًا وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم، ومنهم من يقول بخلاف ذلك لخلو غرضه» (٢/ ٥٥٨ دار الفارسي - بيروت).

في الفروع الفقهية، لكنه إذا وجد حديثًا يخالف مذهب الحنابلة فلا يمنعه مانع من العمل بذلك الحديث.

«وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة في الفروع ولا ندعي الاجتهاد. وإذا بانت لنا سنة صحيحة عن رسول الله ﷺ عملنا بها. ولا نقدم عليها قول أحد كائنًا من كان»[٢].

وإنه يستدل في بعض الأحيان بأقوال الإمام ابن تيمية والإمام ابن القيم إلا أنه لم يعلق ربقة تقليدهما في عنقه. فإنه يقتدي بابن تيمية وابن القيم حيث وافقا الكتاب والسنة حسب علمه. ولكنه يحب ذلك الإمام أو العالم لأنه يسعى إلى العمل بالكتاب والسنة على وجه تام.

«الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبهم عندنا من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة»[٣].

والحقيقة أنه في الفروع الفقهية يتبع المذهب الحنبلي إلا أنه لا يجبر الآخرين على اتباعه، فهو يطلب من الشافعي أن يكون شافعيًا ومن الحنفي أن يكون حنفيًا. إن البدع والتقاليد الواهية لم يُجزها أي إمام. ومن هو أشد من فقهاء الحنفية في تحريم الأغاني والمزامير؟ ولكن الذين ينتسبون إلى المذهب الحنفي أمام أعيننا هل تركوا شيئًا؟ وما الذي لم يرتكبوه؟ ولتوضيح مذهب الشيخ الفقهي نذكر نصًا آخر:

«ونحن أيضًا في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلّد أحد الأربعة دون الغير لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة... إلخ.

---

(٢) الهدية السنيةص ٩٩.

(٣) الهدية السنية ص٥٣.

ولا نستحق الاجتهاد المطلق ولا أحد لدينا يدعيه. إلا أننا في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذناه وتركنا المذهب كإرث الجد والأخوة فإنا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة»[٤].

العقائـــد:

إنه في باب العقائد على مذهب السلف وهو إقرار ما ورد من الصفات الإلهية في القرآن والأحاديث الصحيحة كما ورد والتسليم به. والإيمان بظاهره مع نفي الكيفية. وهذا هو مذهب السلف، فقد كانت مسألة الصفات من المسائل التي اختلف فيها علماء الإسلام، فقد نفت جماعة الصفات كلها حذراً من التشبيه والتجسيم وهو تعطيل الباري، وجماعة أخرى أثبتت الصفات فوصلت إلى التشبيه والتكييف وهذا أيضاً تعد وتجاوز عن الحد. وأما الأشاعرة المتكلمون فبدأوا يؤوّلون الآيات والأحاديث خوفًا من التعطيل والتشبيه، فقالوا إن المراد من الاستواء هو الاستيلاء وفسروا «يد الله» بالنعمة والقدرة، ويزعمون أن المراد بقوله تعالى **﴿فإنك بأعيننا﴾** الحفظ والرعاية... إلخ. ولكن السلف ومن تبعهم لا يرضون بهذه

---

(٤) تاريخ نجد للألوسي ص ٥٤، ٤٦، وصيانة الإنسان ص ٤٧١.

وقد ذكر مرغليوث فهرسًا للخلاف بين الإمام أحمد بن حنبل والشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو مملوء بالجهل. فعلى سبيل المثال يقول: إن الصلاة مع الجماعة فرض عند الشيخ وليس كذلك عند الإمام. وهل هناك دليل أوضح من هذا على الجهل؟. مقالة (الوهابية) دائرة المعارف الإسلامية.

التأويلات. فمن أين علمتم أن ما أردتم من هذه الكلمات هو ما أراده الله تعالى؟ ثم إن المتأولين قد يضطرون إلى تأويلات بعيدة في بعض الآيات والأحاديث حتى أن القارىء لا يتمالك من الضحك. وإذا راجعت كتاب (مشكل الحديث) لابن فورك (م سنة ٤٠٦هـ) تجد أمثلة كثيرة من هذا النوع الذي يتمخّض فيه الجبل ثم لا يلد إلا فأراً. وإن مسلك السلف بعيد كل البعد من هذا التكييف والتعطيل والتأويل. ومن الممكن أن يُعبَّر عن مذهب السلف بلسان ابن تيمية رحمه الله هكذا:

«ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه رسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

ومذهب السلف مذهب بين مذهبين وهدى بين ضلالتين: إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات»(٥).

وهكذا فمذهب السلف بين الإثبات والنفي، فهم لا يؤوّلون اليد والعين وغيرهما من الصفات بل يؤمنون بظاهرها مع نفيَ التمثيل. أي أنهم لا يريدون بهذه الصفات ما يراد بها إذا أضيفت إلى الإنسان. فالله هو الذي يعلم الكيف والحقيقة، وواجبنا هو الإيمان بدون أخذ ولا رد. وخير ما يُعبر به عن مسلك السلف الصالح هو قول الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة:

---

(٥) الانتقاد الرجيح على حاشية جلاء العينين ص ٤٠٣ (لصديق حسن خان رحمه الله).

«الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة[٦]» .

ومذهب السلف هذا ليس مذهب الحنابلة فقط أو الإمام ابن تيمية أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب بل هو مذهب أئمة الإسلام قاطبة. الإمساك عن التأويل مطلقًا مع نفي التشبيه. فالأئمة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ومحمد بن حسن وسعد بن معاذ المروزي وعبدالله بن المبارك وسفيان الثوري والبخاري والترمذي وأبو داود السجتاني وغيرهم، كلهم كانوا على هذا المسلك[٧] .

والإمام أبو الحسن الأشعري نفسه قد ثبت عنه الرجوع ونقل تأييده عن إمام الحرمين وكان هذا هو مذهب جميع الصحابة والتابعين. ولقد انفتح باب التأويل بعد أن راج بسوق العقليات.

الأشاعرة المتأخرون وعامة علماء المسلمين المتأخرين كان مذهبهم التأويل. وكل ما يدرس الآن باسم العقائد في المدارس هو مذهب أهل التأويل هذا. لكن هذه المعاني هي أحد احتمالات تلك الألفاظ ويمكن أن تذكر عشرات من التأويلات غير هذه، فمن أين ثبت أن تأويلكم هو نفس المراد الإلهي؟ فإن كنا لا نجزم - وحقًا لا نجزم - فلماذا نورّط أنفسنا في هذا الخطر. فالأسلم أن نعتقد ونؤمن بكل ما ورد في الشرع بلا تعطيل ولا تكييف كطريقة السلف. هذا هو رأي الصالحين الأوائل وهو نفسه طريقة أهل التوحيد والسنة المخلصين وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه أيضًا يعتقدون هذا.

---

(٦) جلاء العينين ص ٢١٢ .

(٧) جلاء العينين : ٢٢٩ .

«. . . وبالجملة فعقيدتنا في جميع الصفات الثابتة في الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة نؤمن بها ، نُمرّها كما جاءت مع إثبات حقائقها وما دلت عليه من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل»[٨] .

ومذهب السلف في باب الصفات مشهور ومعروف فحسبنا أن نقول إن شيخ الإسلام كان يعتقد عقيدة السلف . ولم يُبتل أحد في هذا الصدد بعد القرون الأولى مثل الإمام ابن تيمية (م سنة ٧٢٨هـ) فإن أفكار الأشاعرة والمتكلمين كانت قد استولت على الأدمغة وتأصّلت في الأذهان إلى حد أن الناس كانوا ينظرون إلى طريق الحق أنه طريقة الجهال وناقصي العقول . وعلى كل حال فقد كان شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب متمسكًا بمذهب السلف بكل قوة كما كان الإمام ابن تيمية رحمه الله . وللتفصيل في هذه المسألة يرجع إلى كتاب (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي) . فقد أتى المصنف الفاضل بخلاصة المسألة كلها . وقد ذكر نصوصًا من مؤلفات ابن تيمية وابن الجوزي (م سنة ٦٤٤هـ) والشيخ عبدالقادر الجيلاني (م سنة ٥٦٥هـ) والإمام أبي الحسن الأشعري (م سنة ٣٣٤هـ) .

التوحيد ومستلزماته:

لقد اهتم الشيخ اهتمامًا بالغًا في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد بل الأولى أن يقال إن كتبه كلها ليس فيها إلا التوحيد[٩] . فكانت دعوته دعوة

---

(٨) الهدية السنية ص ٩٩ .

(٩) هذا على سبيل المبالغة ، فلا شك أن الشيخ يهتم بتصحيح العقائد أكثر من أي شيء آخر ، ولكن مع ذلك فله مؤلفات عظيمة في الفقه والسيرة والحديث وغيرها (المترجم) .

التوحيد، وكان شعاره «لا إله إلا الله»، وكان يوضح معاني هذه الكلمة لكل واحد ويسعى إلى ترسيخ حقيقتها في الأذهان، ولذلك كان مُتّبعوه يدعون باسم الموحدين في بعض الأحيان. فما هو التوحيد؟

التوحيد هو إخلاص العبادة لله تعالى فقط. والأمر واضح جدًا ولكن حبائل الشيطان واسعة جدًا أيضًا. فكان يجب لإخلاص التوحيد أن يجتنب الإنسان جميع تلك الأعمال والأقوال التي يوجد فيها أدنى شبهة للشرك. وشيخ الإسلام لم يأل جهدًا في توضيح هذه الأعمال والأقوال، فقد بيّن مضراتها ومفاسدها، وحاول سد جميع الطرق التي تؤدي إلى هذه المفاسد، لكن الأمة التي كانت قد ظهرت برسالة التوحيد إلى جميع أنحاء العالم قد وضعت في شراك عبادة القبور والأضرحة وغيرها حتى أن نداء التوحيد لما قرع مسامعها أنكرته واستغربته فإذا قُدّمت إليها نصوص الكتاب والسنة أوّلتها، حتى أن زعماء التوحيد وحاملي لوائه قد استُقبلوا بشتائم «الوهابي» ومشرك وخارجي وغيرها من الشتائم الفقهية والمذهبية، فكانت جريمة شيخ الإسلام هي أنه جهر بدعوة التوحيد وأكد على الناس اجتناب الشرك وأنجاسه وذم الأوثان من دون الله ونهى عن الحلف بغير الله والنذر لغيره وعبادة القبور، بكل تصريح ووضوح، فإن كان هذا ذنبًا فيجب على كل مسلم أن يرتكب هذا الذنب بكل إخلاص.

وفيما يلي نذكر بوضوح تلك الأمور الخاصة التي تبعد عن التوحيد وتقرب إلى الشرك في رأي شيخ الإسلام وأهل السنة:

١ - دعاء غير الله في المصائب أو دعاء غيره مع الله:

فأدعياء «العقيدة» الجهال أو ناقصو الثقافة إذا دعوا غير الله في

المصائب مثل : يا رفاعي ، يا بدوي ، يا عبدالقادر ، أو كما يقولون عندنا : يا رانا بير بهور ، يا مخدوم ، يا «مخدوم منهجن» وغير ذلك . فهذا كله ليس منزهًا عن شوائب الشرك[10] . فإن جانب العبادة ظاهر في هذا النداء ، وإن كنا لا نبحث عن نية الداعي أو منزلة المدعو فمن الممكن جدًا أن لا يقصد الداعي العبادة أو الإشراك ، ولكن العبد إذا نادى مخلوقًا آخر في المصيبة وطلب منه دفعها أو جلب منفعة فهذا يخالف التوحيد تمام المخالفة . وإن دينًا كاملاً كدين الإسلام لا يوجد فيه أي مجال لمثل هذا . فالذي يذكر غير الله في المصائب لا يخلو من حالتين :

١ - إما أنه جاهل لا يعرف التعاليم الصحيحة من الكتاب والسنة ، فأتباع شيخ الإسلام يحاولون أن يوضّحوا له الطريق الصحيح ويأمرونه بأن يجتنب هذه الأمور في المستقبل .

٢ - فإن كان أحد يدعو غير الله لدفع الضرر أو جلب الخير بعد أن عرف الأحكام الشرعية فإنهم يعتبرونه مشركًا ولا يرضون بأي مجاملة أو مجاراة مع هؤلاء . ويحتجون بقول الله تعالى : **﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابو لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾** [فاطر] .

٢ - الاستغاثـــة:

أي طلب الغوث من غير الله ، فحكمه حكم دعاء غير الله . يقول

---

(١٠) ليس قصده أن هذا ليس من الشرك الذي وقع فيه من وقع وإنما مقصوده أن يتنزل مع هؤلاء في اعتقادهم ويدل على هذا آخر كلامه : «فهذا يخالف التوحيد تمام المخالفة» فإذا كان يخالف التوحيد تمام المخالفة فهو شرك صراحة» (المترجم) .

أبو يزيد البسطامي: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة لمسجون بالمسجون»[11].

وروى الطبراني عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله تعالى»[12].

وملخص القول إن الاستغاثة بغير الله سواء كان حيًا[13] أو ميتًا حرام قطعًا وينافي عقيدة التوحيد الإسلامي كل المنافاة.

٣ - التوســـــل

وكلمة التوسل تستعمل لثلاثة معان:

١ - التوسل بطاعة الرسول ﷺ. فهذا فرض ولا يكمل الإيمان إلا به.

٢ - التوسل بدعاء الرسول ﷺ وشفاعته. وهذا كان في حياته ﷺ وسيكون يوم القيامة حينما يتوجه الخلق يتوسل بشفاعة الرسول عليه الصلاة والسلام.

٣ - التوسل الذي يُتوسل فيه إلى الله تعالى بذوات الأنبياء والصالحين فهذا لم يعمل به الصحابة في حياة النبي ﷺ ولا بعد وفاته، لا عند الاستسقاء ولا غيره، لا عند القبر ولا بعيدًا عن القبر. لم يُنقل عن الصحابة أي توسل غير مشروع في أي مناسبة، توسل كأنه يحلف فيه على الله تعالى بذات رسول أو ولي. وإن الأدعية المأثورة لا يوجد فيها أي أثر لهذا التوسل.

هذه هي الصور الثلاثة للتوسل: فالصورة الأولى منها (أي التوسل

---

(١١) جلاء العينين ص ٢١٢.

(١٢) جلاء العينين ص ٣٠٣.

(١٣) الاستغاثة في الشيء المقدور عليه من الحي الحاضر لا مانع فيها ولكن مقصوده الاستغاثة الواقعة في عباد القبور الذين يستغيثون بالأموات والغائبين (المترجم).

بالإيمان برسول الله ﷺ وطاعته) مشروعة دائمًا. والصورة الثانية (أي التوسل بدعاء رسول الله ﷺ وشفاعته لا ذاته) فهذا كان نافعًا ومطلوبًا بلا شك في حياة الرسول ﷺ ومن أنكر التوسل بأحد هاتين الصورتين فهو كافر مرتد كما صرح به الإمام ابن تيمية رحمه الله. ولكن قد تعذرت الصورة الثانية بعد وفاة الرسول ﷺ وقد نقل السلام على القبور وقول: «السلام عليكم» لمخاطبة أهل القبور، ولكن طلب الدعاء من الميت أو الغائب فهذه بدعة[١٤]. ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في جمع حافل من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بدون إنكار أحد منهم:

«اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسّلنا إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا»[١٥].

فلأمر ما توسل الصحابة بالعباس رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ. ولما كان هذا التوسل بطلب الدعاء وهو متعذر بعد وفاة الرسول ﷺ توسل الفاروق بعم رسول الله ﷺ؛ أي طلب منه أن يدعو.

أما الثالثة وهي التوسل بذوات الأنبياء والصالحين أي الحلف على الله تعالى باسم الأولياء والصالحين كأن يقول أحد: «أسألك بجاه عبدك أو بحرمته» فاختلف العلماء فيه. والرواية الصحيحة عند الحنابلة أنه مكروه تحريمًا، وهو المنقول عن الإمام أبي حنيفة وغيره من فقهاء الحنفية. فالتوسل بالأنبياء أو الأولياء أو الأماكن المقدسة وطلب الدعاء بحقهم مكروه تحريمًا عند الحنفية، ويستدلون: لا حق للمخلوق على الخالق. وهذا حق واضح. وهو نفسه مذهب الإمام ابن تيمية رحمه الله، وعليه

---

(١٤) جلاء العينين ص ٢٨٤.

(١٥) مشكاة المصابيح، باب الاستسقاء.

عمل شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ومتبعيه فإنهم لا يبيحون التوسل بذات نبي أو ولي، وإنهم لم يأتوا في هذا بشيء جديد سوى أنهم طبقوا ما اتفق عليه الحنفية والحنابلة.

والشيخ عز الدين بن عبدالسلام هو الوحيد من العلماء المتقدمين من يبيح التوسل بالذات المقدسة للنبي ﷺ[16] فإن قال أحد: «اللهم إني أتوسل إليك بنبيك وحبيبك محمد ﷺ» أو: «اللهم إني أسألك بجاه صفيّك ونبيك محمد ›› فهذا جائز عنده. ولا عجب إن زل عالم مجتهد مثل عز الدين بن عبدالسلام أمام الذات المقدسة والمرتبة العليا للنبي ﷺ.

ومن المتأخرين الشوكاني (م سنة ١٢٥١ هـ) يبيح التوسل بالنبي ﷺ. أما التوسل بالأولياء والصالحين فلم يُنقل عن أحد من الأئمة. فإن حاول بعض المتأخرين تجويزه فهذا ترويج لأمر مشتبه لا أصل له وفتح لباب البدع بدون فائدة[17].

وكل ما أقصده هنا هو توضيح مذهب شيخ الإسلام وليس هذا محل نقاش فقهي، وسنذكر عدة كتب في باب المراجع تتعلق بهذا الموضوع. وكتاب (التوسل والوسيلة) للإمام ابن تيمية رحمه الله وغيره من مؤلفاته وفتاويه مملوءة من هذه المباحث. وعلى سبيل الإجمال يمكن الاستفادة من كتاب جلاء العينين (ص٢٦٩-٣١٥) للأدلة ومناقشات الجانبين.

٤ - الاستعــاذة:

من مقتضيات التوحيد أن لا يستعاذ بشيء من المخلوقين دون الله

---

(١٦) وهو أيضًا بشرط: إن صح الحديث «الدر النضيد ص ٦».

(١٧) لقد أجاز الشيخ إسماعيل الشهيد في الهند وأكثر علماء ديوبند التوسل بالأولياء والصالحين إلا أن القلب يأبى ذلك.

وأسمائه وصفاته. وبناء على هذا الأصل استدل إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله على أن القرآن كلام الله وغير مخلوق بحديث «**أعوذ بكلمات الله التامات**» أي أن كلام الله تعالى إن كان مخلوقًا يلزم أن الرسول ﷺ قد استعاذ بمخلوق حينما استعاذ بكلمات الله. ومعنى ذلك أنه كان من المسلم به إلى ذلك الزمان أن الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز. ولو لم يكن كذلك لرد عليه المخالفون. والقرآن نفسه يذم الكفار بأنهم يستعيذون بغير الله أي الجن: ﴿**وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقًا**﴾. ولذلك اعترض شيخ الإسلام على قول صاحب «البردة»:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولا شك بأن قوله: «مالي من ألوذ به سواك» لا يليق إلا بالله تعالى. وحتى الشوكاني مع تساهله في مسألة التوسل قد اعترض على هذا الشعر[١٨].

٥ - الحلف بغير الله:

إن الحلف بغير الله أيضًا ينافي كمال التوحيد، وليست هذه المسألة مما اختلف فيه بل قد اتفق عليها العلماء لكن العوام بل حتى بعض الخواص قد وقعوا في هذه البلية. وجميع بلاد المسلمين قد راج فيها الحلف بالأنبياء والأولياء حتى لو أنكرت على أحد ونهيته عن هذا يتهمك باللادينية أو على الأقل بالوهابية بدلاً من أن يمتنع عنه، مع أن الترمذي أخرج حديث رسول الله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»[١٩]، فقد سمى الحلف بغير الله

---

(١٨) الدر النضير ص ٢٩.

(١٩) تحفة الأحوذي ٥ : ١٣٥. ونص الحديث هناك هكذا: «**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**» وقال الترمذي: هذا حديث حسن. (المترجم)

شركًا. وهل هناك نهي أشد من هذا؟ ولهذا قال أبو حنيفة: «لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، وأكره أن يقول: بمعاقد العزّ من عرشك، أو بحق خلقك».

فلا يجوز عنده الحلف أو الاستغاثة بغيره أبدًا. إلا أن الإمام أبا يوسف يبيح قوله «بمعاقد العز من عرشك» لأن مالك معاقد العز في العرش هو الله سبحانه وتعالى. ولا يراد من «معقد العز من عرشك» إلا الله تعالى، ولكن الإمام أبا حنيفة يكره ذلك أيضًا. أما الدعاء بحق فلان فهو مكروه تحريمًا عند الجميع كما مر من قبل.

فدعاء غير الله والاستغاثة بغير الله والتوسل بالأنبياء والصالحين والاستعاذة بغير الله والحلف بغير الله، كل هذه الأشياء «نوع واحد» تنافي التوحيد أو كماله. ولذلك لا يمكن أن تباح هذه التوهّمات والخرافات في الدين الخالص. وكل ما ارتكب محمد بن عبدالوهاب من جريمة هو أنه نهى عن هذه المكروهات نهيًا تامًا، وقد أنقذ بذلك عامة الناس ولو في ناحية واحدة من الأرض.

٦ - زيارة القبور:

إن زيارة القبور مشروعة ولا شك بشرط أن لا تخرج عن حدود الزيارة[٢٠]. ويجوز للمسلم أن يزور قبور الأنبياء والصالحين وعامة المسلمين وحتى قبور غير المسلمين لمن أراد العبرة والعظة. وزيارة قبور المسلمين سنة وقد رغب فيها الشرع لمن أراد أن يدعو لأهل القبور.

ومحمد بن عبدالوهاب وأتباعه لا ينكرون زيارة القبور إلا أنهم يخالفون مخالفة شديدة تلك البدع التي تُفعل عند القبور. فإنهم ينكرون على الذين يستغيثون بالقبور ويطلبون من الموتى دعاء وشفاعة.

---

(٢٠) ويُقصد بها الزيارة المشروعة من غير شد رحل.

وزيارة القبور التي نراها في أيامنا ليست زيارة ولكنها ترويج لأسواق البدع والخرافات. فطلب الدعاء من صاحب القبر أو الدعاء بواسطته أو الدعاء عند القبر نفسه بقصد التقرب إلى الله كل هذه الأمور لا تجوز أبدًا، والموحدون ينكرون كل هذا.

إن الأحاديث قد نهت عن بناء المساجد على القبور وهي كثيرة مشهورة وصحيحة في هذا الباب[21] ولذلك لم يتردد أتباع محمد بن عبدالوهاب في هدمها لأنها محرمة في الشرع وقد اتُخذت هذه القبور أوثانًا بعكس ما أمر به الشارع تمامًا. وهذا منكر. فمن وجد قوة فعليه أن لا يتردد في استئصال هذه البدعة.

وأتباع محمد بن عبدالوهاب ليسوا هم الحكام المنفردين الذين اعتنوا بهدم القباب بل إنه كان من المعمول به من عصر الإمام الشافعي (سنة ١٥٠-٢٠٤هـ) أي في أواخر القرن الثاني، وقد ذكر ذلك الإمام الشافعي في كتاب (الأم) بأن الحكام كانوا يهدمون ما بني على القبور، والفقهاء لا ينتقدون عليهم، وذكر هذا القول النووي في شرح مسلم[22].

وكذلك نقله ابن حجر الهيتمي في الزواجر وذكر من أقوال الفقهاء: «وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضرّ من مسجد الضرار... إلخ»[23].

---

(٢١) للتفصيل في هذا الموضوع يرجع إلى كتاب (تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد)، للمحدث العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. فإنه من أنفس ما رأيت في هذا الموضوع. وكذلك (زيارة القبور) لابن تيمية و (شرح الصدور في تحريم رفع القبور) للشوكاني (المترجم).

(٢٢) الهدية السنية: حاشية العلامة السيد رشيد رضا (م سنة ١٣٥٣هـ) ص ٤٩.

(٢٣) الزواجر ١/ ١٦٣ مطبعة وهبة بمصر.

وبعد هذا التفصيل كله يتبين لكل بصير بأن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ما كان يدعو إلى دين جديد ولا أنه أنشأ مذهبًا فقهيًا جديدًا فهو نفسه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (م سنة ٢٤١هـ) وإن دعوته هي دعوة الكتاب والسنة فقط. فكل ما يريده هو من الأحناف أن يكونوا حنفيين خالصين ويطالب الشافعيين أيضًا بهذا. فالذي يُفعل الآن عند قبر الإمام الشافعي (م سنة ٢٠٤هـ) في مصر هل كان من الممكن أن يبيحه هو بأي صورة؟ وهكذا حال جميع الأئمة فإنهم ما كانوا يبيحون البدع ولا يتهاونون فيها ولا يمكن أن يكون هذا. فأتباع محمد بن عبدالوهاب إنما يدعون المسلمين أن ينتهوا من هذه البدع ويتركوها. والذي لا يمتنع بعد تنبيهات متكررة فإنهم يعاملونه بشدة. وشدتهم هذه في العمل توصف بعدة من الشتائم الفقهية، وعلى هذا الأساس افتُريت عليهم افتراءات لا أصل لها بمجرد الظن والقياس. ومن الصعب جدًا أن نذكر في هذا الكتاب تلك الشتائم والافتراءات التي سوَّدت مئات من الصفحات، ولكن مع ذلك فسنقدم في الصفحات الآتية نماذج من تلك الافتراءات الكاذبة.

الباب الخامس

افتراءات وأكاذيب

الوهابيــــة:

إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام تسميتها «بالوهابية» ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها دين خارج عن الإسلام. واتحد الإنجليز والأتراك والمصريون فجعلوها «شبحًا مخيفًا» بحيث كلما قامت أي حركة إسلامية في العالم الإسلامي في القرنين الماضيين ورأى الأوربيون فيها خطرًا على مصالحهم ربطوا حبالها بالوهابية النجدية؛ فالحركة السنوسية في المغرب تناقض الدعوة النجدية في الفروع الفقهية ولكن مع ذلك يقال إنها نتيجة لدعوة شيخ الإسلام. وهذا بسبب أن الحركة السنوسية ما زالت خطرًا على الطليان بسبب أعمالها في سبيل الجهاد مدة طويلة. وكذلك حركة التجديد والإمامة في الهند قد ألحقت بنجد إلحاقا تامًا حتى زعم أهلها فضلاً عن الآخرين أنهما واحدة. ولا شك أن المأخذ الأصلي (الكتاب والسنة) واحد ولكن توجد فروق واضحة في أساليب الدعوة وطرقها مع توافقهما في الأصول.

ولكن الحقيقة التي لا تُجحد أن حركة تجديد الجهاد التي قام بها السيد أحمد الشهيد (سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م) والشيخ إسماعيل الشهيد (١٢٤٦هـ) لم تتأثر أبدًا بالدعوة النجدية[1].

وعلى كل حال فنظرًا إلى تلك المحاولات التي بُذلت لإظهار الوهابية في صورة مذهب مستقل وطائفة ضالة. هذا الاسم منتقد أشد الانتقاد ولكن بغض النظر عن هذه الأكذوبة والافتراء فلا أرى حرجًا في هذه التسمية.

---

(١) يوجد تفصيل هذه المسألة في كتابي «الحركة الإسلامية الأولى في الهند» و «نظرة على أفكار الشيخ السندي».

فلو كانت النسبة إلى داعي حركة الإصلاح والتجديد محمد بن عبدالوهاب فكان ينبغي أن يقال لأصحابه «محمديون» ولكن من البديهي أن الأعداء ما كانت تتحقق غاياتهم في تسميتهم بالمحمدي. ولذلك نسبوا هذه الجماعة إلى والده وهو الشيخ عبدالوهاب وهكذا اشتهر هذا الاسم «الوهابي أو الوهابية» ثم راجت هذه النسبة حتى أن كثيرًا من المؤرخين والمترجمين نسبوا راية التجديد والإصلاح إلى عبدالوهاب. وعلى سبيل المثال يراجع كتاب برائجس (٢/ ١٣٤).

ولقد بالغ برائجس[٢] (Rrydges) في زعمه الباطل حتى كتب «إن ولد صاحب الدعوة «محمد» كان ضريرًا» (ص ١٣٤). وهذا باطل في باطل، مع أن الصواب أن الشيخ حسن[٣] بن محمد بن عبدالوهاب وهو النجل الأكبر لشيخ الإسلام كان ضريرًا. وإن «هنتر» أكبر خصوم المجاهدين في الهند أيضًا مبتلى بهذا الوهم. فإنه حينما يترجم إحدي رسائل الشيخ عبدالله ابن محمد بن عبدالوهاب يصف المصنف بأنه حفيد مؤسس الجماعة[٤].

ولم ينفرد هذان بهذا الزعم بل هناك طائفة ابتليت بالوهم نفسه. فقد ذكر «ني بور» أول السياح الأوربيين الذين تجولوا في بادية العرب - أن مؤسس الجماعة هو عبدالوهاب ويقول إن ولده «يخلفه الآن»[٥]. ومن

---

(٢) مرجع برائجس هو بركهارت وهو أيضاً يصف عبدالوهاب بأنه مؤسس الجماعة (٢/ ٩٦) بل لقد تجاوز إلى حد أنه اخترع فرعًا خاصًا في قبيلة بني تميم باسم «الوهابي» Wahaabia ص ٩٧.

(٣) توفي سنة ١٢٢٤هـ.

(٤) 1874 P. 68 (Bengal) General Asiatie Saeity

(٥) رحلة ني بور ص ١٣١، ١٣٣.

الجدير بالذكر أن «ني بور» كان موجودًا في البلاد العربية سنة ١٧٦٤م أي قبل وفاة الشيخ بثمان وعشرين سنة.

ومن أغرب الأوهام ما وقع فيه رئيس المبشرين المسيحيين الراهب «زويمر» فقد ظن الوهابية أو الوهابي دينًا أو مذهبًا مستقلا كما يشاع. ثم رأى أن الإمام ابن القيم (م سنة ٧٥١هـ) تشبه أفكاره وآراؤه الوهابيين فقال بدون تردد «إنه وهابي، ولكن يسمي نفسه حنبليًا»[٦]. ولكن المسكين لم يعرف أن اصطلاح الوهابية ما راج إلا بعد ابن القيم بأربعة قرون أو أكثر.

ولم نجد حجة قاطعة تدلنا على أول من نادى بهذا الاسم ولكن الظاهر أن المخالفين اتهموهم بهذه التسمية في حياة شيخ الإسلام نفسه. وهذا هو رأي مرغليوث[٧]. ومع أنه ليس حجة في هذا الباب إلا أن هناك قرائن أخرى تؤيد هذا[٨].

وقد ورد هذا اللفظ في قصيدة للمُلا عمران بن رضوان والغالب أنه أحد معاصري شيخ الإسلام[٩] فقد قال:

إن كان تابع أحمد متوهبًا فأنا المقر بأنني وهابي[١٠]

ومعاصر مصري آخر قد ذهب إلى هذا الرأي وأن الأعداء كانوا قد بدأوا في استعمال هذا اللقب في أيام الحروب الأولى[١١].

(٦) المقتطف ٢٧ : ٢٩٥.

(٧) مقالة «الوهابية».

(٨) وهو الذي استظهره داؤد البغدادي (م سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٢م) في كتابه (صلح الأخوان) ينظر (ص ٢١٩ Notes on Mahammedanism).

(٩) مع الأسف لم نتمكن من معرفة عصره بالتحديد مع محاولة تامة، وبعض القرائن الأخرى تدل أنه لم يكن معاصراً لشيخ الإسلام.

(١٠) الهدية السنية ص١١٠.

(١١) محمد حامد الفقي ص٥، ٦.

ولكن «ني بور» المعاصر الأوربي لشيخ الإسلام لم يستعمل اصطلاح الوهابية أصلاً[١٢]. فيظهر من هذا أن اصطلاح الوهابية لم يكن معروفا إلى ذلك الوقت (١٧٦٤م). ولكنه يسمي دعوة الشيخ بدين جديد (New Religion) مع أنه في النهاية يعبر عن «مذهب عبدالوهاب الجديد» بالمحمدية[١٣] وبعد مدة قصيرة من وفاة شيخ الإسلام نجد سائحين آخرين يتكلمان في الحركة النجدية ودعوتها وهما «علي بيك عباس باديا» (سنة ١٨٠٧م) و «بركهارت» (سنة ١٨١٤م). أما (باديا) فقد وصل إلى الحجاز قبل احتلال المصريين ومع الأسف لم توجد رحلته الأصلية حتى نعرف هل استعمل هذا الاصطلاح أم لا؟ والمقتطفات التي أتى بها (هوغارث) لا تسفر عن رأي صحيح[١٤].

وأما بركهارت فقد جاء إلى الحجاز بعد استيلاء محمد علي المصري في سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م وألف مذكرة في أخبار الوهابيين في سنة ١٨١٦م وقد نشرت هذه المذكرة فيما بعد في مجلدين باسم (مذكرات في البدو والوهابيين) (Notes on the Bedouins and the Whahhabys) (سنة ١٨٣١م) وقد أكثر من استعمال كلمة (الوهابي) فقلَّما تجد صفحة من المجلد الثاني تخلو عن هذا اللفظ. وفي أيام قريبة منه رتب عبدالرحمن الجبرتي (م سنة ١٢٣٨هـ) تاريخه وهو أيضًا يكثر من استعمال هذا الاصطلاح[١٥]. فيقول في حوادث سنة ١٢١٨هـ:

---

(١٢) وهو السائح الأوربي الأول الذي ورد البلاد العربية. يراجع باب المراجع.

(١٣) المجلد الثاني ص ١٣٣ - ١٣٥.

(١٤) ص ٧٨-٨١.

(١٥) يلاحظ المجلد الثالث ص ٢٣٢ : ٢٣٥ : ٢٥٢.

«وحضر صحبة الحاج كثير من أهل مكة هروبًا من الوهابي، ولغط الناس في خبر الوهابي واختلفوا فيه»[١٦].

ويظهر من هذا أن هذا الاصطلاح كان شائعًا أيام الغارة المصرية، والكتاب فيما بعد يذكرون هذه الجماعة باسم «الوهابي» دائمًا. وقد قلنا آنفًا إن مجرد التسمية لا حرج فيه ولكن هذا الاسم قد أشيع وكأنه مذهب خارج عن الإسلام. وهذا ما نشكو منه ولهذا أوليته عناية خاصة في صدد ذكر الافتراءات.

أول المفتريـــن:

وأول من بدأ نسبة الأكاذيب والافتراءات إلى شيخ الإسلام في حياته هو سليمان بن محمد بن سحيم[١٧] (م سنة ١١٨١هـ) وقد اتهمه بعدة أمور في رسالة متجولة في العالم الإسلامي[١٨]:

١ - هدم قبة زيد بن الخطاب في الجبيلة.

٢ - هدم مسجد عند القبر.

٣ - إحراق دلائل الخيرات وروض الرياحين.

٤ - تكفير ابن الفارض وابن عربي.

فقبور زيد وأصحابه غير معروفة أصلاً. وأما قصة إحراق دلائل الخيرات وروض الرياحين فمن الافتراءات. نعم لقد نهى الشيخ عن قراءة هذه الكتب. أما تكفير ابن عربي وابن الفارض وأمثالهم من المتصوفة

---

(١٦) عجائب الآثار ٣/ ٢٢٥.

(١٧) اسمه الكامل هو: سليمان بن محمد بن أحمد بن علي بن سحيم وكان أبوه محمد بن أحمد أيضاً من أعداء الدعوة. روضة الأفكار ١/ ٣٨. السحب الوابلة ص ٣١٣.

(١٨) وقد ذكرت هذه الرسالة بكاملها في روضة الأفكار ١/ ٤٢ - ٤٣، ١/ ٣٧.

فمنقول عن الشيخ فقد قال ابن غنام:
«وقد كفَّر الشيخ ابن عربي وابن الفارض وأمثالهما»[19].

معاصرون آخرون وشتائمهم:

وهناك معاصرون آخرون لشيخ الإسلام قد شاركوا ابن سحيم وأيدوه. إلا أن كتبهم ليس فيها إلا الشتائم والافتراءات. وقد اشتهر منهم أحمد بن علي البصري (سنة ١١٥٠هـ/ ١٧٤٤م)[20] ومحمد بن عبدالرحمن بن عفالق الأحسائي الحنبلي (سنة ١١٧٠هـ/ ١٧٥٦م)[21]، وعبدالله بن عيسى بن مويس (م سنة ١١٧٥هـ) وابن فيروز (م سنة ١٢١٦هـ)[22].

---

(١٩) روضة الأفكار ١/ ١٥٨، ١٦٧، ١٩٨.
وليس الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو المنفرد في هذا الباب فقد سبقه جهابذة العلماء ونبغاء الأئمة. ويقول البقاعي في ابن عربي: وقد صرَّح بكفر هذا الرجل ومن نحا نحوه في مثل هذه الأقوال الظاهرة من الضلال جماعة من العلماء والأعلام ومشايخ الإسلام. ويقول في ابن الفارض: فقد رماه بالزندقة بشهادة الكتب الموثوق بها نحو من أربعين عالماً هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا... إلخ. وقد ذكر البقاعي أسماء عشرات منهم ومن هؤلاء عز الدين بن عبدالسلام وتقي الدين ابن الصلاح والقسطلاني وابن دقيق العيد وابن جماعة والسبكي والذهبي وابن حجر والعيني وولي الدين العراقي وعلاء الدين البخاري وغيرهم. وإذا أراد القارىء الكريم التوسع في معرفة مفاسد هذه الطائفة ومكائدها فليرجع إلى كتاب: (مصرع التصوف) للبقاعي، بتعليق للعلامة الأستاذ عبدالرحمن الوكيل رحمه الله، وكتاب (التصوف بين الخلق والحق) للأستاذ محمد فهر شقفة، وكتاب (هذه هي الصوفية) للشيخ عبدالرحمن الوكيل (المترجم).

(٢٠) (٢١) (٢٢) لم يعرف تاريخ وفياتهم بالتحديد والسنون المذكورة هي سنو تأليف كتبهم وأن وجودهم ثابت في هذا الوقت.

ويأتي بعد هؤلاء في الدرجة الثانية: عفيف الدين عبدالله بن داؤد الزبيري الحنبلي (م سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) وأحمد عبدالله الحداد باعلوي التريمي الشافعي[٢٣] وسنذكر كتبهم في باب المراجع. وقد ذكر أكثرهم ابن غنام أيضًا[٢٤] ورد على قصيدة لابن فيروز أيضًا. أما شتائم هؤلاء فلا أجد في نفسي جرأة لذكرها ولكن مع ذلك أرجو من القارىء الكريم أن يسامحني إن ذكرت مثالاً واحدًا فقط لإظهار مروءتهم وأخلاقهم كما آمل من أهل العلم أن يعفوني.

يوجد تقريظان في كتاب (الصواعق والرعود)[٢٥] لعبدالله بن داؤد الزبيري (م سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م) أولهما هو لمحمد بن فيروز الحنبلي (م سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م) وقد كتب في ١٨ صفر سنة ١٢١٠هـ.

وفي بداية هذا التقريظ يبصر القارىء العبارة التالية ولعله يذوب حياء لمجرد رؤيتها ولكن نقل الكفر ليس بكفر فاضغط على قلبك واقرأ:

«... بل لعل الشيخ (يعني عبدالوهاب) غفل عن مواقعة أمه (يعني محمد بن عبدالوهاب) فسبقه الشيطان إليها فكان أبا هذا المارد... إلخ».

إنا لله وإنا إليه راجعون - وهل يستطيع كبار المقْذعين أن ينحطوا إلى هذا المستوى من الإقذاع؟!.

هذا مكتوب سنة ١٢١٠هـ. وفي حوادث سنة ١٢١١هـ أيضا ذكر ابن غنام منظومة لابن فيروز هذا فيقول:

---

(٢٣) لم أتمكن من معرفة سنة وفاته على الصحيح إلا أن وجوده مؤكد في القرن الثالث عشر الهجري.

(٢٤) روضة الأفكار ١/ ٢٠٩، ٢/ ٢١٤.

(٢٥) مخطوط في المكتبة الشرقية بتنة ١٢٣٨.

«وقد وصل إلينا من هاتيك الديار منظومة لابن فيروز متضمنة لأقبح العار . . . إلخ»[٢٦] ويتبين لنا من هذا أن التفحش كان من سجية هذا الرجل .

نماذج من الأكاذيب:

١ - ادعاء النبوة

إن أعداء دعوة الشيخ إذا لم يجدوا مجالاً للطعن فيه يقولون :

«لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعي النبوة إلا أنه تستر»[٢٧] .

ويردد أحمد زيني دحلان هذا الاتهام نفسه بهذه الكلمات :

«والظاهر من حال محمد بن عبدالوهاب أنه يدعي النبوة إلا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك»[٢٨] .

والغريب أن «ني بور» أيضًا اعتمد على هذه الشائعات وكتب :

«إن محمد بن عبدالوهاب كان يعظّم الرسول إلا أنه ما كان يؤمن بالوحي أو الإلهام بواسطة الملائكة»[٢٩] .

ونموذج قبيح من هذا القبيل نجده في مذكرات رافنشا (Rawensha) التي كتبها[٣٠] أثناء محاكمة الشيخ أحمد الله الصادقبوري[٣١] حينما كان حاكمًا لمديرية بتنة :

---

(٢٦) روضة الأفكار ٢ / ٢١٤ .

(٢٧) مصباح الأنام «مخطوط» الورقة ص ٥ ، ٦ .

(٢٨) الدرر السنية ص٤٦ .

(٢٩) رحلة ني بور ٢/ ١٣٤ .

(٣٠) كلكته كزت عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٦٥م ملحق ص ٤٣٧ ، ٤٤٥ .

(٣١) كان الشيخ أحمد الله الصادقبوري أحد الأفراد البارزين في بيت «صادقبور» وكان هذا البيت ذا صلة وثيقة بجماعة السيد أحمد الشهيد رحمه الله . ولقد=

«ولقد كان هذا المصلح يرى أنه لم يوجد إلهام لأي إنسان على طريق مباشر من عند الله ولم يوجد أي كتاب يمكن أن يوصف بأنه إلهامي (Divine) ويظهر من هذا أن عبدالوهاب لم يكن يرى أن ثمة ديناً إلهياً. فإنه إذ يسمي الدين المحمدي ديناً إلهيًا فليس ذلك لأنه منزَّل من عند الله بل لمجرد كماله وشموله».

ويضيف إلى ذلك: «إن المسلمين المثقفين (المحمديين) قد استُقبلوا بحرارة في البدو الذين لم يسلّموا أبدًا بأن محمدًا رجل مصطفى (Divine) ولم يؤمنوا بالقرآن بأنه كتاب إلهي».

ومذكرة هذا الرجل الذي كان يحكم مديريتنا في سنة ١٨٦٥م مليئة من مثل هذه الجهالات. وكذلك لقد تفضل «المحسن المعروف» على مجاهدي الهند «سير وليام ولسون هنتر» (W. W. Hunter) بمثل هذه الكلمات حيث قال في موضع آخر من كتابه[٣٢]:

«لم يؤمن البدو في يوم من الأيام بأن محمدًا رجل إلهي ولا أن القرآن كتاب إلهي... إلخ»[٣٣].

ولعله استقى هذه الأفكار من مذكرات رافنشا نفسه، ومن الممكن أن يكون كل منهما قد أخذ من رحلة (ني بور) لأن أوربا أول ما عرفت هذه الجماعة عرفت عن طريقها.

= حوكم بتهمة مؤامرة سنة ١٨٦٥م/ ١٢١٨هـ وعوقب بالنفي والسجن المؤبد من المحكمة العليا. فبقي منفيًا في جزر انديمان سبع عشرة سنة، وتوفي هناك في ذي الحجة سنة ١٢٩٨هـ (نوفمبر سنة ١٨٨١م) وللتفصيل يراجع كتابي: (الحركة الإسلامية الأولى في الهند).

(٣٢) The Indian Muosalmans ص ٥٥، ٥٦.

(٣٣) مصباح الأنام ورقة ٥، ٦.

٢ - إنكار الحديث:

إن الزمان لغريب وإن نوادره لعجيبة. فالرجل الذي يقوم ويقعد وينام تحت ظل ظليل من سنة الرسول ﷺ وكأنها هي غطاؤه وفراشه يُتهم بإنكار الحديث. والفضل في هذا الافتراء يرجع إلى مصنف (مصباح الأنام) أحمد عبدالله الحداد باعلوي[٣٤].

وأعجب من ذلك أن هذا الاتهام الذي لا أصل له قد ردده كاتب معروف في بلادنا (وهو عبدالله يوسف علي) في هذا القرن العشرين.

«... وكان - كرامت علي - يؤمن بالأحاديث وقد رفضها الوهابيون. وأنه مؤيد للعقائد الصوفية القديمة»[٣٥].

وهذا مبلغ معرفة مترجمنا للقرآن الكريم عن جماعة إسلامية. ولكن تعالوا معنا نقصُّ عليكم بيانًا لراهب متعصب للمقارنة والعبرة، فيقول هيوجز (Thomas Petric Huges) مقارنًا بين الوهابية والبروتستانت:

---

(٣٤) وهذا أمر لا ينحصر في هذا الرجل فقط بل عامة المثقفين والعلماء في بلادنا مبتلون بهذا. فلا يزالون يكتبون أمثال هذه الكلمات المكذوبة على هذه الجماعة وقد سبقهم المولوي فضل رسول بدايوني (م سنة ١٢٩٨/ ١٨١٢) فقد كتب كتاباً يسمى (تصحيح المسائل درترديد فرقة نجدية أراذل) أي تصحيح المسائل في الرد على الفرقة النجدية الأراذل) ولكنه مجموعة خرافات ليس إلا. وكذلك معاصر آخر في كتابه (آثار جمال الدين) يذكر في حق هذه الجماعة أموراً لا أصل لها. (ص٢٣٦، ٢٣٧) فبيانه المشتمل على صفحتين مجموعة مؤلمة من الأخطاء والفهم السيء حتى أنه لا يفرق بين عقيدة السنوسيين والوهابية النجديين، ص ٢٣٩.

(٣٥) إنكريزي عهد مين هندوستان كي تمدن كي تاريخ (تاريخ الحضارة الهندية في عهد الإنجليز) ص ١٩٢.

«إن الوهابية قد توصف في بعض الأحيان بأنها فرقة بروتستنتية في الإسلام. . ولكن البَوْن بينهما شاسع؛ فالبروتستنتية المسيحية ترى من الواجب رفض التعليمات التقليدية مع اعترافها بمرتبة الكتب الإلهامية المقدسة، وعلى عكس من ذلك فإن الوهابية تتمسك بالأحاديث أيضًا مع القرآن[٣٦]».

تكفير المسلمين وقتالهم:

ومن الاتهامات التي يتهم بها شيخ الإسلام وأتباعه أنهم يكفرون جميع أهل القبلة ويستبيحون قتل المسلمين، وقد رُدّد هذا الاتهام في أوقات مختلفة مرات وكرات حتى أشيع في حياة الشيخ نفسه وقد أنكر ذلك إنكارًا واضحًا صريحًا:

«وإذا كنا لا نُكفّر من عبد الصنم الذي على قبة عبدالقادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر. . . سبحانك هذا بهتان عظيم»[٣٧].

ولكن مع هذا النفي الواضح الصريح فلا يزال يُردَّد هذا الافتراء بين حين وآن مع زيادات أخرى، وإليك بعض الأمثلة:

قال ابن عابدين الشامي (م سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م) في حاشيته المشهورة رد المحتار:

«كما وقع في زماننا في أتباع عبدالوهاب(؟) الذين خرجوا من نجد

---

(٣٦) Dictionary of Islam ص ٦٦١.

(٣٧) روضة الأفكار ص ٤٧٩، بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد (المترجم).

وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم . . . إلخ»[٣٨] .

أما أحمد زيني دحلان (م سنة ١٢٠٤هـ/ ١٨٨٦م) فكأنه يتقرب إلى الله بعداء هذه الجماعة، وقد ردد هذا الاتهام مرات عديدة[٣٩] .

والعالم السلفي المشهور في بلادنا النواب صديق حسن خان (م سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م) أيضًا لم يصل إلى حكم قاطع في هذه الجماعة ولذلك توجد بيانات معقدة في كتبه المختلفة[٤٠] إلا أن كلامه طيب وأقرب إلى الحقيقة في (إتحاف النبلاء) ولكن مع ذلك فتهمة التكفير[٤١] غير المشروط لم تزل باقية فيه[٤٢] .

---

(٣٨) رد المحتار ٣/ ٣٠٩ .

(٣٩) الدرر السنية ص ٤٥ ، ٤٦ ، وخلاصة الكلام ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

(٤٠) ترجمان وهابية، هداية اسائل، موائد العوائد، التاج المكلل وغيرها .

(٤١) إتحاف النبلاء ص ٤١٣ .

(٤٢) لم يفصل المؤلف رحمه الله الكلام في موقف صديق حسن خان رحمه الله في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وإذا أردنا أن نفهم ذلك يجب أن تكون المقدمات التالية على بالنا :

١ - عاش صديق حسن خان في مدة بين ١٢٤٨-١٣٠٧هـ. وفي هذه المدة كانت الدول المحاربة قد استولت على نجد وجميع ملحقاتها وكانت الدعاية والافتراءات قائمة على قدم وساق في جميع العالم الإسلامي على أهل نجد حتى كان من الصعب جداً أن يتصدى المرء للدفاع عنها جهاراً وعيانا، حتى أن كتاب (صيانة الإنسان) لما طبع لأول مرة لم ينشر باسم مؤلفه .

٢ - كانت القوة الحربية للمجاهدين في الهند قد تشتَّتت في سنة ١٢٤٦هـ في معركة بالأكوت أي قبل ولادة صديق حسن خان بسنتين ولكن سلسلة التعذيب=

وكذلك العالم اليمني المحقق المعروف القاضي محمد بن علي الشوكاني (م سنة ١٢٥٠هـ) - فضلاً عن الآخرين - لم يتمكن من معرفة صحيحة لمذهب أهل نجد في هذا الباب وهو نفسه يشكو هذا :

= والتشريد والنفي والقتل كانت مستمرة وبكل شدة في المدة التي عاشها صديق حسن رحمه الله . حتى أن كل من رفع يديه في الصلاة أو جهر بآمين كان معرضًا لأشد أنواع الأذى لأنه وهابي .

٣ - كان صديق حسن خان رحمه الله قد بلغ رتبة عالية في أمور الدنيا مع منزلته العليا في العلم والتقى وهذا لم يُرق الأعداء المخالفين فكانوا يتربصون به الدوائر يتملقون لدى المستعمرين البريطانيين يتمنون إقصاءه من منصبه، وكانت جريمته التي وَشَوا بها لدى المستعمرين بأنه ينشر المذهب الوهابي وأنه يريد أن ينظم حركة الجهاد الإسلامي . وما أحسنها من جريمة .

ومن هنا نعلم أن صديق حسن خان رحمه الله لم يكن في موقف يستطيع أن يدافع عن هذه الدعوة كما تمكن من أتى بعده . فكان الشغل الشاغل لدى صديق حسن خان كغيره من زعماء الموحدين في الهند في ذلك الوقت هو الدفاع عن أرواح الموحدين في الهند وأموالهم وأعراضهم الذين كانوا يؤخذون بجريمة «الوهابية» يقتلون وينفون ويشردون . ولذلك فالأمر الغالب في كتاباته وكثير من علماء أهل الحديث في ذلك الوقت هو بيان أن الموحدين في الهند ليست لهم صلة مع أهل نجد، وهم كانوا على حق في ذلك، فالموحدون في الهند لم يتعلموا عقيدتهم من أهل نجد ولكنهم تعلموها من الكتاب والسنة فالتقوا مع أهل نجد ومع غيرهم على جادة الحق وصراط الهدى .

ولكن مع ذلك لم ينحرف رحمه الله عن العدل والإنصاف بل دافع عن دعوة نجد وأبرزها في كل مناسبة . فلقد ألف عدة كتب في تراجم النبغاء من المحدثين والفقهاء والدعاة وأورد ترجمة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كل هذه الكتب وبتفصيل . وأسلوبه في كتاباته أنه يأتي بنقول المخالفين ثم يتبع بنقول من المؤيدين وهكذا يبين الحق للناظر والبصير . وما ذكره المؤلف رحمه الله أن اتهام التكفير =

«. . . ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلاً تحت دولة صاحب نجد

= والتجارى على قتل النفوس ما زال باقيا في كتابه (إتحاف النبلاء) هو من هذا القبيل. فقد أتى ذلك في كلام محمد بن ناصر الحازمي من رسالته (فتح المنان) ولكنه سرعان ما أتبع ذلك بكلام الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب في الرد على ذلك. وهذا دفاع مجيد وأسلوب حسن في زمن لا يُسمع فيه إلا التهم. وإلا فكيف يقال فيمن عيّن مؤلف (صيانة الإنسان) مشرفاً على شؤون التعليم في بلاده وأجاز الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بأنه لم يعرف الدعوة حق المعرفة. وللدلالة على ما قلنا نورد نماذج من كتابه (إتحاف النبلاء) نفسه مترجماً بالعربية.

لقد ذكر رحمه الله أولاً كلاماً طويلاً من كتاب (فتح المنان) ثم أتى بعد ذلك فقال: «وكثير من أهل العلم الذين لا يعرفون حاله - يعني الشيخ محمد بن عبدالوهاب - حق المعرفة أو يعرفون ولكن غلب عليهم التعصب والهوى يكفّرونه ويضللونه بدون حجة أو برهان من كتاب ولا سنة. ويتهمون كل موحد ومتبع بأنه من أتباعه. مع أن الواقع أن دعوته لم تتجاوز حدود اليمن والحجاز ولا أحد من علماء الهند من ذلك الوقت إلى هذه الأيام تتلمذ عليهم ولا درس كتبهم ولا انتشرت مؤلفاته في هذه البلاد. وبعد هذا كله فالزعم بأن الموحدين والمتبعين في هذا البلد من أتباعه أو على عقيدته ظلم واعتداء على الحق والإنصاف. وهؤلاء لا يعرفون أن أحداً من الخلق لم يتعبّد بأقواله وأفعاله ولا غيره من العلماء والفقهاء، ولكنهم كلهم متعبّدون باتباع القرآن الكريم وسنن الرسول الرحيم سواء خالف أحداً أو وافق».

ثم أتى بكلام ابن عابدين الذي مر قريباً في الكتاب وعلق عليه:

«وفي هذا الكلام وَهْمٌ حيث إن اسمه محمد بن عبدالوهاب وليس عبدالوهاب. ومن هنا كان الواجب أن يقال في النسبة إليه (محمدي) لا (وهابي) وهكذا بين أن كلامه لم يصدر بعد تحري الحقائق وتحقيقها، ثم أورد كلاماً طويلاً من رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب التي ألفها لأهل مكة ورد فيها على التهم والأكاذيب، وعقب عليه بقوله: =

وممتثلاً لأوامره خارج عن الإسلام وتبلغ عنهم أشياء الله أعلم بصحتها»[٤٣].

ثم بعد قليل خالفه في قتاله لمن يترك صلاة الجماعة إلا أنه يبيح تكفير من يترك الصلاة[٤٤].

= «ومن هنا تبيّن ضعف تقرير ابن عابدين. حيث إنه قد اتُهم في حياته بهذه التهمة فتبرأ منها وأنكرها. فليس من الإنصاف أن يتهم بأنه أحدث ديناً جديداً أو مذهباً غير سديد. وكذلك لا يصح زعم أن كل من نهى عن الشرك والبدعة فهو من أتباعه» إتحاف النبلاء المتقين بإحياء مآثر الفقهاء والمحدثين ص ٤١٣ وما بعدها: المقصد الثاني في ذكر أكابر المحدثين).

فأنت ترى أيها القارىء الكريم بأن هذا كلام في غاية الصحة والإنصاف. ولا نطيل الكلام بذكر نصوص أخرى، والله أعلم (المترجم).

(٤٣) البدر الطالع ٢/ ٥.

(٤٤) المرجع السابق.

لقد كتب الإمام الشوكاني كتابه (البدر الطالع) أيام كانت الحروب قائمة على قدم وساق بين الأمير عبدالعزيز بن سعود والشريف غالب وليس من الغريب في هذه الأحوال أن تشتد الحرب النفسية وتكثر الدعايات والشائعات وخاصة على أهل نجد فقد امتلأت الدنيا بالافتراءات والأكاذيب التي نُسبت إليهم، وليس من الغريب أيضاً أن تبلغ هذه الشائعات بلاد اليمن المجاورة ويبلغ إلى الشوكاني ما لم يعلم صحته ولكن مع ذلك نرى الإمام الشوكاني يتلمس الحقائق ويتنسم عطور العقيدة الإسلامية والتوحيد الخالص، والفضل في ذلك راجع إلى ما أعطاه الله من الحظ الوافر في علوم الكتاب والسنة النبوية. ونرى هذا واضحاً في تعليقاته على بعض هذه الأخبار فيقول: «ولقد رأيت كتابًا من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات أجاب بعض أهل العلم وقد كاتبه رسالة في بيان ما يعتقد فرأيت جوابه مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة فالله أعلم بحقيقة الحال» ٢/ ٧.

ثم قال بعد ذلك: «وفي سنة ١٢١٥هـ وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان=

فإذا اتهم الأعداء أهل نجد بتكفير أهل القبلة فلهم نوع من الشبهة ويمكن التباس الأمر على من ليس له باع طويل في العلم. ونحن نذكر الآن مذهب أهل نجد بلسانهم وهو ليس بمذهب جديد ولكنه المذهب المشهور للحنابلة(٤٥) والظاهري.

كان الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان المعمر النجدي (م سنة ١٢٢٥هـ) أحد تلامذة شيخ الإسلام قد عرض ثلاث مسائل على علماء الحرم الشريف في سنة ١٢١١هـ وإليكم ملخص المسألة الثانية منها بلسانه:

«أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو يقيم على شركه

= أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله... وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة».

كل هذا التحفظ والتوقف كان في بداية الأمر ولكن سرعان ما تبددت الظلمات وانقشعت سحب الشائعات والافتراءات، وأدرك الإمام الشوكاني أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كل همه أن يعلي كلمة الإسلام ويطبقه في المسلمين عقيدة وشريعة وسياسة، ونرى أثر هذا واضحاً جلياً في تلك القصيدة البليغة التي قالها الشوكاني حينما بلغه خبر وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وما أحسن ما قال:

لقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز أدوار الفحول الأفاضل
وماتت علوم الدين طُرا بموته ... وغيب وجه الحق تحت الجنادل
إمام الهدى ماحي الردى قامع العدا ... ومروى الصدى من فيض علم ونائل
إمام الورى علامة العصر قد وتى ... وشيخ الشيوخ الجد فرد الفضائل

(٤٥) الشيخ رحمه الله لم يقل بتكفير من دعا غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله - مثلاً - على أساس أنه مذهب لأي طائفة بل إنما قال به لدلالة النصوص القطعية من الكتاب والسنة عليه (الناشر).

يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات، فهذا كافر مشرك حلال الدم والمال وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم».

وفي هذه الرسالة أجاز ابن معمر النجدي قتال من ترك الصلاة كسلاً ونقل الإجماع من الأئمة ما عدا الزهري وأبا حنيفة[٤٦]. ولا يتسع المجال للتفصيل في هذه المسأله إلا أنه هو المذهب المعروف للحنابلة وعليه عمل أهل نجد فإن كفر تارك الصلاة محقق عندهم[٤٧].

ومن لا يصلّ فهو لا شك كافر　　كما قاله المعصوم أكمل سيد

وتأتي مسألة عباد القبور بعد تاركي الصلاة وقد سبق الشيخ في تكفيرهم معاصرُه ومؤيده في رأيه محمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني (م سنة ١١٨٢هـ) فإنه لا يفرق البتة بين عباد الأصنام وعباد القبور[٤٨] وذكر الشوكاني رجوعه وخالف هذا التشديد على عباد القبور[٤٩]

---

(٤٦) «الإجماع على تاركي الصلاة كسلاً بخلاف أبي حنيفة والزهري» وللتفصيل يراجع: الهدية السنية ص٦٩، ٨٦.

(٤٧) الهدية السنية ص ١٠٥.

(٤٨) تطهير الاعتقاد ص ١٢.

(٤٩) الدر النضيد ص ٣٤، ٣٥.

هذه ترجمة لما وجدته في نص الكتاب المطبوع باللغة الأردية في باكستان عام ١٣٩٥هـ وليس لدي الآن نسخة أخرى منه. ويبدو لي أن هنا شيئًا من الاختلال أو التحريف في العبارة. فالشوكاني حينما ذكر الرجوع المنسوب إلى الصنعاني في كتابه (الدر النضيد) أعقبه برد علمي بليغ مدعم بأدلة صريحة من الكتاب والسنة. والشوكاني أيضاً يرى ما رآه شيخ الإسلام رحمه الله وهو رأي مبني=

وقد نفى سليمان بن سحمان هذا الرجوع نفيًا قاطعًا وهذا هو الأقرب إلى القياس[٥٠] فشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب يوافق الأمير الصنعاني في رأيه إلا أنه يشترط إتمام الحجة ولذلك لا يكفّر جميعهم.

ومن جملة هذه الأكاذيب... ما ذكره أن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يسفك الدماء وينهب الأموال ويتجارى على قتل النفوس... وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار. وهذا كله كذب[٥١].

فأهل نجد ينفون اتهام التكفير العام نفيًا قاطعًا، وأما بعد إتمام الحجة والتبليغ فيظهر أنهم يقولون بالتكفير والقتال:

«فلم يكفر رحمه الله إلا عباد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم ممن أشرك بالله وجعل له أندادًا بعد إقامة الحجة ووضوح المحجة وبعد أن بدأوه بالقتال، فحينئذ قاتلهم وسفك دماءهم ونهب أموالهم، ومعه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة»[٥٢].

وهنا عذر آخر زائد على إقامة الحجة وهو أن الأعداء هم بدأوا القتال.

وفي موضع آخر ذكر من أقوال الشيخ:

«فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الأولياء والصالحين، نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية»[٥٣].

ومن هذه المقتطفات تبيَّن لنا أن الشيخ وأتباعه يشترطون الإبلاغ

= على أدلة واضحة من الكتاب والسنة كما ذكره المؤلف في باب حقيقة الدعوة. إذن فلا يمكن أن يسمى ذلك تشديداً، والله أعلم (المترجم).

(٥٠) تبرئة الشيخين الإمامين ص ٨٢، ٨٣.

(٥١) تبرئة الشيخين الإمامين ص ٨٥.

(٥٢) تبرئة الشيخين الإمامين ص٨٦.

(٥٣) الهدية السنية.

وإقامة الحجة قبل التكفير والقتال، ولذلك نجدهم ينفون اتهام التكفير العام أشد النفي. نعم إنهم لا يرون عبادة القبور والأعمال الشركية الظاهرة كفرًا عمليًا فقط كما جرت عادة الناس التفريق بين الكفر العملي والكفر الاعتقادي(٥٤). فهؤلاء يرون أن توحيد الربوبية وحده لا يكفي بل لا بد من توحيد الألوهية أيضًا وهو شرط أساسي ولازم للإسلام ولا يمكن النجاة بمجرد الإيمان بأن الله هو الخالق والمدبر للكون، فقد كان أهل الجاهلية أيضًا يؤمنون بتوحيد الربوبية ولكنهم كانوا يشركون في الألوهية، ولذلك كانوا يسمون كل ما كانوا يعبدونه من الحجر والشجر (إلهًا) أما المشركون والجاهلون في هذا الزمان فإنهم احترزوا من تسمية غير الآلهة إلهًا. ولكنهم أعطوهم جميع حقوق الألوهية ومستلزماتها كالنذر لهم ودعائهم والطواف حول قبورهم والذبح لهم وغيرها. وسموها باسم التوسل والاستشفاع، ولكن الحقائق لا تتغير بتغيير الأسماء(٥٥).

---

(٥٤) وذكرت مجلة إشاعة السنة (العدد الخامس من المجلد السادس سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م) «أهل الحديث في الهند يخالفون وهابية نجد في هذا التكفير والقتال: ص٢١٧». وقد أكد على هذا السيد صديق حسن خان في (موائد العوائد) إلا أن أسلوبه معقد وبسبب اعتماده على كتاب الكولونيل فنديك (المرآة الوضية في الكرة الأرضية) كتب بعض الأشياء خطأ مما لا تصح نسبتها إلى أهل نجد(المؤلف) (راجع التعليق ص ٢١١. المترجم).

(٥٥) لقد كتب المرحوم العلامة السيد رشيد رضا كلاماً طيباً في موضع من حواشيه على تبرئة الشيخين الإمامين فقال:

«السبب الصحيح لتسمية عرب الجاهلية كل شيء مما ذُكر إلهاً هو أنهم أهل اللغة. وهذا معنى الإله في لغتهم للاشتراط في مفهوم لفظ الإله في اللغة العربية أن يكون هو الخالق والمدبر للخلق بل هذا يدخل في مفهوم اسم الله، ولذلك دعاهم =

هذا هو ملخص مذهب الشيخ، وكتب الجماعة توضح هذه المسائل أكمل توضيح؛ فكتاب (تبرئة الشيخين الإمامين) لسليمان بن سحمان خُصّص لهذا (٨٢-١٢٥) وسنذكر كتبًا أخرى في باب المراجع، وللتفصيل ينبغي الرجوع إليها. وينبغي أن نرسّخ في أذهاننا أمرًا واحدًا فقط وهو أن أهل نجد لا يكفّرون مسلمي العالم تكفيرًا عامًا بل يكفرون فقط أولئك الذين يرتكبون أعمالا شركية ولا ينتهون عن غيّهم حتى بعد الدعوة والتبليغ ويبيحون قتال هؤلاء. وقد ردد الشيخ هذه الحقيقة أكثر من مرة في كتبه واستدل على ذلك بقتال أبي بكر رضي الله عنه مانعي الزكاة[٥٦].

فالأقوال والمقتطفات التي مرت معنا تنفي التكفير العام إذا نفت وإذا أثبتت فهو يتعلق بالذين يصرون على الأعمال الشركية بعد إقامة الحجة والتبليغ أيضًا.

فإذا وُجه الاتهام وذكرت غاياته فالإنسان يستطيع أن يفكر في الأمر ومن الممكن جدا أن تُبذل جهود لإزالة سوء التفاهم ولكن إزاء مجرد الظن

= الرسول كما دعا سائر الرسل أقوامهم **﴿أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾**. وأما جهلة المسلمين الذين اتخذوا آلهة مع الله تعالى فلم يسموها آلهة لجهلهم باللغة كجهلهم بالشرع، فظنوا أن الإسلام إنما ينهى عن تسمية غير الله إلهاً. وأما عبادة غيره كدعاء الموتى والنذر لهم وتقريب القرابين والطواف بقبورهم وغير ذلك فلا ينافي التوحيد عندهم إذا سُمى توسلاً أو استشفاعاً مثلاً. وقد ينكرون كون أعمالهم هذه تسمى عبادة لجهلهم باللغة والشرع وبالتاريخ أيضاً. . . ولذلك قلت منذ أكثر من ربع قرن إن مشركي المسلمين الجغرافيين قد جنَوا على الدين واللغة العربية ومشركي الجاهلية حافظوا على لغتهم فسموا كل شيء باسمه لأنهم أهل اللغة - ص ١٤ - الطبعة الأولى مطبعة المنار».

(٥٦) القواعد الأربعة. روضة الأفكار ١/ ١٣٧، ١٣٥، ٢/ ٣٢.

السوء بدون مسوّغ والافتراء بدون أساس لا نملك سوى أن نظهر أسفنا على هذا. وقد تألمنا ألمًا عظيمًا حينما رأينا بعض العلماء المعروفين في بلادنا يحملون آراء عجيبة وغريبة حتى في هذا العصر. فقول عالم مثل الشيخ أنور شاه الكشميري (م سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م) في الشيخ: «أما محمد بن عبدالوهاب النجدي فإنه كان رجلاً بليدًا قليل العلم فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر»[٥٧].

مؤلم ومؤسف إلى أقصى الحد. وإني لأتحير كيف تجرأ الشيخ أنور شاه أن يقول لمؤلف كتاب التوحيد بأنه: «بليد وقليل العلم»؟!.

أكاذيب مختلفة:

لقد نُسبت أمور لا أساس لها إلى الشيخ وأتباعه من أول يوم. وقد رد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب على افتراءات كثيرة من هذا النوع في رسالته التي كتبها لأهل مكة في سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م[٥٨].

«وأما ما يكذب علينا سترًا للحق بأنا نفسر القرآن برأينا ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا... وأنا نضع من رتبة نبينا ﷺ بقولنا: النبي رمة في قبره وعصا أحدنا أنفع منه، وليس له شفاعة، وأن زيارته غير مندوبة... وأنا مجسّمة وأنا نكفّر الناس على الإطلاق... فجميع هذه الخرافات وأشباهها... كان جوابنا في كل مسألة من ذلك سبحانك هذا بهتان عظيم»[٥٩].

---

(٥٧) فيض الباري ١/ ١٧١.

(٥٨) لقد ذكر هذا الجزء بكامله الألوسي في تاريخ نجد (ص٤٥ - ٤٩) والسيد صديق حسن خان في إتحاف النبلاء (ص٤١٤-٤١٦).

(٥٩) الهدية السنية ص ٤٦.

هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ:

ومما افتره الأعداء من التهم المكذوبة أن سعود بن عبدالعزيز بن محمد ابن سعود (سنة ١٢١٨هـ - سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) كان هدم القبة المبنية على القبر النبوي. والغريب أن المؤرخين الأوربيين يتلذذون بذكر هذه الأسطورة الباطلة. فنرى ستودارد «حاضر ١ : ٦٤» وهيوجز (ذكشنري أوف إسلام ص ٦٦٠) وزويمر (ص ١٩٥) وبلنت (مستقبل الإسلام ص ٤٥) ومرغليوث (دائرة معارف الأديان والأخلاق ٢/ ٦٦١) وجماعة أخرى غيرهم يرددون هذه التهمة المكذوبة بكل مناسبة وبدون مناسبة مع أنها باطلة أصلا ومفتراة قطعًا. فأهل نجد مهما كانت آراؤهم في بنائها[٦٠] إلا أنهم لم يلقوا نظرة سوء على قبر الرسول في يوم من الأيام. فنجدهم يفرحون بذكر هدم القباب الأخرى وتوزيع الأموال المخصصة لها، وهم يعترفون بكل ما ينسب إليهم في هذا. ولكن تهمة هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ فرْية محضة وأسطورة لا أساس لها، ولم يستطع برائجس الذي كان قد سكن بغداد والبصرة أيام ازدهار أهل نجد أن يصدق هذه الافتراءات إلا أنه لم يمتنع من اتهام أهل نجد في نيتهم. فقال:

«لقد أراد - يعني سعود بن عبدالعزيز - أن يهدم القبة إلا أنه لم يتمكن من ذلك لأن القبة كانت محكمة أو أن آلات الهدم ما كانت ميسرة له، وهكذا بقيت محفوظة».

---

(٦٠) لقد اكتفى بركهارت شيخ برائجس وأستاذه - وأحياناً يأخذ منه برائجس حرفيا - بقوله: «إنه حاول هدم القبة العليا في المقبرة أيضاً» (Destroy) ٢/ ١٩٩. ولعل برائجس أراد التحشية عليه. ولكن هذا الخبر من بركهارت غلط يقيناً. فإنه بنفسه يقول بعد قليل: «إن القبر لم يصبه سوء» ٢/ ١٠٩، ١١٠.

وصاحبنا برائجس هذا سنعرفه وقيمة أقواله في الباب الآتي ويكفي أن أذكر هنا أنه كان قد وصل إلى البصرة ١٧٨٤م وقامت له صلات بالعالم العربي في حياة شيخ الإسلام وبقيت مدة طويلة في صور مختلفة.

شهادة إنجليزي خبير:

هناك أكوام من الافتراءات والأكاذيب ولا يمكن إزالتها فلذلك نأتي إلى نهاية هذا الكلام بتقرير من برائجس وقد نفى فيه هذه التهم كلها:

«لقد أشاع الباب العالي أنه - أي سعود بن عبدالعزيز - نهى الناس عن زيارة المدينة. إلا أن هذا ليس بصحيح فإنه نهى فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة كما نهى عنها عند قبور الأولياء الآخرين.

بعض الجهال يرونهم كفارًا. وقد اعتمد الأتراك على الشائعات وروَّجها الأشراف إلا أن الحقيقة أنهم متبعون تمامًا للقرآن والسنة وكانت حركتهم تطهيرية خالصة (Puritanism) في الإسلام[٦١].

لقد كتب فرنسي أحمق في سنة ١٨٠٨م بأنه أنشأ مذهبًا جديدًا ونسخ الحج ويدعي أنه سمعه من رجل مقرب إلى سعود. وكل هذا كذب فإن الوهابيين يعتقدون أن السنة أمر أساسي مع القرآن (Fundameeter) ولكنهم يرون الأنبياء والأولياء بشرًا. وما أعلنه سعود بعد فتح مكة يسلم الآن بأنه موافق الكتاب والسنة، والتدخين ممنوع عند المالكية وهم أيضًا نهوا عنه!. أما خبر تحريم القهوة فغلط محض. والأتراك أشاعوها دعاية.

---

(٦١) المرجع السابق.

ويجب على هذا الفرنسي الأحمق[٦٢] الذي ذكر نسخ الحج أن يعرف أن سعودًا نهى عن التقاليد القبيحة في الحج وأن أول عمل عمله هو بعد دخوله مكة هو الطواف والعمرة»[٦٣].

افتـــراء عجيـــب:

لقد ذُكرت قصة خيالية بلسان شيخ بدوي في كتاب (الأئمة والسادة) في عمان (Emams and Sayads of Oman) لسليل بن رازق، وهي: «أن الوهابيين يملكون ذلك الجزء الذي كان عثمان رضي الله عنه حذفه عن مصحفه[٦٤] والعجيب أن المترجم نفسه يضعف هذه الرواية[٦٥] ولعل هذا هو السبب في أن أحدًا لم يرددها. ولكني ذكرت هنا لكشف الستار عن الأعمال التافهة والافتراءات الجنونية من الأعداء. والذين يستطيعون أن ينحطُّوا إلى هذا المستوى من الكذب والافتراء لا يُرجى منهم أي خير».

---

(٦٢) ألف Roussau في سنة ١٨٠٨م الكتابين التاليين وقد اتهم فيهما الوهابيين بأنهم يمنعون من الحج:

1. Pasbalike de Baghded

2. A Memoris in the Min de, Ioriont

(٦٣) برائجس ص ١٠٦، ١١٤ وبركهارت ٢ / ٢٠٠، ٢١٥.

(٦٤) الكتاب المذكور ص ٢٥١، ٢٥٣.

(٦٥) الكتاب المذكور «حاشية» ص ٢٥٢، ٢٥٣.

الباب السادس

نظرة في المراجع

المراجع التاريخية

١ - روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وغزوات ذوي الإسلام لحسين بن غنام الأحسائي (م سنة ١٢٢٥هـ):

وهو أوثق كتاب في سيرة الشيخ لأن المصنف هو تلميذه وقد شهد جميع الحوادث وعاصرها. والكتاب يقع في مجلدين. ذكر في المجلد الأول سيرة الشيخ ودعوته وكذلك الرسائل التي كتبها في سبيل ذلك. حتى أن بعض الرسائل الطويلة قد ذكرت بكاملها. ويشتمل المجلد الثاني على تاريخ الحروب والحوادث المختلفة. وترتيب الكتاب باعتبار السنين يبتدىء من سنة ١١٦٠هـ وينتهي في سنة ١٢١٢هـ.

طبع في المطبعة المصطفوية في بومبائي سنة ١٣٣٧هـ ولكنه الآن معدوم تقريبًا[1] حتى أن بروكلمان أيضًا لم يطلع على هذه النسخة المطبوعة. وتوجد نسخة مخطوطة جيدة في مكتبة ندوة العلماء بلكناؤ. وقد تمكنت من الحصول على النسخة المطبوعة من السادة شرف الدين وأولاده في بومبائي. وأشكرهم على ذلك جزيل الشكر.

---

(١) ثم طبع في سنة ١٣٦٨هـ على نفقة الشيخ عبدالمحسن بن عثمان أبي بطين في مصر، والغريب أنه قد كتب عليه «الطبعة الأولى» مع أن الكتاب قد طبع من قبل في الهند ولكنهم لعلهم لم يطلعوا عليه، ثم طبع طبعة ثالثة أنيقة بتحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد. والحقيقة أن علماء أهل الحديث في الهند لهم فضل كبير جداً في طبع ونشر كتب التوحيد من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكذلك كتب ابن تيمية وابن القيم رحمهم الله. وكل ذلك في أحوال عصيبة وأيام شديدة. جزاهم الله كل خير.

٢ - عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر النجدي[٢] (م سنة ١٢٨٨هـ): وقد أدرك المصنف عصر سعود بن عبدالعزيز (سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م - سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م) وعصر أولاد الشيخ. والكتاب يبتدىء بسيرة الشيخ وحوادث سنة ١١٥٨هـ وينتهي في المجلد الأول بحوادث سنة ١٢٣٦هـ وفي المجلد الثاني بحوادث سنة ١٢٦٧هـ. وقد فرغ المصنف من تبييض الكتاب في شعبان سنة ١٢٧٠هـ. ويفوق كتابه كتاب ابن غنام في تفصيل الحوادث وتنقيحها.

طبع هذا الكتاب للمرة الأولى في بغداد ناقصًا وذلك في سنة ١٣٢٨هـ. وعندي الآن نسخة كاملة طبعتها المكتبة السلفية في مكة سنة ١٣٤٩هـ[٣].

وقد اعتمدت في الغالب على هذين الكتابين في تدوين الحوادث وهما الأصل والأساس في تاريخ دعوة الشيخ وآل سعود.

٣ - وزيادة على هذين الكتابين نسمع ذكر كتاب «مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد»*: لو عثرت عليه لاستفدت منه كأصل. وقد ذكره ماردتمان[٤] وخير الدين الزركلي[٥] ومؤلفه هو رشيد بن علي الحنبلي،

---

(٢) ولقد وَهم بروكلمان فخلط بين ابن بشر (المتوفى سنة ١٢٨٨هـ) وعثمان بن قائد النجدي الحنبلي (المتوفى سنة ١٠٩٧هـ) كما ورد في (السحب الوابلة ورقة ٨٨ب) وهو صاحب كتاب (نجاة الخلف باعتقاد السلف) وبروكلمان: الملحق ٢/ ٥٣١.

(٣) وقد طبع الآن طبعة أنيقة جميلة بإشراف وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية. وهذه الطبعة تمتاز بتعليقات مفيدة على حوادث كثيرة ومن أهم مميزاتها أنها أخرجت «السوابق» التي كان يقحمها المؤلف إقحامًا في أثناء الحوادث المستمرة وجعلتها في آخر الكتاب.

(٤) مقالة «ابن مسعود» في دائرة المعارف الإسلامية.

(٥) الإعلام ١/ ٣٦٨، ٥٥٨.

* والكتاب مطبوع الآن

ولعله من معاصري ابن بشر ولكن من دواعي الأسف أنني لم أتمكن من الحصول على هذا الكتاب.

٤ - عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبدالرحمن بن حسن الجبرتي المصري (سنة ١١٦٧هـ/ ١٧٥٤م - ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م):

وقد رتب هذا الكتاب أيضًا بحسب السنين. فبدأ بحوادث سنة ١١٠٠هـ وانتهى في حوادث سنة ١٢٣٦هـ. وشهادته ذات أهمية خاصة في غارات محمد علي باشا والصراع بين مصر وأهل نجد. وقد رجَّحنا روايات الجبرتي في مصر وما يتعلق بها.

طبع في مصر سنة ١٢٩٧هـ في أربعة مجلدات[٦].

٥ - خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام لأحمد بن زيني دحلان المكي الشافعي (سنة ١٢٣٢هـ - ١٨٨٦م):

وهو تاريخ كامل لأشراف مكة، فلم أجد تاريخًا مفصلاً مثله فيما يتعلق بحكام مكة في العصور المتأخرة. ولذلك فقد اضطررت إلى الاهتمام برواياته فيما يتعلق بأشراف مكة مع عدم ثقتي به. وقد ألف هذا الكتاب في سنة ١٣٠٠هـ. وقال العلامة المرحوم السيد رشيد رضا في تعليقاته على الهدية السنية (ص ٢):

«وهو الذي كان مفتيًا في مكة زمن ظهور الدعوة وكتب ما كلفه كتابته به سادته وموظفوه من الأمراء والحكام من غير تبيين ولا تثبيت فيما جاء به أولئك الفساق العظام».

وسواء كانت افتراءاته بإيعاز من غيره أو مبنية على اقتناعه ويقينه إلا

---

(٦) ثم طبع طبعة ممتازة باهتمام «لجنة البيان العربي» في سبعة مجلدات (المترجم).

أن القول بأنه كان مفتيًا زمن ظهور الدعوة ليس بصحيح. فإن الدرعية كانت قد دمرت في سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) وكان ظهور الدعوة قد انتهى مؤقتًا. وأيام كان المفتي أحمد زيني دحلان شابًا كان من المستحيل أن يمر نجدي واحد بمكة.

٦ - فتاوي وإفادات عبدالوهاب... إلخ (مخطوط فارسي):

وهي رسالة موجزة مخطوطة يوجد فيها مكتوب وبلاغ عام من الأمير عبدالعزيز بن سعود ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م - ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) إلى فتح علي شاه قاجار (سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٨م - ١٢٥٠هـ/ ١٨٢٤م) ويوجد في نهاية الرسالة جواب فتح علي شاه وتحذير منه مكتوب في سنة ١٢١٩هـ(١٨٠٤م).

والرسالة مخطوطة توجد في المكتبة الشرقية في بتنة. الفهرس الإنجليزي المشروح، رقم ١٣٣٧.

٧ - البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي بن محمد ابن عبدالله الشوكاني (سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م - ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٢م):

ولا يوجد في كتابه إلا تراجم وجيزة لآل سعود(٧) ولكن مع ذلك هي ذات أهمية بالغة لأن المحدث الشوكاني عاش عمرًا طويلاً وقد شاهد ازدهار آل سعود من عصر شيخ الإسلام كما شاهد انحطاطهم (أي في الدور الأول عند سقوط الدرعية: المترجم).

٨ - تاريخ نجد لمحمود شكري الألوسي (سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م):

وهو تاريخ موجز لنجد، وقد بحثت فيه دعوة الشيخ وتاريخ آل سعود أيضًا.

(٧) البدر الطالع ١/ ٣٦٣ و ٢/ ٥.

والمعلومات في الغالب صحيحة ومأخوذة من ابن غنام وابن بشر، وله اطلاع على مؤلفات الشيخ وتلامذته.

طبع في القاهرة سنة ١٣٤٣هـ.

٩ - الرحلة الحجازية لمحمد لبيب البتنوني:

يوجد فيه ذكر موجز ومرتب لحكومة الأشراف في مكة، ولعله اعتمد في الغالب على خلاصة الكلام لدحلان. وتعرض للشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته أيضًا. إلا أنه لم يلتزم الصحة في الرواية (ص٩٣ - ٩٤). طبع للمرة الثانية في مصر سنة ١٣٢٩هـ.

١٠ - حاضر العالم الإسلامي (٤/ ١٦١ - ١٧٢):

وقد كتب الأمير شكيب أرسلان في تعليقاته فصلا خاصًا فيما يتعلق بالشيخ وآل سعود بعنوان (تاريخ نجد الحديث) واعتماده في الغالب على مصادر أوربية ولذلك لم يسلم من الأخطاء. ولكنه مع ذلك محتمل ويجد القارىء صورة مجملة بقراءة هذا الكتاب.

الطبعة الثانية في القاهرة سنة ١٩٣٢م.

١١ - الزهراء «عدد رجب سنة ٤٥هـ ص ٣، ٧»:

وفيها مقالة موجزة وجامعة للأستاذ محب الدين الخطيب عن الشيخ وسيرته. وقد أخذ في الغالب عن ابن بشر وابن غنام ولذلك روايته معتمدة، وقد أحال إلى «مثير الوجد» أيضًا في بعض المواضع. ولقد استفدت منها كثيرًا في الباب الأول من هذا الكتاب مع أن مراجعه الأصلية كانت بين يدي.

١٢ - أثر الدعوة الوهابية في جزيرة العرب لمحمد حامد الفقي:

وهي رسالة موجزة ونوقشت فيها دعوة الشيخ بأسلوب مؤيد،

والمؤلف له روابط وطيدة مع علماء نجد ولذلك فالمعلومات كلها موثوقة ورسمية تقريبًا. ولكن للأسف أنه لا يشير إلى المراجع أبدًا.

وقد ألف معاصرون عرب آخرون عدة كتب أخرى إلا أن أحدًا منهم لم يؤدّ حق البحث العلمي والتاريخي. ولا يسع لنا المجال الآن أن نعلق على كل كتاب(٨).

١٣ - جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبة:

وهو كتاب جامع. ومصنفه موضع ثقة عند الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود. والكتاب جيد وفيه معلومات غزيرة. وتوجد فيه ثلاثة فصول، في الدعوة (ص٣٣١-٣٤٧) وآل سعود (ص٢٤٣-٢٧٧) والإخوان (ص٢١١-٢٣٠) أيضًا. والأخطاء قليلة وقد وقعت في الغالب في تطبيق السنين. فقد ذكر تاريخ وفاة محمد بن سعود ١٧٦٦م وهو ١٧٦٥م (ص ٢٤٤) وذكر وفاة الشيخ في ١٧٩١م (ص٣٣٨) والصحيح هو ١٧٩٢م. وتوجد أخطاء أخرى عادية ولكن من حيث العموم فالكتاب طيب.

١٤ - إتحاف النبلاء (فارسية ٤١٣ - ٤١٦) للنواب صديق حسن خان (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ) الطبعة النظامية ١٢٨٨هـ:

وقد ذكر أحوال الشيخ في هذا الكتاب أيضًا وبإنصاف إلى حد كبير، وكذلك أورد ذكر الشيخ ودعوته في (التاج المكلل) و (موائد العوائد) وغيرهما من كتبه.

---

(٨) وقد اشتهرت من بين هؤلاء المعاصرين كتب الأستاذ أمين الريحاني وهو نصراني شامي، وتلقت الأيدي طبعات مختلفة من مؤلفاته باللغتين العربية والإنجليزية، وقد رأيت من كتبه (ملوك العرب) ومباحثه أشبه بمراسلات صحفية فأسلوب الإنشاء جديد ممتع ولكن العمق والبحث العلمي مفقود.

١٥ - ترجمان وهابية (أردو) للسيد صديق حسن خان أيضًا:

وتوجد فيه أمور متناقضة وغير متناسقة عن الجماعة. ولعله قد فزع بسبب الأحوال الخاصة التي كان يعيش فيها. غفر الله له[٩].

طبع في أمرتسر سنة ١٩٣٠م.

١٦ - سلاطين نجد كمذهب: «مجلة - معارف - عدد نوفمبر سنة ٢٤م»:

وقدم الأستاذ المحترم السيد سليمان الندوي في هذه المقالة صورة جذابة موجزة لدعوة الشيخ وأحوال آل سعود. والفقرة التمهيدية بالخصوص رائعة جدًا. وقد أوردتها في صدر هذا الكتاب[١٠].

١٧ - تاريخ نجد «أردو» للحافظ أسلم جيراجيوري:

كتاب واضح وموجز في سيرة الشيخ ودعوته وأحوال آل سعود. ومرجعه في الغالب هو كتاب ابن غنام وابن بشر. والكتاب من حيث التاريخ لا بأس به وأسلوبه سهل وواضح مع أنه لم يسلم من الأخطاء.

١٨ - سلطان ابن سعود (أردو) للسردار محمد حسني بي، اي:

ألف الكتاب في سيرة الملك ابن سعود (أي المغفور له الملك عبدالعزيز: المترجم) وأورد فيه باباً عن دعوة الشيخ (ص٣٩: ٤٥) وتعرض لتاريخ آل سعود وآل الرشيد أيضًا (ص٤٥ ـ ٧٠) ولكن الظاهر أنه اعتمد على الكتب الإنجليزية فقط وكأنه لم يصبه أدنى شيء من العربية أو الإسلاميات. ومبلغ اطلاعه أنه يقول «مكرن» بدلاً من «المقرن» و«مشعري» بدل «مشاري» و«طوهتيان» بدل ثنيان ـ (٨) وكذلك ـ عيونية ـ بدل ـ العيينة ـ والحصاء ـ بدل ـ الحساء ـ ٤٢.

---

(٩) يرجع إلى تعليق رقم ٣ ص٢١١ ـ ٢١٣ (المترجم).

(١٠) لقد ترجم الشيخ إسماعيل الغزنوي كتاب (الهدية السنية) بأردو، والترجمة مهما كانت إلا أنه أدرج الفترة التمهيدية للسيد سليمان في مقدمته كأنها من كلامه. سامحه الله.

وأما الصحة التاريخية فتظهر من أنه يذكر سنة وفاة محمد بن سعود ١٧٦٤م وهو ١٧٦٥م. وتاريخ شهادة عبدالعزيز بن سعود ١٨٠٢م وهو سنة ١٨٠٣م/١٢١٨م - ٤٣، ٤٤.

ومن الطرائف أن المؤلف يفيدنا أن الإمام أحمد بن حنبل قد ألف - موطأ أحمد بن حنبل - ٤٥ - وبماذا أعلق على هذا؟

فإذا كان هذا مبلغ الرجل من العلم فما الذي دعاه إلى أن يؤلف سيرة الملك ابن سعود. وقد ذكرنا كتابه هنا في مبحث المراجع التاريخية للعبرة فقط. ولعلنا لسنا الآن في حاجة إلى ذكر أكاذيبه - ١٦٢، ٢٦٤ - على الوهابيين.

١٩ - رحلة ني بور:

TRAVELS THROUGH ARAIB AND OTHER COUNTRIES IN THE EAST :

وهو أول سائح أوربي بحث في أحوال نجد ودعوة شيخ الإسلام في رحلته ومع أن بحثه موجز جدًا - ج٢/ ١٣١، ١٣٦- ولكن مع ذلك فهو ثمين وقيم باعتبار أنه أقدم مرجع أوربي.

لقد خرج ني بور ورفقاؤه في سنة ١٧٦١م من الدانمارك ووصل إلى اليمن في سنة[١١] ١٧٦٢م. ولكن خلال أشهر قليلة توفي جميع رفقائه في السفر وني بور[١٢] هو الوحيد الذي رجع حيًا سنة ١٧٦٥م. ورحلته وثيقة تاريخية وجغرافية هامة في الأحوال الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية لبلاد العرب وخاصة اليمن. وقد أثنى كثير

---

(١١) كان في صحبة ني بور في هذه الرحلة العالم الألماني «رانكن» وذكر الأمير شكيب أرسلان أنه قابل حفيده. (ملحق تاريخ ابن خلدون ص٧٧).

(١٢) ذكر الأمير شكيب أرسلان اسمه الكامل هكذا Caresten Nie Bury (ملحق تاريخ ابن خلدون ص٧٧).

من المؤرخين على دقة نظره وصحة روايته[١٣].

وني بور بنفسه لم يصل إلى نجد ولكنه اعتمد في كتابته على ما بلغه من الأخبار ولذلك فلم يسلم من الأخطاء الفاحشة. ولكن تزداد أهمية كتابته بأنه وصل إلى البلاد العربية قبل أن يتسع نطاق الدعوة. فقد فتحت مدينة الرياض في سنة ١٧٧٣م/ ١١٨٧هـ - وكانت دعوة الشيخ محدودة قبل ذلك.

وعندي الترجمة الإنجليزية لرحلة - ني بور - والمترجم هو - روبرت هيرون - (ROBERT HERON) طبعة ايدنبرا سنة ١٧٩٢م.

٢٠ - رحلة باديا (BADIA):

وهو سائح أوربي، نزل جدة باسم - علي بك عباسي - ثم زار مكة ومنعه الحكام النجديون من زيارة المدينة. وهو أول سائح أوربي يقدم لنا بعض المعلومات عن - نجد الوهابي - وعاصمته الدرعية. والقسم التاريخي من هذه الرحلة ذو أهمية خاصة لأن الذي كتبه في حكومة الوهابيين قبل التدخل المصري كله بمرتبة شهادة ممن عاصرها ورآها. ولكن من دواعي الأسف لم أتمكن من الاطلاع على رحلته وكل ما ذكرته عنه في هذا الكتاب فهو منقول من هو غارث[١٤].

---

(١٣) هو غارث ص٦٧ - ٧٣. وقد نشرت مجلة (أروينتل كولج لاهور) مقالة موجزة ولكن علمية للدكتور عنايت الله (لاهور) في السياح الأوربيين للبلاد العربية. (أعداد مايو سنة ٣٧م وأغسطس ٣٧م) والحقيقة أن هذه المقالة هي التي لفتت نظري لأول مرة إلى رحلات السياح الغربيين ثم وجدت أضواء أخرى من كتاب البروفسور هوغارث. كما سأذكره فيما بعد.

وفلبي أيضًا يذكر أهمية ني بور وسبقته في كتابه ص٢٦ - ٢٧.

(١٤) Penetration of Arabia ص٧٨ - ٨٢.

٢١ - مذكرات في البدو والوهابية: لبركهارت - المجلد الثاني - ص٣٤٩ ، ٣٩٥:

NOTES THE BEDOUINS & THE WAHABYS, BY BURKHARDT:

وصل هذا السائح الأوربي إلى الحجاز سنة ١٨١٤م حينما كان محمد علي قد نجح في إخراج «الوهابيين» من الحجاز ورجع إلى مصر سنة ١٨١٦م حيث توفي بعد مدة قصيرة، وقد ذكر جغرافية مفصلة ومحققة لنجد والدرعية وبلاد العارض، والتفاصيل التي يقدمها بركهارت في الأجزاء الأولى من رحلته (TRAVELS IN ARABIA) في شأن مكة والحج في غاية الصحة. وكلامه في نظام الحكومة في مكة أيضًا دقيق وعلمي[١٥]. ويثني (ريتشارد برتن[١٦]) الذي قد سافر إلى مكة والمدينة بعد سنة ١٨٥٠م على بركهارت كثيرًا. ومع دعاويه الطويلة في البحث والتحقيق لم يستطع أن يضيف قدرًا يذكر على ما قاله بركهارت.

طبع المجلدان الأولان من رحلته في سنة ١٨٢٩م والمجلدان الآخران (NOTES...) في سنة ١٨٣١م. وهذه المجلدات الأربعة خزينة للمعلومات في جغرافية البلاد العربية وكل ما يتعلق بها. وكان بحثي يتعلق بالمجلد الأخير فقط. وحكاياته عن غارات محمد علي المصري على الحجاز ومعارك مصر ونجد في غاية الثقة وبمثابة شهادة عينية.

---

(١٥) Travels ete ١/ ٤٠٤-٤٤٤.

(١٦) لقد سافر الكابتن «ريشاربرتن» (R. F. Burton) إلى الحجاز بعد أربعين سنة من سفر بركهارت ولكنه مع ذلك لم يكتسب شيئًا جديدًا ذا أهمية عن أهل نجد. وقد ظهرت طبعة جديدة ممتازة لكتابه في لندن سنة ١٨٩٣م.

٢٢ - تاريخ موجز للوهابيين: لهارفورد جونس برائجس:

A BRIEF HISTORY OF THE WAHHABYS, BY: W. GIFFORD PALGRAVE

وصل هذا الرجل إلى البصرة سنة ١٧٨٤م حاكمًا عليها من قبل بريطانيا وبقي هناك إلى سنة ١٧٩٤ م. وبعد مدة قصيرة عين حاكما على بغداد واستمر بقاؤه هذه المرة من سنة ١٧٩٧م إلى سنة ١٨٠٦هـ. وفي كلا الموضعين كان وكيلا سياسيًا. وكانت علاقاته حسنة مع سعود بن عبدالعزيز.

ومن هذا التفصيل عرفنا أن برائجس كان قد وصل إلى البلاد العربية في حياة شيخ الإسلام نفسه وأدرك أمن الفتوحات الهامة لسعود بن عبدالعزيز، وهكذا كان الواجب أن تكون لكتابه أهمية عظيمة وقيمة تاريخية ولكن من دواعي الأسف أنه عار تمامًا عن دقة النظر. وفي كثير من الأحيان ينقل عن بركهارت حرفيًا مع أنه ورد الحجاز بعده ومات قبله.

طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٣٤م وكانت مؤلفات بركهارت قد ظهرت في سنة ١٨٢٩م و ١٨٣١م. وهو معترف باستفادته من بركهارت وقد زاد عليه أحيانًا[١٧] ولكن الحوادث المهمة بنصها وفصها من بركهارت.

---

(١٧) تنتهي رحلة بركهارت في أواسط سنة ١٨١٦م، وزاد عليها برائجس زيادة مهمة وهي أنه ذكر التفصيل الكامل لحصار الدرعية نقلاً عن المؤرخ الفرنسي (M. Mengin) في كتابه (تاريخ مصر في عهد محمد علي)

HISTORY DE I'EGYPT SONSLE GOVERNMENT (DE MHA MMEDALY)

حرفياً ص ١٣٥-١٦١.

٢٣ - رحلة بالغريف:

NARRATIVE OF A YEAR'S JOURNY THROUGH CENTRAL AND EASTERN ARABIA, BY: W. GIFFORD PALGRAVE

كان نصرانيًا كاثوليكيًا قد تعوّد المعيشة المدنية وكان مترفا بالطبع. قام بسياحة للبلاد العربية سنة ١٨٦٢ - ١٨٦٣م وأثنى كثيرًا على العرب المتحضرين سكان الأحساء والقطيف وغيرهما، إلا أنه لا يملك كلمة واحدة يتلطف بها مع أهل البادية. وذم أهل نجد والشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ذمًا شديدًا.

ويرى زويمر - ١٩٨ هامش - وهيوجس - ٥٠ ب - أن كثلكته هي التي تعمل عملها في ذمه للوهابية. وكما يقول زويمر لا يمكن الاعتماد عليه إلا في حوادث سنة ١٨٦٠ و ١٨٦٣م. ولكني أرى أنه لا يمكن البتّ في أي مسألة اعتمادًا على روايته فقط. وكل ما كتب في الشيخ إنما هو مجموعة خرافات - ٣٣٨، ٣٦٣ - وكذلك ما كتب في تاريخ آل سعود مملوء من الأغلاط الفاحشة. وما أحسن ما كتب هيوجس: إن رواياته طريفة لكن لا يمكن الوثوق بها[١٨]. ويقول زويمر: لم يكن من المتوقع من كاثوليكي أن يذكر التجديد والسلفية بخير[١٩]. وكذلك هذيانه في شأن الإسلام نفسه ركيك وساقط جدًا ولا يستحق أي التفات. والحق أنه لم يستطع أن يعين معاصريه على الصحيح. فيسمي الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب «عبدالرحمن بن عبدالوهاب» ويصف ابنه عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن أنه ابن عبدالرحمن بن عبدالله - ٢٧٩

---

(١٨) NOTES ETC ص ٢٢١.

(١٩) هيوجس ص ٩٨ هامش.

- وزيادة على ذلك يقول: إن عبدالله بن عبد الوهاب(؟) قتل في الدرعية بأمر من إبراهيم باشا. والغريب أنه لقي الشيخ عبدالرحمن شخصيًا في الرياض.

طبعت رحلة بالغريف في مجلدين سنة ١٨٦٥م.

٢٤ - بعثة سياسية إلى نجد: تأليف: ليوس بلي:

كان هذا الرجل وكيلا سياسيًا لحكومة بريطانيا في «بوشهر» وقد ورد الرياض سنة ١٨٦٥م وذلك لإجراء محادثات مع فيصل بن تركي (م سنة ١٨٦٥م/ ١٢٨٢هـ) في شأن المدن الساحلية في الخليج. ولم أتمكن من الحصول على كتابه ولعله يشتمل على بعض الفوائد. وقد ذكره هيوجس ضمن مراجعه، وتكلم هوغارث[٢٠] بكلام مستفيض في بعثة «ليوس بلي» وأشار إلى أهميته الجغرافية إلا أنه لم يتعرض لبحوثه التاريخية.

٢٥ - الأئمة والسادة في عمان: تأليف: ج. برسي بيدجر:

IMAMS AND SAYEDS OF OMAN, BY: G. PERCY BEDER

وهو في الحقيقة مترجم عن كتاب عربي لسليل بن رزيق. وفيه ذكر كامل ومفصل لأمراء عمان من بداية الإسلام إلى سنة ١٨٥٦م. وأضاف بيدجر في الترجمة الإنجليزية مقدمة وتعليقات، وناقش فيها جميع مواضيع الكتاب، وأكمل تاريخ عمان أيضًا إلى سنة ١٨٧٠م. ولما كانت المدن الساحلية في الخليج والجزيرة العربية ترتبط بروابط متينة مع دعوة آل سعود وازدهارهم وانحطاطهم فلذلك تعرض لتاريخهم أيضًا في بعض المواضع. وتعليقاته في الغالب علمية وطيبة ولكنه في أكثر الأحيان يعتمد على

---

(٢٠) هوغارث ص ٣٠٨-٣١٠.

بالغريف فيما يتعلق بنجد. ولما كان أغلب كلامه في التاريخ السياسي لآل سعود وتفصيل المعارك لم أستفد من الكتاب المذكور إلا قليلا.

طبع في لندن سنة ١٨٧١م.

٢٦ - رحلات في صحراء العرب: داؤتي:

TRAVELS IN ARAIB DESERTA, BY: CH. M. DOUGHTY

وصل «داوتي» إلى نجد بعد ثلاثة عشر عامًا من بالغريف أي في سنة ١٨٧٥م ومهما كانت أهمية رحلته فيما يتعلق بالأحوال الاجتماعية للبدو والبحوث الجغرافية واللغوية إلا أنه لم يترك شيئًا يذكر من تاريخ نجد سوى تكهنه هذا:

«لقد أوشكت الحكومة الوهابية على الهلاك. ولا يمكن أن تُعاد إليها الروح من جديد... هذا هو الرأي السائد في نجد»[(٢١)].

إلا أن الأيام والوقائع قد كذَّبت هذا الزعم الفاسد.

طبعت رحلته في مجلدين سنة ١٨٨٦م و ١٩٢١م.

٢٧ - رحلة إلى نجد: تأليف الليدي آن بلنت:

A PLIGRAMAGE TO NEJD, BY: LADY ANNE BLUNT:

لقد قام الخبير السياسي والشاعر المعروف «ولفرد سكاون بلنت» (Welfeed Scawn Blunt) وزوجته الليدي آن بلنت التي هي حفيدة الشاعر المعروف (بايرون) برحلة إلى بلاد نجد في سنة ١٨٧٩م، ولعل رحلتهما كانت للبحث عن الخيل الجياد.

---

(٢١) ٢/ ٤٥٢.

ولا يتعلق موضوعنا برحلة الليدي آن بلنت، ولكن ولفرد بلنت قد عرض صورة لجغرافية نجد وازدهاره وانحطاطه فيما كتبه في المقدمة والملحق (راجع المقدمة ١/ ٨، ٩، ١٠ والوهابية ٢/ ٢٥١، ٢٧١) ومع أن الأخطاء كثيرة إلا أن الكلام محتمل إلى حد ما. وكلما ورد ذكر (بلنت) أثناء الكتاب فالمراد منه هو هذا الملحق.

والرحلة الأصلية مطبوعة في مجلدين، لندن سنة ١٨٨١م.

وكذلك تعرّض (ولفرد بلنت) المذكور لدعوة الشيخ في كتابه (مستقبل الإسلام Fature of Islam ٤٢، ٤٦، ١٠٦) وكلامه هنا أيضًا موجز جدًا ولكنه محشو من الأخطاء والأكاذيب. ولم أتمكن من الإشارة إليها في باب الافتراءات. فإن ورد ذكر هذا الكتاب في موضع ما فقد صرحت هناك باسمه الكامل.

وكانت بين يدي النسخة المطبوعة في سنة ١٨٨٢م.

٢٨ - قاموس الإسلام: تأليف: تواس هيوجس:

DICTIONARY OF ISLAM "WAHABIA", BY: THOMAS P. HUGES:

وهذه المقالة بقلم هذا المبشر البروتستانتي أفضل من كثير مما كتبه كثير من علماء المسلمين فيما يتعلق بالدعوة وأهدافها. فإنه لم يخطىء في فهمها وقدم ملخصًا جيدًا لدعوة الشيخ. نعم توجد بعض الأوهام في التاريخ ولكن المسؤولية في ذلك راجعة إلى برائجس وبلنت. وكلما جاء ذكر «هيوجس» أثناء الكتاب فالمراد به هذه المقالة.

النسخة المطبوعة في لندن سنة ١٨٨٥م.

٢٩ - مقالة «الوهابي» من كتاب مذكرات في المحمدية (٢١٩ - ٢٢٦) لهيوجس المذكور:

NOTES ON MOHAMMADANISM (THE WAHHABY), BY: T. P. HUGES

وقد أورد في هذه المقالة فهرسًا لأمراء آل سعود إلى سنة ١٨٧٤م مع ذكر العقائد والأفكار وفيها بعض الزيادات أيضًا التي لا توجد في المقالة السالفة الذكر (الوهابية - في كتابه قاموس الإسلام) وبالخصوص فيما يتعلق بالمجاهدين في الهند. وكلما ورد ذكر هذه المقالة في الكتاب فهو بتصريح «المذكرات».

طبعت في لندن سنة ١٨٧٧م.

٣٠ - العربية - مهد الإسلام - لزويمر:

ARABIA, THE CRADLE OF ISLAM, BY: ZWEMER (P. 141-201)

وقد حاول زويمر مع تعصبه الشديد أن يفهم دعوة الشيخ. واستعرض أحوال العرب استعراضًا صحيحًا قبل هذه الدعوة (ص١٩٢-١٩٣). ووقع في ثلاثة أخطاء تاريخية فقط في هذا الباب من كتابه.

١ - سنة الولادة سنة ١٩٦١م.

٢ - السفر إلى بغداد.

٣ - هدم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ.

إلا أن تعصبه قد غلب على استنتاجاته. فيقول:

«لقد كانت هذه الحركة تجديدًا للإسلام ولكنها قد انتهت بالخيبة وظهر أنها كانت تمثيلية سياسية فقط» (ص ١٩١ ، ١٩٢) الطبعة الثانية سنة ١٩٠٠م.

٣١ - جولة في بلاد العرب : تأليف: هوغارث:

THE PENETRATION OF ARAIBIA, BY: DAVID GEORGE

استعرض هوغارث في هذا الكتاب استعراضًا مفصلاً ودقيقًا جهود جميع أولئك السياح الأوربيين الذين تجولوا في البلاد العربية خلال القرون الثلاثة الماضية وتركوا أي وثيقة مكتوبة في جغرافيتها أو تاريخها أو آثارها أو مجتمعاتها أو آدابها أو تقاليدها أو غير ذلك. وعلق أيضًا على مكتوبات أولئك الذين زاروا نجدًا والحجاز أيام الشيخ أو أيام خلفائه. وقد قارنت أكثر من مرة نقول هوغارث بالكتب الأصلية ولكن لم أجد أي خطأ صغير أو كبير لا في النقل ولا في التعليق. ولذلك يمكن الاستفادة من هذا الملخص إذا لم توجد الرحلات الأصلية. وكلما جاء ذكر «هوغارث» فالمراد به هذا الكتاب.

طبع في لندن سنة ١٩٠٣م.

ولهوغارث كتاب آخر مختصر يسمى (تاريخ العرب)

A. HISTORY OF ARAIBIA

وفيه بابان يتعلقان بأشراف مكة (ص٨٢-٩٣) والوهابيين والمصريين (ص٩٩-١١٣) ولكن العجب أنه لم يستطع هنا أن يميز بين محمد بن سعود وعبدالعزيز بن محمد بن سعود وسعود بن عبدالعزيز تمييزًا صحيحًا (ص١٠٣).

٣٢ - مقالة «ابن سعود - وابن الرشيد» في دائرة المعارف الإسلامية لماردتمان:

(IBN SAUD, IBN RASHID) INCYCLOPADIA OF ISLAM, BY: J. H. MORDTMANN

هذه المقالات لهذا المستشرق الألماني ماردتمان، جامعة وصحيحة

إلى حد كبير. وجهوده في تعيين التواريخ والسنين تستحق الثناء. فلم يلتزم أحد قبله بتعيين التواريخ الصحيحة والتطبيق بين السنين الهجرية والسنين الميلادية. ولكن مع ذلك قد خالفته في بعض المواضع إلا أني قد استفدت كثيراً من مقالته: ابن سعود.

٣٣ - موسوعة الأديان والأخلاق

مقالات: الوهابية، والوهابيون: بقلم مرغليوت:

(WAHHABIYAH) AND (WAHHABIES), BY: D. S. MARGOLIOUTH

وكلتا المقالتين مملوءتان من الأخطاء. وكل إنسان يخطىء ولكن صاحبنا هذا لا يُعرف له مثيل في هذا المجال. فلا نجد هذا القدر من الأخطاء والجهل المركب في موضع آخر.

وكلما جاء ذكر مرغليوث وحده في هذا الكتاب. فالإشارة فيه إلى المقالة الأولى.

٣٤ - مذكرات رافنشا:

MEMORANDUM, BY: T. E. RAVENSHAW

وهذه المذكرات تتعلق في الحقيقة بمحاكمة الشيخ أحمد الله الصادقبوري وحركة التجديد والجهاد في الهند. ولكن مع ذلك نجد فيه افتراءات وأكاذيب كثيرة على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته. وقد مرّ نموذج منها في الباب الخامس من هذا الكتاب. وطبعت هذه المذكرات كلها في ملحق لمجلة كلكتاكزت - ٢٠ سبتمبر سنة ١٨٦٥م.

٣٥ - المسلمون في الهند - لوليام ولسون هنتر

THE INDIAN MUSALMANS

BY: W. W. HUNTER

وهذا الكتاب أيضًا يتعلق بحركات المجاهدين في الهند. ولما كان هؤلاء يزعمون أن حركة التجديد والإمامة في الهند هي نتيج لحركة شيخ الإسلام ودعوته يضطرون إلى الكلام في دعوته[٢٢] وقد قدم هنتر براهين على جهله وعدم اطلاعه[٢٣] وقد مرت بعض النماذج من هذا القبيل في الصفحات الماضية. ومرجع هذه الأكاذيب هي مذكرات «رافنش» في الغالب إلا أنه لا يشير إليها.

طبع في سنة ١٨٧١م[٢٤].

٣٦ - الإسلام ونفسية المسلمين: أندري سرفير:

ISLAM & PSYCHOLOGY OF THE MUSALMANS, BY: ANDRE SERVIER:

وصاحبنا هذا يهدي كل ما يستطيع من هدايا السب والشتم لمحمد

---

(٢٢) وكل الكتب والمقالات التي ذكرها تشترك في زعم أن حركتي نجد والهند واحدة إلا أن بعضهم يوحّد بينهما إلى حد الأصول فقط والأكثرون يزعمون أن حركة الجهاد والتجديد التي قادها السيد أحمد شهيد رحمه الله فرع لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وهذا خطأ فاحش. وللتفصيل يراجع كتابي (الحركة الإسلامية الأولى في الهند).

(٢٣) يراجع بالخصوص ص ١١ وما بعدها في الطبعة الجديدة.

(٢٤) ولقد ظهرت الآن الطبعة الثانية من هذا الكتاب. وهي الآن عندي لدى المراجعة، طبعت في كلكتا سنة ١٩٤٥م.

ابن عبدالوهاب وجماعته . وحتى الإسلام نفسه عدو لكل رقي للجنس البشري في زعمه (ص٢٦٤) والظاهر أن مرجعه هو بالغريف .

ومترجم من الأصل الفرنسي . طبع لندن في سنة ١٩٢٤م .

٣٧ - انتشار الإسلام: ولسون كاش:

THE EXPANSION OF ISLAM, BY: WILSON CASH:

ويرى هذا الرجل أن محمد بن عبدالوهاب كان يسعى «لإسلام عربي» ومثل هذه الأخطاء والأكاذيب كثيرة عنده . وقد ورد ذكر الشيخ في هذا الكتاب والذي قبله على سبيل الاستطراد .

٣٨- THE ARAB'S PLACE IN THE SUN, BY: RICHARD COKE:

إنه تعليق موجز وحيد على الدعوة . وتوجد عنده بعض الأوهام العادية . وبعضها من قبيل القلب في الأسماء . فينسب أعمال سعود بن عبدالعزيز إلى عبدالعزيز (ص١٦٣) ولا يميز بين عبدالله بن سعود وسعود بن عبدالعزيز تمييزًا صحيحًا (ص ١٦٢) .

تنبيـــه:

الكتب المذكورة من رقم ٣٣ إلى ٣٩ ليست من المراجع والمآخذ ولكنها من كتب المطالعة العامة . ولولا الخوف من التطويل لأوردنا كتبًا أخرى في هذا الفهرس ولكننا نكتفي الآن بذكر هذا القدر .

وقد وردت أسماء بعض الكتب الأخرى أثناء الكتاب مثل (حاضر العالم الإسلامي) لاستودارد

THE NEW WORLD OF ISLAM, BY: LOTHROP STODDARD

وغيره .

المراجــع

المراجع الدينية

لقد ألفت مئات بل آلاف من الكتب في التوحيد والإنكار على البدع. واستقصاء أسمائها من الصعوبة بمكان. وكتب الإمام ابن تيمية (م سنة ٧٢٨هـ) وتلميذه الرشيد الإمام ابن القيم (م سنة ٧٥١هـ) خصوصًا مليئة بهذه المباحث وأذكر هنا فقط تلك الكتب التي طالعتها في هذه الأيام واستفدت منها في فهم دعوة الشيخ:

٣٩ - **الباعث على إنكار البدع والحوادث**: لأبي محمد عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي شامة المغربي المتوفي سنة ٦٦٥، طبعة مصر سنة ١٣١٠هـ.

٤٠ - **تجريد التوحيد المفيد**: للشيخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المتوفي ٨٥٤هـ، طبعة مصر ١٣٤٠هـ.

٤١ - **تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد**: لمحمد بن إسماعيل الأمير اليمني الصنعاني المتوفى ١١٨٢هـ، طبعة مصر ١٣٤٠هـ.

٤٢ - **كتاب التوحيد**: لمحمد بن عبدالوهاب رحمه الله المتوفى ١٢٠٦هـ، طبعة ١٣٤٤هـ، مع تعليقات الأستاذ المحترم الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي، وكتب أخرى للشيخ.

٤٣ - **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد**: لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، طبعة مصر ١٣٤٣هـ.

وطبعت له ترجمة في لغة أردو أيضًا بقلم الشيخ محمد علي القصوزي ١٩٢٤م.

٤٤ - **التحف في مذاهب السلف**: للشوكاني أيضًا، طبعة مصر ١٣١٠هـ.

٤٥ - **مجموعة الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية**: للشيخ سليمان ابن سحمان النجدي. ومؤلف هذه المجموعة يعتبر من أشهر علماء نجد. وهو تلميذ الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ (١٢٨٥هـ). وتوفي المؤلف في سنة ١٣٥٨هـ عن عمر يناهض ٨٦ عامًا حسب رواية عمران النجدي.

وتوجد في هذه المجموعة الرسائل التالية:

١ - الرسالة الدينية في معنى الإلهية (ص٣ - ٢٨) للأمير عبدالعزيز ابن محمد بن سعود (م سنة ١٢١٨هـ).

٢ - شيء من سيرة الشيخ وتعاليمه (ص٢٨ - ٤٠) للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ «م سنة ١٣٠٤هـ».

٣ - الرسالة الثالثة[٢٥](ص٤١-٥٥) للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، وكتبت هذه الرسالة في سنة ١٢١٨هـ لتعليم أهل مكة حينما دخلها سعود بن عبدالعزيز فاتحًا في المرة الأولى.

٤ - الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكّم بالسنة والكتاب (ص٥٥-٩٠) للشيخ حمد بن ناصر بن عثمان المعمر النجدي (م سنة ١٢٥٥هـ).

وهذه الرسالة ألفت في سنة ١٢١١هـ حينما أرسل المؤلف إلى الحجاز موفدًا من قبل الأمير عبدالعزيز وناظر علماء الحرم.

---

(٢٥) طبعت الترجمة الإنجليزية لهذه الرسالة بقلم «أوكنلي» (J. O., Kinley) في «جنرل ابشياتك وسائت» عدد ١/ ٦٨-٨٢ . ١٨٧٤م. ولكن توجد في الترجمة أخطاء مضحكة كترجمة «الأمهات الستة» (أي الكتب المهمة) في الحديث بقوله (Six Mothers) ص ٤٧ وغيره.

٥ - الرسالة الخامسة (ص ٩١ - ٩٩) للشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ. وألفت هذه الرسالة في سنة ١٣٣٩هـ. والمصنف ما زال حيًا وسنه يناهز الآن الثمانين (رواية الشيخ عمران النجدي) وقد ترجمت هذه الرسائل كلها بـ «أردوا» بقلم الشيخ محمد إسماعيل الغزنوي سنة ١٩٢٧م. وتوجد بعض القصائد أيضًا في آخر المجموعة (ص١٠١-١١٢).

٤٦ - **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:** للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، الطبعة الثالثة، القاهرة سنة ١٣٥٧هـ.

٤٧ - **جلاء العينين في محاكمة الأحمدين:** للشيخ نعمان خير الدين الألوسي (م سنة ١٣١٧هـ) طبعة بولاق ١٢٩٨هـ.

وقد وجدت هذا الكتاب مفيدًا وجامعًا جدًا ولذلك قرأته مرارًا. المرحوم السيد رشيد رضا (م سنة ١٣٥٣هـ) أيضًا يثني على هذا الكتاب كثيرًا في سيرته التي ألفها بقلمه [٢٦] (يراجع مجلة معارف عدد نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٣٨م).

---

(٢٦) ومثله كتاب (غاية الأماني في الرد على النبهاني) للعلامة محمود شكري الألوسي رحمه الله فهو كتاب جامع ومهم جداً. يقول فيه أستاذنا العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي:

«وهذا الكتاب من أنفس الكتب السلفية. جادل المبتدعين من المتصوفة وشدد عليهم الخناق بعبارات بليغة كأنها عقود الجمان في أجياد الحسان. فيه من المتعة والفوائد ما يقل نظيره في الكتب، والمثل الإنجليزي يقول ما معناه: ينبغي أن يكون الأصدقاء والكتب قليلين ولكن طيبين. وهذا المثل ينطبق على هذا الكتاب» (الهدية الهادية ص ٢٢).

ولعل المؤلف لم يطلع على هذا الكتاب ولذلك لم يذكره في فهرس المراجع ولكنه طبع الآن طبعة ثانية وواضحة بفضل الله ثم بفضل بعض المحسنين جزاهم الله خيراً (المترجم).

٤٨ - **الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح**: للنواب صديق حسن خان المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، طبعة بولاق ١٣٩٨هـ على هامش جلاء العينين.

٤٩ - **تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة**: لسليمان بن سحمان أيضًا (ص١-٨٠).

٥٠ - **تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمَيْن**: لسليمان ابن سحمان أيضًا (ص٨٢-٢١٥).

وطبعت الرسالتان معًا في كتاب واحد، مصر سنة ١٣٤٢هـ.

٥١ - **كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق**: للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (استشهد سنة ١٢٣٣هـ)، طبعة مصر ١٣١٩هـ.

٥٢ - **منهاج التقديس والتأسيس في كشف شبهات داؤد بن جرجيس**: للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ. وهو رد على كتاب (صلاح الإخوان) طبعة بومبائي سنة ١٩٠٧م.

وهذا الكتاب ينسب[٢٧] في الغالب إلى الشيخ محمد بشير السهسواني ولكن النسخة الموجودة عندي كتب عليها اسم المصنف: عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم السندي، ولعله بسبب بعض المصالح[٢٨].

وهذه النسخة التي كانت في يد الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن

---

(٢٧) يراجع: تراجم علماء حديث هند. الجزء الأول ص ٢٥٥.

(٢٨) ومن الظاهر أنه كان حذراً من تلك العقوبات المؤلمة المنهكة التي كانت تنزل على هؤلاء المجاهدين الأبطال «بتهمة الوهابية» في عصر الاستعمار البريطاني على الهند (مترجم).

حسن آل الشيخ. طبع المطيع الفاروقي في دهلي سنة ١٨٩٠م. وقد ظهرت الآن الطبعة الثانية بعناية تامة في مطبعة المنار سنة ١٣٥١هـ. ونسب إلى المصنف الحقيقي، وتوحد أيضًا مقدمة وتعريف بقلم العلامة السيد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٣هـ.

٥٣ - **صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**: للشيخ محمد بشير السهسواني المتوفى سنة ١٣٦٢هـ.

وهذا الكتاب ينسب(٢٨) في الغالب إلى الشيخ محمد بشير السهسواني ولكن النسخة الموجودة عندي كتب عليها اسم المصنف (عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم السندي. ولعله بسبب بعض المصالح(٢٩).

٥٤ - **البيان المبدي لشناعة القول المجدي**: لسليمان بن سحمان النجدي. لقد ألف كتاب «صيانة الإنسان» للرد على كتاب «الدرر السنية» لدحلان ثم ظهر الرد على «صيانة الإنسان» باسم «القول النجدي» في الرد على عبدالله بن عبدالرحمن السندي. وكتاب «البيان المبدي» هو رد على كتاب «القول المجدي» طبعة أمر تسر ١٨٩٧م.

٥٥ - **الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية**: لسليمان بن عبدالوهاب النجدي الحنبلي المتوفى سنة ١٢٠٨هـ.

وهذه الرسالة هي لسليمان بن عبدالوهاب شقيق شيخ الإسلام. وكما مر من قبل أنه تاب ورجع في الأخير في

---

(٢٨) يراجع تراجم علماء حديث الهند ١/ ٢٥٥.

(٢٩) ومن الظاهر أنه كان حذراً من تلك العقوبات المؤلمة المنهكة التي كانت تنزل على هؤلاء المجاهدين الأبطال (بتهمة الوهابية) في عصر الاستعمار البريطاني للهند.

سنة ١١٩٠هـ (ابن غنام ١٠٨/٢) إلا أن أعداء الدعوة يتشدّقون بذكر هذه الرسالة ولكنهم يسكتون تمامًا عن ذكر رجوعه وتوبته. والظاهر أن الكتاب سمي بهذا الاسم في الأيام المتأخرة، لأن سليمان بن عبدالوهاب كان قد أرسلها إلى أهل حريملاء في سنة ١١٦٧هـ وكان الشيخ رد عليه أيضاً[٣٠] ولم يكن لقب «الوهابية» معروفًا آنذاك.

طبع في مصر بدون تاريخ[٣١].

وأصل الرسالة موجزة ولكن ألحقت بها عدة ملحقات مكتوبة بقلم يوسف الدجوي وغيره. وأكثر هذه الملحقات قد ألفت بعد ظهور ابن سعود[٣٢].

٥٦ - **تهكم المقلدين في مدعي تجديد الدين**: لمحمد بن عبدالرحمن بن عفالق الأحسائي المتوفى سنة ١١٥٧هـ.

٥٧ - **فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبدالوهاب**: لأحمد القباني البصري المتوفى تقريبًا ١١٥٧هـ.

٥٨ - **الصواعق والرعود**: لعفيف الدين عبدالله بن داود الزبيري الحنبلي المتوفى سنة ١٢٢٥هـ.

مخطوطة في المكتبة الشرقية ببتنة رقم: ١٢٣٨.

٥٩ - **صلح الإخوان من أهل الإيمان، وبيان الدين القيم في تبرئة ابن تيمية وابن القيم**: لداود بن سليمان بن جرجيس البغدادي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ. وللرد على هذا الكتاب ألف الشيخ عبداللطيف كتابه (منهاج التقديس) (بومبائي

---

(٣٠) روضة الأفكار ٣٢/٢، ٥٢.

(٣١) ومن المعلوم قطعاً أنه بعد سنة ١١٢٨هـ.

(٣٢) يعني الملك عبدالعزيز رحمه الله (المترجم).

سنة ١٣٠٥هـ). وقد أشار الألوسي أيضًا إلى أخطاء مصنف (صلح الإخوان في كتاب جلاء العينين ص٣١٥).

٦٠ - **الدرر السنية في الرد على الوهابية**: لأحمد زيني دحلان المتوفى سنة ١٣٠٤هـ. وهي رسالة صغيرة وقد وردت بكاملها في كتاب (خلاصة الكلام) لدحلان نفسه (ص٢٢٨ - ٢٦١) وقد ألف الشيخ محمد بشير السهسواني كتابه (صيانة الإنسان) للرد عليه، فرد عليه الحضرمي بكتابه (القول المجدي) فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان بكتابه (البيان المبدي) وكان لكتاب دحلان النصيب الأكبر في ترويج الأكاذيب في السنين المتأخرة أي منذ ستين أو سبعين سنة.

٦١ - **مصباح الأنام وجلاء الظلام**: للسيد أحمد عبدالله الحداد باعلوي[٣٣] مخطوط في المكتبة الشرقية رقم ١٢٠٥٨.

٦٢ - **فتح المنان[٣٤] في ترجيح الراجح وتزييف الزائف من صلح الإخوان**: لمحمد بن ناصر النجدي المتوفى سنة ١٢٨٣هـ[٣٥].

وفيما يبدو من اسم الكتاب والنصوص المقتبسة الواردة في (إتحاف النبلاء) أن الكتاب قد ألف في صورة محاكمة.

---

(٣٣) وقد ذكر مؤلف (مصباح الأنام) وكان من علماء القرن الثالث عشر» في مقدمته أسماء عدة كتب ألفت في الرد على الشيخ. ولكن لم يرد لها ذكر في أي فهرس مثل:

١ - الصارم الهندي في عنق النجدي، للشيخ عطاء المكي.

٢ - رسالة للشيخ أحمد المصري الإحسائي.

ومصباح الأنام مطبوع أيضاً. بروكلمان ص٨١٣.

(٣٤) إتحاف النبلاء ص٤١٣.

(٣٥) لم أطلع على كتاب (فتح المنان) وكذلك كتاب (صلح الإخوان).

وقد مر أكثر هذه الكتب في الصفحات الماضية فلا أرى حاجة إلى التعليق عليها أكثر من ذلك هنا في باب المراجع. وعند البحث والاستقصاء يمكن أن يطول هذا الفهرس(٣٦) أكثر(٣٧).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(٣٦) وزيادة على ما ذكر قد استفدت من الكتب التالية أيضاً في أمور فرعية كتعيين الوفيات وتفصيلات أخرى.

١ ـ سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي.

٢ ـ السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. مخطوط في المكتبة الشرقية، وقد جاوز مؤلفه الحد في الطعن في الشيخ ودعوته.

٣ ـ معجم المطبوعات سركيس.

٤ ـ الأعلام، للزركلي، ٣ مجلدات.

٥ ـ تاريخ الأدب العربي للمستشرق الألماني بروكلمان.

المجلد الأول والثاني ط سنة ١١٩٨هـ من مجلدين من الملحق طبعة سنة ١٩٣٨م وبالخصوص المجلد الثاني.

٦ ـ التقويم الهجري والميلادي، انجمن ترقي اردو.

(٣٧) وهناك كتب عديدة ظهرت في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ودعوته نذكرها هنا زيادة للفائدة:

١ ـ محمد بن عبدالوهاب، للأستاذ أحمد عبدالغفور عطار.

٢ ـ محمد بن عبدالوهاب، للقاضي أحمد بن حجر قاضي قطر.

٣ ـ سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، للأستاذ أمين سعيد.

٤ ـ محمد بن عبدالوهاب ـ العقل الحر والقلب السليم، للأستاذ عبد الكريم الخطيب.

٥ ـ الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ سيرته ودعوته، لفضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة. وقد ترجم بلغة أردو أيضاً.

٦ ـ محمد بن عبدالوهاب، للأستاذ حسن بانبيله.

٧ ـ محمد بن عبدالوهاب، للأستاذ علي الطنطاوي.

الفهرس

الموضوع